أصول الدخيل
في تفسير آي التنزيل

تأليف
الدكتور
جمال مصطفى عبدالحميد عبدالوهاب النجار
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين
جامعة الأزهر - القاهرة

الطبعة الرابعة

١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

أصول الدخيل
في تفسير آي التنزيل

تأليف الدكتور
جمال مصطفى عبدالحميد عبدالوهاب النجار
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين
جامعة الأزهر - القاهرة

الطبعة الرابعة
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م




بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

(المقـــدمة)

"الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، قيمـا"[1] ، هدى به مَنْ هدى ، وأضل به مَنْ أضل ، وما يضل به إلا الفاسقين.

ونشهد أن لا إله إلا الله ، عليها وبها نحيـا ، ومـن أجلـها نجـاهد ، ولرفعتها نضحى بكل نفس ونفيس ، وغالٍ ورخيص ، لتضـئ لنـا قبورنـا ، ولتكون لنا نوراً يسعى بين أيدينا ، وبأيماننا ، يوم لايخزى الله النبـى والذيـن آمنوا معه.

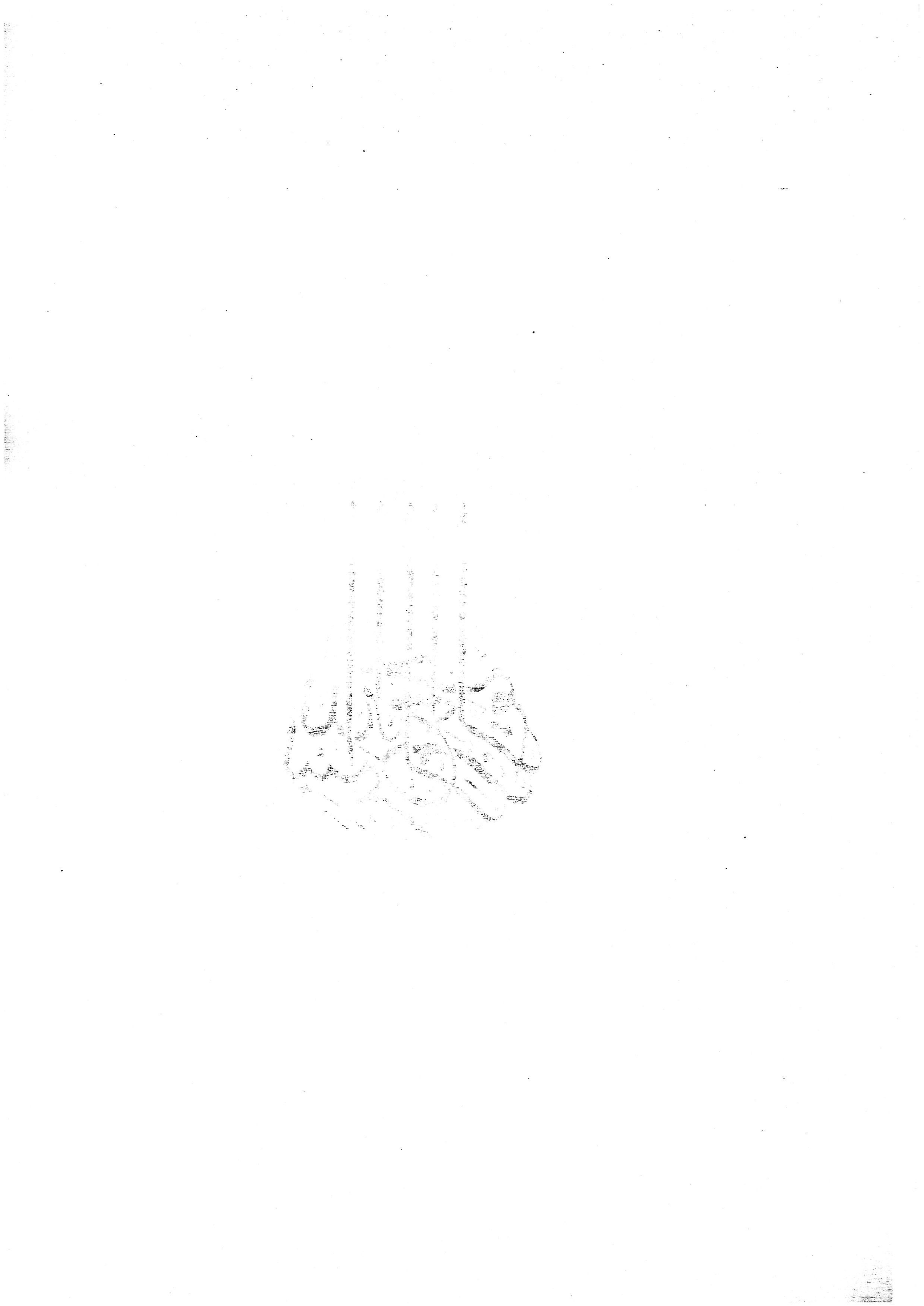
ونشهد أن سيدنا وحبيبنا محمداً رسول الله ، خير من أنجبته الأمـهات ، وسيد من أقلته الأرض وأظلته السموات ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على هـــذا النبى الأمى وعلى آله وصحبه وأنصاره ، وأزواجه أمهات المؤمنين ، الطيبات الطاهرات ، وعلى كل من اقتدى بهديه واتبع سنته بإحسان إلى يـوم الديـن ، صلاةً وسلاماً عدد خلقك ، ورضا نفسك ، وزنة عرشك ، ومـداد كلمـاتك ، وعدد معلوماتك ، كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون ...

وبعد ،،

فلقد اقتضت حكمة الله تعالى بعد أن اضطرب أمر هذا الكون ، وعمت الفحشاء أركانه ، وسادت الموبقات طياته ، وأصبح المعروف منكراً ، والمنكـر معروفاً ، وغدت عبادة البشر والأصنام شـيئاً مألوفـاً ، وأصبحـت الرذائـل متجسدة فى صورة أناس من البشر ، حتى أضحى العالم كله جحيما لا يطاق – اقتضت حكمة الله تعالى بعد ذلك كله أن يرسل إلـى النـاس رسـولا منـهم ليطهرهم ويزكيهم ، وأنزل عليه قرآنا لهدايتهم إلى أحسن حال ، وأفضل مـآل

---

[1] – سورة الكهف : ١ ، ٢ .



(إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ، وأن الذين لايؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما)[2]

ووصف الله هذا القرآن بالنور ، فقال:(فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا)[3]

ووصفه أيضاً بأنه الروح الساري ، في جسد من آمن به ، وعمل بما جاء فيه ، فقال (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا)[4]

وحين استضاء المسلمون بهذا النور وفتحوا قلوبهم لهذا الروح ، إذا بهم يضيئون جنبات هذا الكون ، وإذا بهم يفتحون قلوباً غلفاً ويصبح الكون خلقاً آخر ويصبح الحفاة العراة الأميون ، رعاة الغنم ، قادة الأمم ، وما كان أحد يظن أنهم يمتلكون ناصية الكون ، وريادة العالم فى هذا الوقت القصير .

أين عرش كرسى ومجده ؟ بل أين ملك قيصر وجبروته ؟ بل أين أمجاد هذه الإمبراطوريات التى قامت على مص دماء الشعوب ، وطمس صورة الإنسان ؟ من الذى حطم هذه العروش ، ومحا تلك الأمجاد ؟

لقد طواها المسلمون ، حتى صارت فى عالم النسيان ، ولم يسمع عنها إلا فى خبر كان ، ومن هنا أدرك عالم الكفر والظلم والإلحاد أن العيش لا يصفو له ، ولايقر له قرار ، فى هذه الحياة إلا بالقضاء على هذا الإسلام......

وإذا بهذا العالم كله ، من شرقه إلى غربه ، رغم التناحر الشديد بين دوله وأقطاره ، ورغم الاختلاف فى النظريات السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية ، إذا بدول هذا العالم كله ممن لا تدين بالاسلام تنظم صفوفها وتشمر عن سواعدها ، وتوحد صفوفها مستعينة فى ذلك بأحدث ، وأقذر ، وأخبث الوسائل ، للقضاء على المسلمين ولتشكيك المسلمين فى قرآن ربهم ، والتشويش عليه.

---

[2] - الإسراء : ٩، ١٠ .

[3] - التغابن : ٨ .

[4] - الشورى : ٥٢.

ولم تكن هذه المحاولات وليدة العصر ، بل بدأت أثناء نزول القرآن على النبى ﷺ فقد تواصى كفار قريش بالتشويش على هذا القرآن ، فقالوا : كما حكى عنهم القرآن :

(لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون)[٥]

وظلوا يطلقون الشائعات والأقاويل ، ليوهموا الناس بأنه ليس من عند الله تعالى ، فتحداهم الله بأن يأتوا بمثل هذا القرآن ، إن كانوا صادقين ، فعجزوا ، ثم أرخى لهم حبل التحدى ، وطلب إليهم الإتيان بعشر سور من مثله ، فلم يستطيعوا ، ثم سهل لهم التحدى فطلب إليهم الإتيان بمثل أقصر سورة منه ، فرفعوا أيديهم مستسلمين ، وهم أرباب الفصاحة، وأساطين البلاغة ، وآثروا الملاكمة على المكالمة.

وفى كل مرة من مرات التحدى ينتقل القرآن الكريم من نصر إلى نصر ، ومن علو إلى علو ، وينتقلون هم من هزيمة إلى أخرى.

إلى أن دخل فى الإسلام جماعة من أهل الكتاب ، يحملون بين جنباتهم ثقافة إسرائيلية ، وبطبيعة توقان الإنسان إلى ماغاب عنه علمه ، كان الصحابة رضوان الله عليهم يرون فى القصص القرآنى إجمالا ، ويرون فى ثقافة مسلمي أهل الكتاب ما يظنون أنه تفصيل لهذا الإجمال ، فراحوا يستوضحون منهم ، وإن كان للصحابة فى هذا منهج خاص سنوضحه قريبا إن شاء الله تعالى .

ومن هذا الباب دخل كثير من الإسرائيليات في تفسير القرآن الكريم .

ثم كانت الفتنة التى دبرها ، وحاك خيوطها ، أعدى أعداء الله وكتابه والمسلمين ، وهم اليهود ، فقتلوا خليفة المسلمين ، عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه ، وعلى أثرها تفرق المسلمون إلى شيع وأحزاب ، وظهر على

---

٥ - فصلت : ٢٦

الساحة الإسلامية عدة فرق ، كل فرقة تدعى أنها هى المسلمة ، المستمسكة بالحق واليقين ، وأن غيرها يهيم فى ضلال مبين .

وغدت كل جماعة تفسر القرآن بما يوافق مبادئها ، أو على الأقل بما لايعارضها ، فإن لم تجد فى النص القرآنى ما تستطيع به لَىّ عنق الآية ، حتى يخدمها فى دعواها لجأت إلى الوضع فى حديث الرسول ﷺ

ولم يقتصر ظهور الجماعات على القرون الأولى للإسلام ، بل امتد ذلك إلى الآن ، حتى وجدنا جماعات حديثة ، هى فى الواقع امتداد للفرق الباطنية قديماً ، فرأينا القاديانية ، والبهائية ، وغيرهما ، ممن استنزفوا من المسلمين جهداً ، ووقتاً ، فى الرد عليهم ، والاشتغال بمفترياتهم وأكاذيبهم .

ومن خلال هذه الجماعات ظهر كثير من الدخيل فى تفسير القرآن، حيث كانت لهم آراء منحرفة ، مبنية على هوى فاسد ، وهدف خبيث كما ظهر على الساحة أيضاً من يهتم بالآيات الكونيّة والأنفسية ، وحاول جاهداً التوفيق بين ما ظهر فى مجال العلم الحديث وبين بعض آيات من كتاب الله تعالى ، وكان من بين هؤلاء من لم يدع شاردة ولا واردة إلا وكلف نفسه بالبحث عما يشهد لها من القرآن الكريم ، فتأول ، وتعسف ، فدخل من هذا الباب فى مجال التفسير ، دخيل كثير.

ولا نرى ماذا يخبئه لنا الغد القريب ، أو البعيد ، من قبل أعداء الله الأفاكين ، المشعوذين ، أومن قبل بعض المسلمين ، الذين يريدون أن يحملوا القرآن أشياء لم ينزل من أجلها ...

ولكن الله تعالى قيض لقرآنه هذا فى كل عصر ومصر ، من يذب عنه كيد الكائدين ، ويرد سهام الطاعنين إلى نحورهم ، وممن قيضهم الله تعالى لهذا القرآن رجال الأزهر الشريف ، وعلى رأسهم أساتذة كلية أصول الدين .

فقد شاءت إرادة الله تعالى أن تكون هذه الكلية سيفا مسلولاً ضد أعداء الله تعالى ، فألهم رجالاتها انتهاج مناهج متعددة ، من شأنها الدفاع عن هذا

القرآن ، وإظهاره بالصورة اللائقة به ، وتعرية مخططات الأعداء ، بإظهار وفضح هذا الدخيل ، الذي دخل في تفسير القرآن الكريم ...

ومشاركة منى فى الدفاع عن القرآن الكريم ، وتطهيراً لساحة تفسيره من الدخيل أقدم هذا الكتاب ، وهو جهد المقل ، ولكن عسى الله أن ينفع به صاحبه ووالديه وأساتذته وتلاميذه ومن بلغ.

وإنى إذ أقدمه لأبرأ إلى الله تعالى من كل حول وقوة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، فإن أصبت فله وحده أولاً وأخيراً الحمد والمنة ، وإن أخطأت فمنى والشيطان ، والله منه برئ ، ربنا تقبل منا إنك إنت السميع العليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين، عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين ، صلاةً وسلاماً عدد خلق الله ورضا نفسه وزنة عرشة ومداد كلماته وعدد معلوماته ، كلما ذكر الله الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

المؤلف

تمهـــيد

١- بيـــن الأصيـــل والدخيـــل

٢- نشأة الدخيل والتصدى لـــه

١ – بين الأصيل والدخيل

حينما يسمع الإنسان كلمة (دخيل) يتبادر إلى ذهنه فورا كلمة (أصيل) ... لذلك : كان لزاماً علينا قبل أن نخوض فى غمار هذا البحث عن الدخيل ، وما يتعلق به ، أن نعرف معنى الأصيل فى اللغة ، والمراد به فى محيط التفسير ، حتى إذا جاء شئ عن طريقه كان هو المقبول ، فلا يرد ، ثم بعد ذلك نعرج على الدخيل ، لنعرف معناه فى لغة العرب ، وليتبين المقصود منه فى مجال التفسير ، حتى إذا جاء شئ منه رد ولم يقبل ، فإذا فعلنا ذلك كنا قد ولجنا البيت من بابه ، وسرنا فى بحثنا على هدى ويقين ، فلا نضل ، ولا نعد فى عداد الزائغين .

"تعريف الأصيل"

أما الأصيل لغة : فقد قال صاحب لسان العرب : "الأصل أسفل كل شئ، ورجل أصيل له أصل ، ورجل أصيل : رجل ثابت الرأى عاقل ، وفلان أصيل الرأى ، وقد أصل رأيه أصالة، وإنه لأصيل الرأى والعقل ، ومجد أصيل ، أى ذو أصالة.(٦)

وقال صاحب المصباح المنير :

" أصل الشئ أسفله ، وأساس الحائط أصله ، واستأصل الشئ ثبت أصله وقوى ، ثم كثر حتى قيل ، أصل كل شئ ما يستند وجود ذلك الشئ إليه.(٧)

وقال صاحب القاموس :

---

٦ – لسان العرب لابن منظور ، باختصار، مادة أصل.

٧ – المصباح المنير : ٢٨/١ ط المطبعة الأميرية.

" الأصل أسفل الشئ ، وأصُلَ ككَرُمَ ، صار ذا أصل أو ثبت ورسخ أصله ، كتأصل ".[٨]

مما سبق يتضح لنا أن الأصيل فى لغة العرب يراد به : ما كان له أصل راسخ ، وأساس متين ، سواء أكان هذا الشئ حسياً أم كان معنوياً.

فإذا ما أردنا وضع تعريف للأصيل فى مجال التفسير ، فيحسن بنا – قبل ذلك – أن نعرف : أن التفسير الوارد لبيان القرآن الكريم قسمان ، قسم ورد تفسيره بالنقل ، وقسم لم يرد بالنقل .
وبيان ذلك كما يلى :-

إننا إذا أردنا تفسير آية من كتاب الله تعالى ، فمن البدهى أننا سننظر إلى المصدر الأول من مصادر التفسير على الإطلاق ، ألا وهو القرآن الكريم فلا يجوز للإنسان بحال من الأحوال أن يتعدى هذا المصدر إلى غيره ، ما دام التفسير به فى إمكاننا .
وترجع أهمية ذلك إلى عدة أسباب ، ويأتى على رأسها ما يلى :
١- أن صاحب أى كلام أدرى بمقصوده من غيره ، فما بالنا إذا كان هذا المبين هو الله عز وجل ؟
٢- ولأن الشرع أمر باتباع ما جاء عن الله تعالى ، ونهى عن التقديم بين يديه عز وجل.

ورد ذلك فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، فى مثل قوله تعالى (**يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله**)[٩] وغيره كثير .

---

[٨] - القاموس المحيط : ٣/٣٢٨ باختصار.

[٩] - الحجرات : ١

قال ابن تيمية رحمه الله :

" فإن قال قائل : فما أحسن طرق التفسير؟"

فالجواب : إن أصح الطرق فى ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل فى مكان فإنه قد فسر فى موضع آخر ، وما اختصر فى مكان فقد بسط فى موضع آخر .[10]

ولتفسير القرآن بالقرآن عدة وسائل يأتى على رأسها ما يلى :

١- **شرح الموجز بالمطنب** ، كما ورد فى قصص الأنبياء ، مثل قصة آدم ونوح وإبراهيم ، وهود ، وصالح ، وموسى ، وعيسى وغيرهم.

٢- **تفسير المجمل بالمبين** ، كتفسير قوله تعالى **(الذين أنعمت عليهم)** فى سورة الفاتحة بقوله تعالى فى سورة النساء **(ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين)**[11]

٣- **حمل العام على الخاص** ، كقوله تعالى **(حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم)** الآية حيث خصصت بقوله تعالى **(فانكحوا ما طاب لكم من النساء)** والآيتان فى سورة النساء رقما ٢٣ ، ٣.

٤- **حمل المطلق على المقيد** ، كما فى قوله تعالى فى كفارة الظهار **(فتحرير رقبة)** فى سورة المجادلة على الإطلاق ، وتقييدها بالإيمان فى كفارة القتل الخطأ فى سورة النساء **(فتحرير رقبة مؤمنة)**

٥- **وأيضا من قبيل تفسير القرآن بالقرآن** ، معرفة الناسخ من المنسوخ

---

١٠ - مقدمة في أصول التفسير .٩٣ ط مؤسسة الرسالة.

١١ - النساء : ٦٩

هذا هو أول مصدر أصيل فى تفسير القرآن ، فإن لم نجد في القرآن ما نفسر به الآية التى نبحث عن معناها انتقلنا إلى سنة رسول الله ﷺ ولا يجوز لنا أن نتركها إلى غيرها .

قال الإمام الشافعى رحمه الله تعالى :

" أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس " (١٢)

وقال أيضا :

" لم أسمع أحدا نسبه الناس، أو نسب نفسه إلى علم يخالف فى أن فرض الله عز وجل اتباع أمر رسول الله ﷺ والتسليم لحكمه." (١٣)

وقال أيضا : "وأما أن نخالف حديثا عن رسول الله ﷺ ثابتا عنه فأرجو ألا يؤخذ ذلك علينا إن شاء الله ، وليس ذلك لأحد، ولكن قد يجهل الرجل السنة ، فيكون له قول يخالفها ، لا أنه عمد إلى خلافها ، وقد يغفل المرء ويخطئ فى التأويل. (١٤)

يقول ابن تيمية رحمه الله بعد أن ذكر أن أصح طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن :

" فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة ، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى : كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو ما فهمه من القرآن. (١٥)

---

١٢ – إعلام الموقعين :٢/٣٦١

١٣ – جماع العلم للشافعى١١ ، ط دار المعارف ، تحقيق أحمد شاكر.

١٤ – الرسالة : ٢١٩ .

١٥ – مقدمة في أصول التفسير : ٣٢

وإنما أخذت السنة المكانة التالية للقرآن :

١- لأن الرسول ﷺ أدرى بمقصود كلام من أرسله من غيره من الخلق، وإلا لكان اختياره للتبليغ عن ربه عبثا ، فكيف يبلغ رسالة وهو لا يفقه مضمونها ؟

٢- إن وظيفة الرسول ﷺ هى بيان مراد الله إلى خلقه. قال تعالى **(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون)** النحل :٤٤

٣- أن رسول الله ﷺ إذا فسر شيئا من القرآن ، فتفسيره هو الصحيح ، وغيره هو الباطل ، لأن رسول الله ﷺ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، كما أخبر ربه عز وجل عنه فى أوائل سورة النجم .

٤- تحريم التقدم بين يدى الله ورسوله ، ووجوب الامتثال لما جاء به الرسول ﷺ ، كما صرحت النصوص القرآنية والنبوية ذاتها فى مواضع كثيرة ، ولا نريد الإطالة بذكرها.

هذا عن المصدر الثاني للأصيل فى التفسير ، فإذا لم نجد تفسيرا للآية من خلال القرآن أو السنة انتقلنا إلى المصدر الثالث ، ألا وهو أقوال الصحابة رضى الله عنهم ...

فهم الذين شاهدوا الوحى والتنزيل ، وعاصروا ملابسات القرآن وأسباب نزوله.

فقد كانوا يفرغون أوقاتهم لمعرفة ما نزل من القرآن ، وإن لم يستطيعوا أنابوا غيرهم عنهم .

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما يرويه الإمام البخارى فى صحيحه "كنت أنا وجار لى من الأنصار فى بنى أمية بن زيد - وهى من عوالى المدينة - وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ، ينزل

يوما وأنزل يوما ، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم ، من الوحى وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك .[16]

وها هو عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول:

"والذى لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن نزلت ، ولو أعلم أحدا أعلم منى بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه.[17]

ولقد زكاهم الله تعالى ، وأثنى عليهم نبيه ﷺ

قال تعالى (**وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها**) " الفتح: ٢٦

وقال الرسول ﷺ : (**خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم**)[18]

وعنهم يقول الإمام الشافعى رحمه الله : -

" وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ فى القرآن والتوراة والإنجيل ، وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم ، فرحمهم الله ، وهنأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين .

أدوا إلينا سنن رسول الله ﷺ وشاهدوه والوحى ينزل عليه ، فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ عاما وخاصا ، وعزما وإرشادا ، وعرفوا من سننه ما عرفنا وجهلنا.

---

[16] – البخارى-كتاب العلم ، باب التناوب فى العلم .

[17] – البخارى: كتاب فضائل القرآن ، باب القراء من أصحاب النبى ﷺ.

[18] – البخارى-كتاب فضائل الصحابة ، باب "١" .

وهم فوقنا فى كل علم واجتهاد ، وورع وعقل ، وأمر استدرك به علـم ، واستنبط به ، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من رأينا عند أنفسـنا ، ومـن أدركنا ممن يرضى ، أوحكى لنا عنه ببلدنا صاروا - فيما لـم يعلمـوا لرسول الله ﷺ فيه سنة - إلى قولهم ، إن اجتمعوا ، أو قول بعضهم إن تفرقوا ، وهكذا نقول ، ولم نخرج عن أقاويلهم ، وإن قال أحدهـم ولـم يخالفه غيره أخذنا بقوله .[19]

والمعروف أن الوارد عن الصحابة لا يخلو من حالات ثلاث:

١- إما إجماع منهم . ٢- وإما اختلاف بينهم .

٣- وإما قول لايعرف له مخالف أو موافق .

أ- فإن أجمعوا على شئ كان إجماعهم حجة يجب الأخذ به ، لأن إجماع الأمة فى أى وقت على أمر ما يجب الانصياع له ، فكيف بإجماع أشرف قرن على الإطلاق ، بخبر رسول الله ﷺ

ب- أما إذا اختلفوا ، بحيث تعددت أقوالهم ، حاولنا أن نجمع بينـها ، لأن أغلب اختلافهم اختلاف تنوع وعبارة ، وليس اختلاف تضاد ، فإذا لـم يمكن الجمع اخترنا الراجح وفقا لضوابط الترجيح التي يرجح بها أثنـاء الاختلاف ، ولا نخرج عن أقوالهم .

جـ- فإن كان فى الآية قول لصحابى لم يعرف له مخالف ولا موافـق ، فالأحوط والأولى أن نأخذ به ، لأن الصحابـة خصـوا عـن غـيرهم بخصائص طيبة على رأسها رؤية الرسول ﷺ ، والوقوف على أفعاله ، وسماع أقواله ، ومشاهدة الوحى والتنزيل ، إضافة لكونهم عربا خلصـا

---

[19] -أعلام الموقعين : ١/٨٠ دار الجيل.

ونظرا إلى تزكية الله ورسوله إياهم ، مما جعلهم سادة الأزمان فى تفسير القرآن الكريم .

وقد يأخذ قول الصحابى حكم الحديث المرفوع إلى الرسول ﷺ إذا توافرت له الشروط الآتية :

١- إذا شهد الصحابى الوحى والتنزيل .

٢- وكان كلامه فيما لا مجال للرأى والاجتهاد فيه .

٣- وكان غير معروف بالأخذ عن ثقافة أهل الكتاب.

٤- صحة السند إليه .

فإذا لم نجد بغيتنا ضمن أقوال الصحابة انتقلنا لأقوال التابعين ، وهم الذين عاصروا الصحابة وأخذو العلم عنهم .

فقد زكاهم رسول الله ﷺ بعد تزكيته لصحابته فى قوله " خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ."

وقد أثنى عليهم الصحابة أيضا وأرشدوا الناس إلى الأخذ عنهم فى عصرهم .

فها هو سعيد بن جبير مثلا يقول عنه أستاذه عبد الله بن عباس رضى الله عنه لأهل الكوفة الذين جاءوا يستفتونه:

" أليس فيكم ابن أم الدهماء" يعني سعيد بن جبير.[٢٠]

وبمثل هذا القول يقول ابن عباس عن عطاء بن أبي رباح لأهل مكة حينما أتوه سائلين : " تجتمعون إلى يا أهل مكة وعندكم عطاء؟ "[٢١]

---

[٢٠] - تهذيب التهذيب :١٢/٤

[٢١] -تهذيب التهذيب :١٢/٧

وهذا مجاهد يقول "عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة"[22] أى لتمام ضبطه وحسن قراءته وأدائه .

ويقول أيضا " عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات ، من فاتحته إلى خاتمته ، أوقفه عند كل آية وأسأله عنها" [23]

ويلاحظ هنا أن العلماء انقسموا فى الأخذ بأقوال التابعين فى التفسير إلى فريقين ، فريق يرى ضرورة الأخذ بتفسيرهم ، نظرا لتلمذتهم على أيدى الصحابة ، ولثناء الرسول والصحابة عليهم ، وفريق يرى عدم الأخذ بتفسيرهم ، وحجة ذلك الفريق :

١- أن التابعين لم يسمعوا من رسول الله ﷺ، كما سمع الصحابة.

٢- أنهم لم يشاهدوا الوحى والتنزيل ، ولم يعايشوا ملابسات القرآن ، فتفسيرهم عرضة للخطأ.

٣- أن عدالة التابعين غير ثابتة ، كما ثبتت للصحابة .

والذى أميل إليه فى هذا الموضوع :

١- أن التابعين إذا أجمعوا على شئ كان إجماعهم حجة ، ويجب الأخذ بقولهم ، لأن الإجماع لابد وأن يستند إلى دليل شرعى ولا تجتمع الأمة على ضلالة .

٢- أما إذا اختلفوا ، فلا يكون قولهم حجة.

٣- فإن قال أحدهم بتفسير ، ولم يأت تفسير غيره :

أ- فإن كان مما لامجال للرأى فيه ، ولم يعلم عن هذا التابعي أخذ عن ثقافة أهل الكتاب ، فالأخذ به أولى من تركه.

---

[22] - ميزان الاعتدال : ٩/٣.

[23] - تفسير الطبري : ٩٠/١ دار المعارف .

لاحتمال أن يكون سمعه من صحابى أخذه هو الآخر بدوره عن رسول الله ﷺ .

ب- أما إذا كان فى مجال للرأى والاجتهاد فيه نصيب ، فنحن مخيرون بين قبوله ورده .

قال ابن تيمية رحمه الله :

" قال شعبة بن الحجاج وغيره : أقوال التابعين فى الفروع ليست حجة ، فكيف تكون حجة فى التفسير ؟

يعنى أنها لا تكون حجة على غيرهم ، ممن خالفهم وهذا صحيح.

أما إذا اجتمعوا على الشئ ، فلا يرتاب فى كونه حجة.

فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ، ولاعلى من بعدهم ، ويرجع فى ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب ، أو أقوال الصحابة فى ذلك.[٢٤]

هذه هى المصادر الأصيلة للتفسير بالمأثور ، ونستطيع أن نوجز أنواع الأصيل فى المأثور على النحو التالى :

١-تفسير القرآن بالقرآن

٢-تفسير القرآن بالسنة.

٣- تفسير القرآن بأقوال الصحابة ، وهذا النوع الثالث يشمل ما يأتى :

أ- ما يأخذ حكم المرفوع إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

ب- ما أجمع عليه الصحابة.

جـ ما اختلف فيه الصحابة.

---

[٢٤] - مقدمة في أصول التفسير : ١٠٥

وأقوال الصحابة تعتبر أصيلة فى التفسير بشرط إذا لم تتعارض مع القرآن أو السنة أو العقل.

٤-أقوال التابعين : وهذا النوع يشمل ما يأتى :

أ- ما يعامل معاملة المرفوع ، وهو مرسل التابعين فيما لا مجال للرأى والاجتهاد فيه ، ولم يعرف بالأخذ عن بنى إسرائيل ، وكان من أئمة التابعين الذين أخذوا أغلب تفسيرهم عن الصحابة ، واعتضد هذا المرسل بمرسل آخر مثله ، أو بشاهد أو تابع.

ب- ما أجمع عليه التابعون.

الأصيل في الرأي

فإذا لم يجد المفسر آية فى القرآن تفسر له تلك الآية التى يبحث عن معناها ؛ ولم يجد فى ذلك حديثاً عن رسول الله ﷺ أو قولا لأصحابه أو التابعين ، أعمل العقل ، وأجيد الفكر ، متمسكاً فى ذلك بقواعد الشرع ، وقوانين اللغة ، ومقدماً المعنى الحقيقى على المجازى إلا لقرينة صارفة عنه ، مع مراعاة المعانى المستعملة فى العهد النبوى ، والشروط الواجب توافرها فيمن يتصدى لتفسير كتاب الله تعالى والإلمام بأدوات المفسر ، والعلوم التي يرتكز عليها ، بالإضافة إلى الأمور الواجب البعد عنها والتى قررها العلماء فى مواطنها وهى :

١- التفسير من غير تحصيل العلوم التي يجوز معها التفسير.

٢- التفسير للمتشابه ، الذى لا يعلمه إلا الله عزوجل .

٣- التفسير المقرر للمذهب الفاسد ، بأن يجعل المذهب أصلاً ، والتفسير تابعاً ، فيتكلف فى التفسير ، ويتعسف من أجل خدمة مذهبه أو على الأقل حتى لا يصطدم مع مبادئه الفاسدة.

٤- التفسير مع الجزم بأن مراد الله كذا من غير دليل.

٥- التفسير بالاستحسان والهوى .[25]

فإذا فسر المفسر برأيه قرآن الله تعالى مراعياً ما ذكرناه سابقاً كان تفسيره أصيلاً ، وكان رأيه محموداً .

وبناء على ما سبق فإننا نستطيع أن نضع تعريفاً للأصيل بنوعيه المأثور، وبالرأى فنقول :

" **الأصيل هو : ما ثبت عن طريق القرآن أو السنة ، أو أقوال الصحابة أو أقوال التابعين ثبوتاً مقبولاً ، أو ما ورد عن طريق التفسير بالرأى المحمود** "

---

[25] – ذكر هذه الأمور ابن النقيب ، ونقلها عنه السيوطي في الإتقان :٢/١٨٣.

الدخيـــــل

وبعد أن ذكرنا تعريف الأصيل فى لغة العرب ، وما يقصد به فى محيط التفسير ، نأتى إلى تعريف الدخيل كذلك لغة واصطلاحا .

أما فى اللغة ، فيقول الراغب الأصفهانى :

"والدخل كناية عن الفساد ، والعداوة المستبطنة ، وعن الدعوة فى النسب".

إلى أن يقول : " والدخل : طائر ، سمى بذلك لدخوله فيما بين الأشـــجار الملتفة ."[٢٦]

ويقول ابن منظور:

والدخل : ما داخل الإنسان من فساد فى عقل ، أو جســم ، وقـد دخل دخلا، ودخل دخلا فهو مدخول ، أى فى عقلـــه دخـــل ، والدخـــل والدخل: العيب الداخل فى الحسب ، ورجل مدخول : إذا كان فى عقلـــه دخل ، أو في حسبه ، ورجل مدخول الحسب ، وفلان دخيل فـــى بنـــى فلان: إذا كان من غيرهم فتدخل فيهم ، والأنثى دخيل ."[٢٧]

وحول هذا المعنى تدور عبارات صاحب القاموس المحيط ، الذى أورد عدة استعمالات ، لهذا اللفظ كلها ترجع إلى المعنى الذى قرره كـــل من الراغب الأصفهانى ، وابن منظور ، إلى أن يقول:

"وهو دخيل فيهم ، أى من غيرهم ، ويدخل فيهم ، والدخيل : كل كلمـــة أدخلت فى كلام العرب ، وليست منه." [٢٨]

---

٢٦ – المفردات ، ط دار المعرفة.

٢٧ – لسان العرب ، باختصار : مادة دخل : ١٣٤٣/٢

٢٨ – القاموس المحيط : ٣٧٥/٣ ط المكتبة التجارية.

ويقول صاحب المصباح المنير:

"وفلان دخيل بين القوم ، أى ليس من نسبهم ، بل هو نزيل بينهم ، ومنه قيل هذا الفرع دخيل فى الباب ، ومعناه أنه ذكر استطراداً ، ومناسبة ، ولا يشتمل عليه عقد الباب" (٢٩)

... من هذه النصوص السالفة نلاحظ أن الدخيل فى اللغة يستعمل فى الألفاظ ، والمعانى ، والأشخاص ، ونحو ذلك .

وأنه يطلق على ما ليس له أصل ثابت ، ولم يقم على أساس متين، أو ركن ركين ، فى ذلك المجال الذى اقتحمه.

وبناء على تقسيمنا للأصيل إلى أصيل فى المنقول ، وأصيل فى الرأى ، نستطيع أن نقول : إن الدخيل ينقسم – كذلك إلى دخيل فى المنقول ودخيل فى الرأى ....

وعليه فإننا إذا أردنا وضع تعريف اصطلاحي لهذا الدخيل – بنوعيه– فإننا نستطيع أن نقول :

الدخيل فى مجال التفسير هو :

ما نسب كذباً إلى الرسول ﷺ ، أو إلى صحابى ، أو تابعى ، أو ما ثبتت روايته إلى صحابى أو تابعى ، ولكن هذه الرواية فقدت شروط القبول .

ويطلق أيضا على : ما صدر عن رأى فاسد ، لم تتوافر فيه تلك الشروط...

---

٢٩ – المصباح المنير : ٢٩٢/١ ط الأميرية .

أنواع الدخيل فى المأثور و فى الرأى

من خلال تعريفنا لكل من الأصيل والدخيل ، ومن خلال النظر إلى ما يضاد الأصيل فى المأثور ، وما يضاد الأصيل فى الرأى نستطيع أن نلاحظ عدة أنواع للدخيل فى المأثور ، وللدخيل فى الرأى

أنواع الدخيل فى المأثور

ويضم الدخيل فى المأثور الأنواع التالية:

١- الأحاديث الموضوعة على الرسول ﷺ

٢- الأحاديث الضعيفة ، خاصة إذا كان ضعفها لا ينجبر بحال من الأحوال. بأن كان فى إسنادها من هو غير عدل .

٣- الإسرائيليات المخالفة للقرآن أو السنة ، أوالتي لا يعرف لها موافقه ولا مخالفة ، وهو ما يعبر عنه بالمسكوت عنه .

أما الأسرائيليات الموافقة لما عندنا فلا تعتبر دخيلاً.

٤- ما نسب إلى الصحابة ولم يثبت عنهم .

٥- ما نسب إلى التابعين ولم يثبت عنهم .

٦- ما تعارض من أقوال الصحابة مع القرآن أو السنة أو العقل تعارضاً حقيقياً ، ولا يمكن الجمع بينه وبين هذه الأشياء .

٧-ما تعارض من أقوال التابعين مع القرآن أو السنة أو أقوال الصحابة أو العقل ، تعارضاً حقيقياً لايمكن الجمع بينه وبين هذه الأشياء.

أنواع الدخيل فى الرأى

تتعدد أنواع الدخيل فى الرأى وفقاً لسبب الخطأ فى التفسير بالرأى، فهذه الأسباب متعددة يأتى على رأسها ما يلى :

١- الإلحاد فى آيات الله تعالى مع سوء القصد .

٢- الأخذ بظاهر المنقول ، ودون النظر إلى ما يليق بذاته تعالى ، وما لا يليق .

٣- تحريف النصوص الشرعية عن مواضعها ، وتعطيلها ، وصرفها عن ظواهرها .

٤- التنطع فى استخراج معانٍ من باطن النصوص ، ودون دليل عليها.

٥- التنطع فى اللغة والنحو ، والخروج عن القواعد المألوفة فيهما.

٦- تفسير القرآن الكريم ، دون الإلمام بشروط المفسر ، واستكمال العلوم الواجب توافرها فيه.

٧-التكلف فى التوفيق بين النصوص القرآنية ومكتشفات العلم الحديث.

وبناء على تلك الأسباب ، فإن لكل سبب نوعاً من أنواع الدخيل فى التفسير بالرأى على النحو التالى .

١-الدخيل عن طريق الملاحدة ، ويأتى على رأس هؤلاء فرق الباطنية قديماً ، والبهائية والبابية والقاديانيةحديثاً.

٢-الدخيل عن طريق المشبهة والمجسمة.

٣-الدخيل عن طريق الفرق الإسلامية المبتدعة ، كالشيعة والمعتزلة.

٤-الدخيل عن طريق الشطحات الصوفية.

٥-الدخيل عن طريق اللغة والنحو.

٦-الدخيل عن طريق افتقاد المفسر لأدوات التفسير قديماً وحديثاً .

٧- الدخيل عن طريق التفسير العلمى ، كما وقع ويقع لكثير ممن يتحدثون فى الإعجاز العلمى للقرآن ، بدعوى أن القرآن سبق العلماء بأكثر من أربعة عشر قرناً ، فى الحديث عن أمور كونية وأنفسية لم يعرف عنها العلماء شيئاً إلا فى أيامنا هذه.

٢- نشأة الدخيل والتصدى له:

بقليل من التأمل فى آيات القرآن الكريم نفسها ، وفى بعض أسباب النزول يتبين لنا أن الدخيل نشأ فى عصر نزول القرآن الكريم ، وإن كان فى غاية القلة، ولكنه أخذ بعد ذلك ينمو شيئاً فشيئاً ، حتى بدت له أنواع متعددة ، وألوان كثيرة ، ولازال عصرنا الحاضر يشهد اختراع بعض هذه الأنواع .

نعم إن الدخيل قد نشأ فى عصر نزول القرآن ، وكان له فى ذلك العصر مصدران :

المصدر الأول : من خلال شبهات الكفار ، الذين يريدون إظهار القرآن بمظهر المتناقض مع نفسه ، ليتوصلوا بذلك إلى أنه ليس من عند الله ، فيتم لهم بذلك الطعن فى نبوة الرسول ﷺ

ومن أمثلة ذلك ما أخرجه الإمام مسلم وغيره عن المغيرة بن شعبة قال "بعثنى رسول الله ﷺ إلى نجران ، فقالوا : أرأيت ما تقوؤن (ياأخت هارون)[٣٠] وموسى قبل عيسى بكذا وكذا ، فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ

فقال : ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم[٣١]

إن أهل نجران أرداوا أن يلبسوا الأمر على المسلمين ، زاعمين أن القرآن قد جعل مريم أختاً لهارون الذى هو أخو موسى عليهما السلام بينما هناك فترة زمنية طويلة بين موسى وعيسى فتصدى رسول الله ﷺ لهذة الشبهة السخيفة الدخيلة ، وبين أن هارون هذا ليس هو أخا موسى ،

---

[٣٠] - مريم : ٢٨ .

[٣١] - مسلم : كتاب الآداب ، باب (٩) .

وإنما هو هرون آخر، لأن السابقين كانوا يفضلون أن يسموا أبناءهم بأسماء الأنبياء والصالحين الذين كانوا قبلهم .

أما المصدر الثانى لنشأة الدخيل فى العهد النبوى فهو: فهم بعض صحابة رسول الله ﷺ ولكن ليس عن سوء قصد ، وإنما كان للبس حدث لهم، نتيجة تعجلهم فى فهم الآية ، دون مراعاة الآيات الأخرى ، أو دون التدبر فى اللفظ القرآنى .

فكان الله تعالى يزيل لهم هذا اللبس ، كما كان الرسول ﷺ يقوم بتلك المهمة ، مع ملاحظة أن هذه الوقائع كانت فى غاية الندرة ، ربما لا تصل إلى عدد أصابع اليد الواحدة ، ومن أمثلة ذلك مايأتى .:

أ-ما حدث من فهم خاطئ لقوله تعالى(**وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود**)[٣٢] فقد فهم بعض الصحابة أن المراد بالخيط الأبيض والخيط الأسود حقيقتهما ، لدرجة أن بعضهم كان يربط فى رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود ، ولايزال يأكل ويشرب حتى تتبين له رؤيتهما ، وربما لا تتبين الرؤية إلا بعد دخول وقت الفجر ، فأخبروا رسول الله ﷺ بذلك ، فأنزل الله كلمة (من الفجر) ليرفع هذا اللبس ، وليوضح أن المراد بالخيط الأبيض والأسود ليس حقيقتهما وإنما المراد بياض النهار وسواد الليل .

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده عن سهل بن حزم قال :

أنزلت (**وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود**) ولم ينزل (من الفجر) ، وكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم فى رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود ، ولا يزال يأكل حتى يتبين له

---

٣٢ - البقرة : ١٨٧

رؤيتهما ، فأنزل الله تعالى بعده (من الفجر) فعلموا أنما يعنى الليل والنهار[٣٣]

كما أخرج البخارى فى الموضع ذاته ، وغير البخارى عن عدى بن حاتم أنه جعل تحت وسادته خيطين أبيض وأسود ، جعل ينظر إليهما ، فلا يتبين له الأبيض من الأسود ، فغدا على رسول الله ﷺ فأخبره فقال : إن وسادك إذا لعريض ، وإنما ذلك بياض النهار من سواد الليل ."

ب- أخرج أحمد والشيخان وغيرهم عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : "من نوقش الحساب عذب ، قلت: أليس يقول الله (**فسوف يحاسب حسابا يسيرا**) قال ليس ذلك بالحساب ، ولكن ذاك العرض.[٣٤]

فقد فهمت السيدة عائشة رضى الله عنها من الآية أن الحساب يعنى مناقشة الله تعالى لأهل اليمين فيما عملوا مناقشة يسيرة ، ومراجعة لطيفة، ولذلك لما سمعت الرسول ﷺ يقول من نوقش الحساب عذب ظنت أن هناك معارضة بين الآية والحديث ، وحدث لها لبس فى الفهم ، فأزال عنها صلى الله عليه وسلم هذا اللبس وأخبرها أن المراد من الحساب فى الآية بالنسبة لأهل اليمين مجرد عرض الله تعالى أعمالهم عليهم دون مناقشة ولو يسيرة ، وهذا العرض من الله دون مناقشة الله من كمال المنة وتمام النعمة على المسلمين ، لأن من ناقشه في أعماله فلاشك أنه سيكون مستحقا للعقاب.

---

٣٣ - صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة البقرة.

٣٤ - أحمد في مسنده : ٤٧/٦ ، والبخاري في العلم باب (٣٥) ومسلم في الجنة باب (٧٩،٨٠).

جـ- أخرج الإمام أحمد عن البراء قال : جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فقال: علمنى عملاً يدخلنى الجنة ، قال اعتق النسمة وفك الرقبة ، قال : أو ليستا بواحدة ؟ قال : إن عتق النسمة أن تنفرد بعتقها ، وفك الرقبة أن تعين فى عتقها"[٣٥]

فقد ظن الأعرابى أن عتق النسمة وفك الرقبة شئ واحد ، أو لفظان مترادفان لمعنى واحد ، فبين الرسول ﷺ أن هذا منه فهم خاطئ، وأن هناك فرقا بينهما ، على نحوما جاء في الحديث .

د- ومن ذلك ما أخرجه البخارى وغيره عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال :

لما نزلت (**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**)[٣٦] شق ذلك على المسلمين وقالوا : أينا لا يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله ﷺ : " ليس ذلك ، إنما هو الشرك ، ألم تسمعوا قول لقمان لابنه (**يابنى لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم**)[٣٧]

فالصحابة لما فهموا من آية الأنعام عموم الظلم ، دفع عنهم الرسول ﷺ هذا الفهم الخاطئ ، وبين أن هذا العام قد خصص بالشرك المذكور فى سورة لقمان .

وهكذا يتبين لنا أن نشأة الدخيل قد ظهرت منذ عصر نزول القرآن ، والله تعالى يرد هذا الدخيل ، ورسوله ﷺ كذلك.

---

٣٥ - مسند أحمد : ٢٩٩/٤

٣٦ - الأنعام :٨٢

٣٧ - لقمان : ١٣ ، والحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، في تفسير سورة الأنعام.

ولما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ظل الدخيل واقفاً عند حد الندرة فى عهد الخلفاء الثلاثة أبى بكر وعمر وعثمان وصدر خلافة علىّ ومما يروى من الدخيل فى ذلك ما أخرجه عبدالرازق فى مصنفه ونقله عنه الحافظ ابن حجر فى كتابه (الإصابة فى تمييز الصحابة) عن تأول أحد الصحابة وهو قدامة بن مظعون أخو عثمان بن مظعون لآية المائدة (**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا**) وشرب الخمر ، وزعم أنه لا حرج فى شرب الخمر إذا كان الإنسان مؤمناً تقياً ، فحده عمر بن الخطاب ورد عليه هذا الدخيل فى فهم الآية ، قائلا له "أخطأت التأويل ، أنت إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله ".

وهذه الرواية كما يلى :

قال عبد الرازق : "أنبأنا معمر ، عن إبن شهاب ، أخبرنى عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عمر استعمل قدامة بن مظعون على البحرين ، وهو خال حفصة وعبد الله بن عمر ، فقدم الجارود سيد عبد القيس على عمر من البحرين ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن قدامة شرب فسكر، وإنى رأيت حداً من حدود الله ، حقاً علىّ أن أرفعه إليك ، قال : مَنْ يشهد معك؟ قال أبو هريرة : فدعا أبا هريرة ، فقال : بِمَ تشهد ؟ قال : لم أره شرب ، ولكنى رأيته سكران يقئ ، فقال : لقد تنطعت فى الشهادة .

ثم كتب إلى قدامة أن يقدم عليه من البحرين ، فقدم فقال الجارود : أقم على هذا كتاب الله ، فقال عمر : أخصم أنت أم شهيد ؟ فقال : شهيد ، فقال : قد أديت شهادتك قال : فصمت الجارود ، ثم غدا على عمر فقال : أقم على هذا حد الله ، فقال عمر : ما أراك إلا خصما ، وما شهد معك

إلا رجل واحد ، فقال الجارود : أنشدك الله ، فقال عمر : لتمسكن لسانك أو لأسوءنك .

فقال : يا عمر ، ما ذلك بالحق أن يشرب ابن عمك الخمر وتسوؤنى ، فقال أبو هريرة يا أمير المؤمنين ، إن كنت تشك فى شهادتنا فأرسل إلى ابنة الوليد فاسألها ، وهى امرأة قدامة ، فأرسل عمر إلى هند بنت الوليد ينشدها ، فأقامت الشهادة على زوجها.

فقال عمر لقدامة : إنى حادك ، فقال : لو شربت كما تقول ما كان لكم أن تحدونى ، فقال عمر : لمَ ؟ قال قدامة :قال الله عز وجل (**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا**) ، فقال عمر أخطأت التأويل ، أنت إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرمَ الله.

ثم أقبل عمر على الناس فقال : ما ترون فى جلد قدامة ؟ فقالوا: لا نرى أن تجلده مادام مريضا ، فسكت على ذلك أياما ، ثم أصبح وقد عزم على جلده فقال : ما ترون فى جلد قدامة ؟ فقالوا لانرى أن تجلده مادام وجعا ، فقال عمر : لأن يلقى الله تحت السياط أحب إلىّ من أن ألقاه وهو فى عنقى ، ائتونى بسوط تام ، فأمر به فجلد.

فغاضب عمر قدامة وهجره ، فحج عمر ، وحج قدامة وهو مغاضب له ، فلما قفلا من حجهما ونزل عمر بالسقيا نام ، فلما استيقظ من نومه قال : عجلوا بقدامة ، فوالله لقد أتانى آت فى منامى فقال لى : سالِمْ قدامة ، فإنه أخوك ، عجلوا علىّ به ، فلما أتوه أبى أن يأتى ، فأمر به عمر أن يجروه إليه ، فكلمه واستغفر له.

وقال عبد الرزاق عن ابن جريج عن أيوب : لم يحد أحد من أهل بدر فى الخمر إلا قدامة بن مطعون ، يعنى بعد النبى ﷺ .[٣٨]

---

٣٨ - الإصابة : ٣٢٣/٥ ، ٣٢٤

ولما كانت خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنـــه ، وحدثـت فتنـــة التحكيم وعلى أثرها افترق المسلمون شيعا وأحزابـــا ، وظـــهرت علـــى الساحة الإسلامية فرق الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية والمعتزلـة ، كل منها تفسر القرآن حسب هواها ، بحيث يخدم مبادئها ، أو على الأقـل لايتصادم معها ، فجعلت المذهب أصلاً والتفسير فرعا كما ظـــهر علـــى الساحة أيضا جماعات المتصوفة ، الذين كان لبعضهم شطحات ما أنـــزل الله بها من سلطان ، إضافة إلى الباطنية الذين ادعوا أن للقرآن ظـــاهراً وباطناً ، وأن الباطن هو المراد ، والظاهر غير مـــراد ، توصـــلا إلـــى التحلل من شريعة الإسلام ، والقضاء عليه من خلال تفسـير نصوصـــه تفسيرا فاسدا ووجدنا فى العصر الحديث بعض الفرق التى تعتبر امتداداً للباطنية القديمة .

وهى فرق البابية والبهائية والقاديانية ، كما وجدنا نوعا آخر ظهر علـــى أيدى بعض العلماء الذين حاولوا التوفيق بين النصوص القرآنية وبعـــض مكتشفات العلم الحديث ، وأطلقوا على ذلك الإعجاز العلمـــى للقـــرآن ، فظهر فى توفيقهم هذا كثير من التعسف الذى اعتبر لونا جديدا من ألـــوان الدخيل فى تفسير القرآن الكريم ، ولاندرى ما يخبئه لنا الغد القريـــب أو البعيد من ألوان أخرى للدخيل .

كان هذا باختصار إشارة سريعة لنشأة الدخيل وتطوره .أما عن التصدى له والرد عليه ، فكان ذلك منذ نشأته أيضاً وكان الذى تصدى له فى أول الأمر هو الله تعالى ، حيث كان يرد على شبهات المشركين ويفندها[٣٩] ،

[٣٩] - فى مثل تلك الشبهه التى أثارها المشركون فى قوله تعالى (إنكم وما تعبـــدون مـــن دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) حيث قالوا إن الملائكة وعيسى وعزيرا عبدوا من دون الله فكيـــف يخلدون فى جهنم ، فرد الله عليهم بقوله (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون)

ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الصحابة والتابعون وسائر علماء الأمة فى كل عصر ومصر إلى الآن يذبون عن القرآن كل فهم دخيل ، حتى وجدنا بعض من يقع فى بعض أنواع الدخيل ينتقد الألوان الأخرى ، كما حدث للزمخشرى ، فتراه مثلاً يحرف المعنى المراد من الآية تحريفاً يتمشى مع مبادئ المعتزلة ، ويذكر فى نهاية كل سورة الحديث الموضوع فى فضلها ، ولكن ينتقد كثيرا من الأسرائيليات وغير ذلك من بعض أنواع الدخيل .

ولكن العصر الحاضر شهد اهتماما خاصا من العلماء بتخصيص جهد كبير منهم لمواجهة هذا الدخيل ، وكان من أبرز هؤلاء :

١- فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد الذهبى عليه رحمة الله ، حيث ألف فى ذلك كتابين : " الإسرائيليات فى التفسير والحديث " والاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن في كتابه القيم " التفسير والمفسرون" .

٢- فضيلة الأستاذ الدكتور /محمد أبو شهبه رحمه الله تعالى وله فى ذلك كتاب " الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير"

٣-فضيلة الأستاذ الدكتور/عبد الوهاب عبد الوهاب فايد رحمه الله حيث ألف فى ذلك كتاباً درسه على طلبة كلية أصول الدين ، وكان لى شرف التلمذة على يديه فى هذه المادة وهو ــ فيما أعلم ــ أول كتاب يدرس فى هذه المادة على طلاب الجامعة ، وقد أفاد كل من بعده من هذا الكتاب وقد حكم أستاذنا الدكتور / إبراهيم عبد الرحمن خليفة على القيمة العلمية لهذا الكتاب بقوله "ولعل خير ما ألف في هذا الباب من البحوث القيمة التي حازت إعجابي بالفعل ، هو بحث أخي وصديقي الأستاذ الدكتور / عبد الوهاب عبد الوهاب فايد ، الذي نال به درجة الأستاذية" (الدخيل في التفسير :١٣).

٤- فضيلة الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عبد الرحمن خليفة حفظه الله وأطال في عمره ، حيث ألف في ذلك كتابه القيم " الدخيل في التفسير "وهو رغم عدم تناوله إلا صنفاً واحداً من أصناف الدخيل ، وهو الأحاديث الموضوعة ، إلا أن الكتاب قد اشتمل على عدة مباحث مهة لا غنى عنها للباحثين في مجال التفسير .

وأرى أن هؤلاء العلماء الأربعة لهم الفضل الكبير بعد الله تعالى على كل من كتب في الدخيل ، أو قرأ فيه.

وأعترف لهم جميعا بذلك فقد أفدت منهم ومن كتبهم أيما إفادة.

فجزاهم الله عني وعن طلاب العلم خير الجزاء.

وكان من أعظم ما فعلته كلية أصول الدين في جامعة الأزهر أن جعلت الدخيل مادة مقررة ضمن المقررات التي تدرس على طلابها ولم تكتف بذلك ، بل تصدت لتنقية كتب التراث من الدخيل ، فتوجهت همم طلاب الدراسات العليا في رسائل الماجستير والدكتوراة إلى هذه التنقية ، وكان من فضل الله عليّ أن توجهت همتي لتنقية تفسير الخطيب الشربيني من الدخيل الوارد فيه ، وحصلت بذلك على رسالة الماجستير عام ١٩٨٦م .

ويعتبر هذا الكتاب جزءاً من تلك الرسالة ، وهو جهد المقل ، ولكن ثواب الله هو المرتجى ، وتحذير المسلمين من الدخيل هو المبتغى ، فلله الحمد والمنة، حيث منه الحول والقوة .

الباب الأول
الدخيـــل في المنقـــول

الفصل الأول : الإسرائيليـــــــــات

الفصل الثانى: الأحاديث الموضوعة

(تنبـــيه)

بناء على تقسيمنا الدخيل إلى دخيل فى المنقول ، ودخيـل فـى الرأى ، فإن حديثنا سيشمل القسمين معاً .

ولكننا سنقصر إن شاء الله الحديث على أخطر أنواع الدخيـل، وأكثرها ذيوعاً وانتشاراً فى كتب التفسير وبين جماهير المسلمين.

وسنختار إن شاء الله تعالى بالنسبة للدخيل فى المنقول مايلى:-

١- الإسرائيليات.

٢- الأحاديث الموضوعة .

وبالنسبة للدخيل فى الرأى سنختار ما يلى :

١-الدخيل عن طريق اللغة .

٢-الدخيل عن طريق الإلحاد المتعمد من الفرق الضالة المضلة مثل:

أ- الدخيل عن طريق الباطنية.

ب- الدخيل عن طريق القاديانية.

جـ الدخيل عن طريق البهائية.

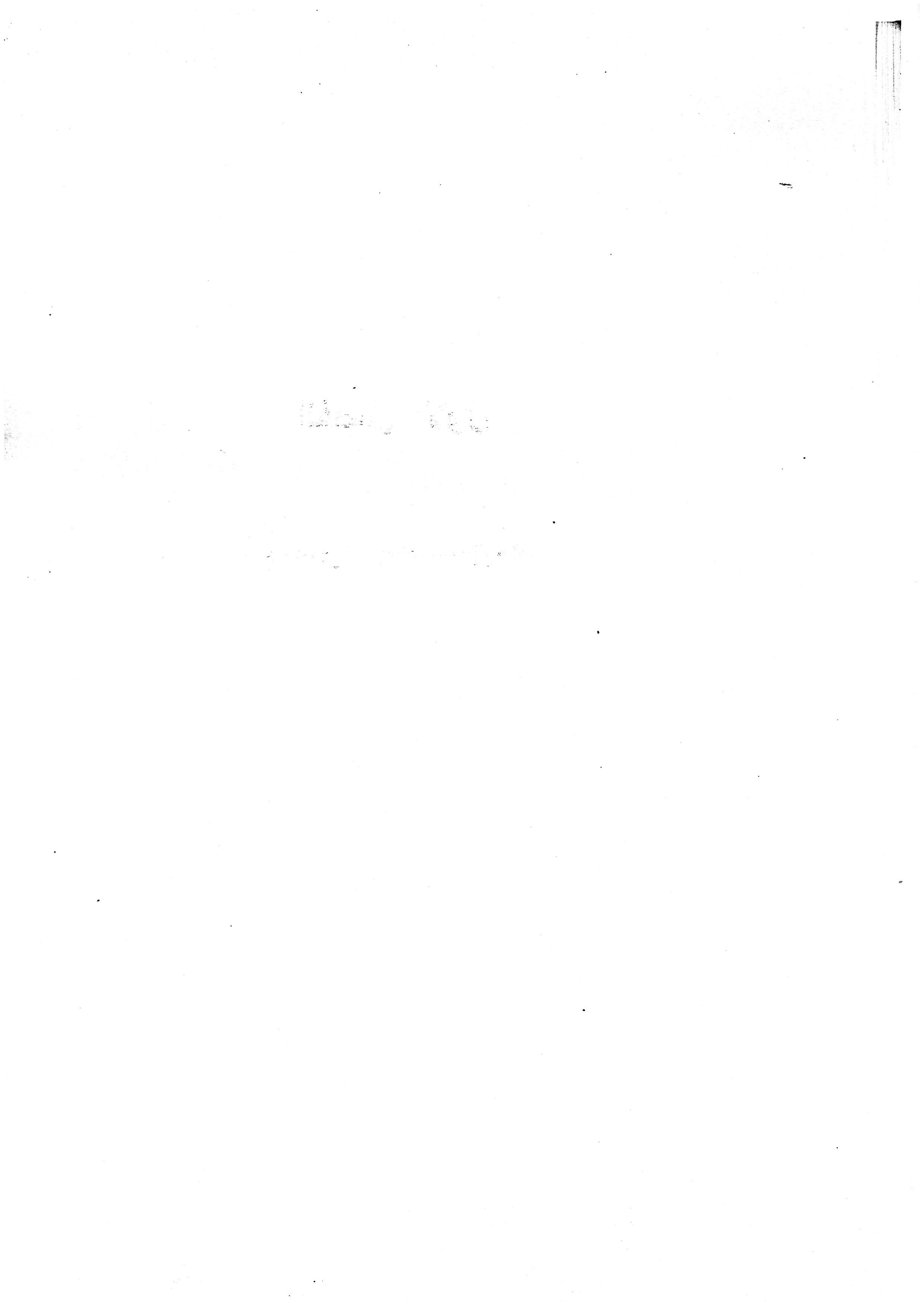
٣- الدخيل عن طريق الصوفية.

٤- الدخيل عن طريق التفسير العلمى.

فإلى شئ من التفصيل لهذه الأنواع ، سائلين المولى عز وجل التوفيـق والرشاد.

الفصل الأول

الإســرائيلـــيات



الفصل الأول

الإسرائيليـــــيات

هذا نوع من أنواع الدخيل النقلي فى التفسير، بل من شر أنواعه فلقد تجرع المسلمون سموم آثاره قديما وحديثاً ، وبه شوهت ثقافتـــهم ، وسودت كتبهم ، وامتلأت آذانهم بالأساطير ، والخرافات والأعاجيب ، وعرف باسم الإسرائيليات.

والإسرائيليات مفردها إسرائيلية ، وهى فـــى أصــل إطلاقــها حكاية، أو قصة تذكر ، عن مصدر إسرائيلي نسبة إلى بنى إسرائيل .

وبنو إسرائيل ينسبون إلى جدهم الأعلى إسرائيل عليه السلام ، وهـــو يعقوب ابن اسحق ، بن ابراهيم ، خليل الله تعالى.

وهذه التسمية تطلق على أبناء يعقوب ، ومن جاء من ذريتـــهم إلى عهد رسولنا محمد بن عبد الله ، ولكن غلب إطلاق لفظ اليهود على من تناسل من أبناء يعقوب ولم يؤمن بعيسى عليه السلام ، أما من آمــن بعيسى ، فهم أصبحوا يعرفون باسم النصارى.

أما من شرح الله صدره للإسلام من هؤلاء وأولئــك فــأصبحوا يعرفون باسم : مسلمى أهل الكتاب.

وكان لكل من اليهود والنصارى ثقافة دينية تميز كلا منهما عما عداهما.

أما اليهود فإن ثقافتهم تعتمد أول ما تعتمد على التوراة ، التـــى أشار إليها القرآن الكريم (**إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور**)[1]

---

[1] - سورة المائدة : آية ٤٤

ودل على بعض ما جاء فيها من أحكام بقوله :(**وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص**)[٢].

وكثيرا ما يستعمل المسلمون واليهود أنفسهم لفظ التوراة ، ويطلقونه على كل الكتب المقدسة عند اليهود ، فيشمل الزبور وغيره ، وتسمى التوراة بما اشتملت عليه من الأسفار الموسوية وغيرها: العهد القديم.

وكان لليهود بجانب التوراة سنن ، ونصائح ، وشروح لم تؤخذ عن موسى بطريق الكتابة وإنما تحملوها ونقلوها بطريقة المشافهة، ثم نمت على مرور الزمن ، وتعاقب الأجيال ، ثم دونت وعرفت باسم التلمود ، ووجد بجوار ذلك كثير من الأدب اليهودى ، والقصص والتاريخ ، والتشريع ، والأساطير.

وأما النصارى فكانت ثقافتهم تعتمد – فى الغالب الأعم –على الإنجيل ، وقد أشار القرآن إلى أنه من كتب السماء التى نزلت على الرسل[٣] فقال:(**ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل**)[٤].

وغير هذا كثير من آيات القرآن التى تشهد له بذلك.

والأناجيل المعتبرة عند النصارى يطلق عليها وعلى كل ما انضم إليها من رسائل الرسل اسم العهد الجديد.

---

٢ - سورة المائدة : آية ٤٥.

٣ - مما هو معلوم بالضرورة لدي كل مسلم أن الإنجيل السماوي ليس هو الذي في أيديهم اليوم.

٤ - سورة الحديد : آية ٢٧.

والكتاب المقدس لدى النصارى يشمل التوراة والإنجيل ، ويطلق عليه: العهد الجديد والعهد القديم وكان طبيعياً أن يشرح الإنجيل بشروح مختلفة، كانت فيما بعد منبعاً من منابع الثقافة النصرانية.

كما وجد بجوار ذلك ما زاده النصارى ، من القصص، والأخبار، والتعاليم ، التى زعموا أنهم تلقوها عن عيسى عليه السلام - وهذا كله من ينابيع هذه الثقافة النصرانية.......

إذاً فقد كانت التوراة المصدر الاول لثقافة اليهود الدينية، كما كان الإنجيل المصدر الأهم لثقافة النصارى الدينية [٥]

ويبرز لنا فى هذا المقام سؤال مؤداه : هل يقتصر إطلاق هذا الاسم- الإسرائيليات ــ على ما يرجع إلى مصدر إسرائيلى فقط ؟ أم أن الأمر غير ذلك؟

ويجيب عن هذا التساؤل فضيلة الدكتور محمد الذهبى قائلاً :

"إن لفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهره على القصص الذى يروى أصلا عن مصادر يهودية يستعمله علماء التفسير والحديث ويطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودية ، فهو فى اصطلاحهم يدل على كل ما تطرق إلى التفسير والحديث، من أساطير قديمة، منسوبة في روايتها إلى مصدر يهودي ، أو نصرانى ، أو غيرهما.

بل توسع بعض المفسرين والمحدثين، فعدوا من الإسرائيليات ما دسه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث ، ومن أخبار لا أصل لها فى مصدر قديم ، وإنما هى أخبار من صنع أعداء

٥- التفسير والمفسرون : ١٦٥/١ ــ ١٦٧.

الإسلام ، صنعوها بخبث نية ، وسوء طوية ، ثم دسوها على التفسير والحديث ، ليفسدوا بها عقائد المسلمين ، كقصة الغرانيق ، وقصة زينب بنت جحش ، وزواج الرسول ﷺ منها".[6]

وهذه الإجابة السابقة عن السؤال السابق تقودنا إلى سؤال آخر ، ألا وهو :

إذا كان علماء المسلمين قد توسعوا فى إطلاق هذه التسمية حتى تشمل غير ثقافة بنى إسرائيل فلماذا غلب اللون اليهودى على غيره ؟

وللإجابة عن هذا السؤال نقول :

إن ثقافة اليهود كانت أوسع وأعم من ثقافة غيرهم ، وكان اليهود أكثر أهل الكتاب صلة بالمسلمين ، والقرآن الكريم قد ذكر أنهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، ولذلك فلم تعوزهم الحيل إلى إفساد عقائد المسلمين ، فدخلوا الساحة من أكثر من باب ، كان أخطرها اعتناق طائفة منهم الإسلام ، ليس حباً فيه ؛ ولكن رغبة فى القضاء عليه وإظهاره أمام الناس بصورة الدين الذى لا هم له إلا الأساطير ، والخرافات ، والأباطيل.

فدخل عبد الله بن سبأ الإسلام – كما يقول ابن حزم [7] ليضل من أمكنه من المسلمين ، فنهج لطائفة رذلة كانوا يتشيعون فى على رضي الله عنه أن يقولوا بإلهية على ، كما نهج بولس لأتباع المسيح عليه السلام أن يقولوا بإلهيته.

---

[6] - الإسرائيليات في التفسير والحديث ، د/ محمد الذهبي :٢٠ ، ٢١ .

[7] - في الفصل في الملل والأهواء والنحل :٢٢٢/١

ومن هنا فقد قصدت هذه الطائفة المنافقة إدخال وترويج هذا الكم الهائل من الإسرائيليات فى ثقافة المسلمين للنيل منهم ومن دينهم ، فجاء غالب ما دخل من الخرافات والأباطيل فى كتب التفسير عن اليهود .

من أجل هذا غلب اللون اليهودى على غيره ، وأصبحت هـــذه التسمية-الإسرائيليات-تطلق على كل الأخبار التي لا أصل لها ، وإن لم تكن جاءت عن طريق ثقافة بنى إسرائيل.

متى وكيف تسربت الإسرائيليات إلى الثقافة الإسلامية ؟

من يتصفح كتب التاريخ يدرك أن الثقافة الإسرائيلية كان لها وجود فى شبه الجزيرة العربية ، قبل أن يرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق، فاليهودية قد وجدت فى اليمن مناخاً مناسباً، فأصبح لها فيه وجود ، والنضير وخيبر وقريظة قد شرحت صدورهم أيضاً لتلك الديانة ، أما شمال الجزيرة ومدينة الحيرة وإمارة الغساسنة فقد اعتنقوا النصرانية فأصبح لها فى هذه المناطق نفوذ وتمكين .

والقرآن الكريم يحدثنا عن رحلتى قريش ، إلى اليمن والشام شتاء وصيفا ، وفيهما كثير من أهل الكتاب يمثل اليهود الغالبية العظمى منهم.

وبحكم هذا الاحتكاك كان طبيعياً أن يتأثر العرب بثقافة أهل الكتاب ، وإن كان هذا التأثير محدوداً ، نظراً لحالة العرب الثقافية التى لاتشجع على تأثر رحب الآفاق ، متسع الأرجاء .

وحينما أذن الله لنوره أن يضئ المعمورة – مبدداً كل ظلام حل بها، فى غياب هذا النور– أرسل نبيه محمداً ﷺ إلى كافة الناس ، بشيراً ونذيراً، فبدأ دعوته فى مكة ، ولكنه لم يجد نفوسا طيبة يبذر فيها البذر الطيب ، فتلمس متنفساً خارج مكة ، فاختارت إرادة الله أهل المدينة وأرضهم ، ليكون للمسلمين دولة مرهوبة الجانب ، تحمى دين الله ، وتنشره فى أرجاء المعمورة كلها ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتى هى أحسن.

وفى المدينة – وبحكم الجوار– كثر احتكاك المسلمين بأهل الكتاب، وبخاصة اليهود ، فقد كان لهم وجود فى المدينة وخارجها ، وكان من البدهى نتيجة اختلاط المسلمين باليهود – جوارا ، وبيعاً ،

وشراء ومعاملة - أن توجد اللقاءات ، وتطرح الأفكار ، وتناقش المعتقدات والتقاليد.

وجد ذلك بين الرسول ﷺ واليهود من جهة ، وبين المسلمين من جهة واليهود أيضاً من جهة أخرى .

أما ما كان بين الرسول ﷺ واليهود : فبحكم طبيعة الرسالة الإسلامية ، وبحكم أمانة التبليغ الملقاة على عاتقه - ﷺ - للقاصى والدانى ، بحكم ذلك كله كان من باب أولى أن يعرض هذا الدين على من جاوره فى الدار، وجمعت بينهما المعاملة.

أما اليهود فكثيراً ما كانوا يسألون رسول الله- ﷺ -إما للفتوى، وإما للتثبت من نبوته ، والتأكد من صدق رسالته ، أو غير ذلك.

أخرج البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن عمر-رضى الله عنهما " أن اليهود جاءوا إلى النبى ﷺ برجل منهم وامرأة قد زنيا ، فقال لهم كيف تعملون بمنْ زنى منكم ؟

قالوا نُحمّمُهما [٨] ونضربهما ، فقال: لاتجدون فى التوراة الرجم ؟ فقالوا لا نجد فيها شيئاً ، فقال لهم عبد الله بن سلام: كذبتم ، فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ، فوضع مِدْراسُها الذى يدرسها منهم كفه على آية الرجم ! ، فطفق يقرأ ما دون يده عن آية الرجم ، فقال : ما هذا ؟ ، فلما رأوا ذلك قالوا : هى آية الرجم، فأمر بهما فرجما قريباً من حيث موضع الجنائز عند المسجد فرأيت صاحبها

---

٨ - اي نسكب عليهما الماء الحميم ، وقيل نسود وجوههما .

من حيث موضع الجنائز عند المسجد فرأيت صاحبها يجنأ[9] عليها يقيها الحجارة .[10]

ويحدثنا ابن جرير عن مناظرة جرت بينهم وبين رسـول الله- ﷺ- فى أمر نبوته ، حيث يقول :

"حدثنا أبو كريب قال : حدثنا يونس بن بكير عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس أنـه قـال : حضـرت عصابة من اليهود رسول الله ﷺ فقالوا : يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبى ، فقال رسول الله - ﷺ- سلوا عمـا شئتم ، ولكن اجعلوا لى ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه ، لئـن أنـا حدثتكم شيئا فعرفتموه لتتابعنى على الإسلام ، فقالوا: ذلك لـك ، فقـال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلونى عما شئتم .

فقالوا : أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن ، أخبرنا أى الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ؟

وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل ؟ وكيف يكون الذكر منـه. والأنثى؟

وأخبرنا بهذا النبى الأمى فى النوم ، من وليه من الملائكة ؟.

فقال رسول الله ﷺ عليكم عهد الله لئن أنا أنبأتكم لتتـابعنى ؟ فأعطوه ماشاء من عهد وميثاق فقال: نشدتكم بالذى أنزل التوراة علـى موسى هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضا شديدا فطال سقمه منـه ، فنذر نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب إليـه وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل.

---

٩ - اي يميل .

١٠ - البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، تفسير سورة آل عمران :١١٢/٣ .

قال أبو جعفر فيما أروى: وأحب الشراب إليه ألبانها ؟

فقالوا : اللهم نعم .

فقال رسول الله ﷺ: أشهد الله عليكم وأنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ ، وأن ماء المرأة أصفر رقيق ، فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله ، فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكرا بإذن الله ، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن الله .

قالوا : اللهم نعم ، قال : اللهم اشهد .

قال : وأنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبى الأمى تنام عيناه ولاينام قلبه ؟

قالوا : اللهم نعم ، قال: اللهم اشهد.

قالوا : أنت الآن تحدثنا من وليك من الملائكة ، فعندها نتابعك ، أونفارقك.

قال : فإن وليى جبريل ، ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه.

قالوا : فعندها نفارقك ، ولو كان وليك سواه من الملائكة تابعناك وصدقناك .

قال: فما يمنعكم أن تصدقوه ؟ قالوا فإنه عدونا.

فأنزل الله عز وجل **(من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله)** إلى قوله **(كأنهم لا يعلمون)**

فعندها باءوا بغضب على غضب [١٢].

وهكذا كانت المناظرات واللقاءات بين اليهود والرسول ﷺ.

---

١٢ - تفسير ابن جرير الطبرى:٣٧٧/٢، والآيات من سورة البقرة ٩٧-١٠١

أما الصحابة – رضوان الله عنهم – فكانوا إذا وصل إلى سمعهم شيء يخالف الشرع سارعوا بالرد عليه.

مدافعين عن عقيدتهم وشريعتهم ، مثل ما حدث بين أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – وفنحاص اليهودى ، مما كان سببا في نزول قوله تعالى: **(لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء، سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق)** [١٢]

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن اليهود – أخزاهم الله أبدا – كانوا يعرضون ثقافتهم على المسلمين.

فقد أخرج البخارى بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل الآية [١٣]

فإذا أضفنا إلي هذا الاحتكاك عاملا آخر ساعد في تسرب الثقافة الإسرائيلية إلى الثقافة الإسلامية فإننا سندرك أن هذا التأثير بدأ منذ عصر مبكر فإن القرآن الكريم قد حفل بقصص الأنبياء السابقين وأممهم ، ولكن بشيء من الإجمال ، فلم يهتم بالتفاصيل ولم يعتن بذكر الجزئيات التي لا تمت بشيء إلى موطن العبرة ، فلما رأى بعض الصحابة هذا الإجمال ذهبوا إلى مسلمي أهل الكتاب يسألونهم عن تفصيل هذا الإجمال ، ولم يكن رجوع الصحابة إليهم

---

[١٢] سورة آل عمران ، آية ١٨١ ، وانظر تفصيل الواقعة في تفسير الطبري ١٤٤/٧ .

[١٣] صحيح البخارى بكتاب التفسير بتفسير سورة البقرة ٩٩/٣، ١٠٠ والآيه من سورة البقرة رقم : ١٣٦ !

بدون ضوابط ، ولكن ذلك كان ضمن إطار محدود ، ومقيدا بقيود معينة.

فالصحابة - كما يقول فضيلة الدكتور محمد الذهبى- "لم يسألوا أهل الكتاب عن كل شئ ، ولم يقبلوا منهم كل شئ ، بل كانوا يسألون عن أشياء لا تعدو أن تكون توضيحا للقصة ، وبيانا لما أجمله القرآن منها ، مع توقفهم فيما يلقى إليهم ، فلا يحكمون عليه بصدق أو كذب ، ما دام يحتمل كلا الأمرين ، امتثالاً لقول الرسول ﷺ لا تصدقوا أهل الكتاب، ولاتكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل - الآية.

كما أنهم لم يسألوهم عن شئ مما يتعلق بالعقيدة ،أويتصل بالأحكام ، اللهم الا إذا كان على جهة الاستشهاد والتقوية لما جاء به القرآن.

كذلك كانوا لا يعدلون عما ثبت عن الرسول ﷺ من ذلك إلى سؤال أهل الكتاب ، لأنه إذا ثبت الشئ عن الرسول ﷺ فليس لهم أن يعدلوا عنه إلى غيره كما كانوا لا يسألون عن الأشياء التى يشبه أن يكون السؤال عنها نوعاً من اللهو والعبث ، كالسؤال عن لون كلب أهل الكهف، والبعض الذى ضرب به القتيل من البقرة ، ومقدار سفينة نوح، ونوع خشبها واسم الغلام الذى قتله الخضر، وغير ذلك.

ولذلك قال الدهلوى بعد أن بين أن السؤال عن مثل هذا تكلف ما لايعنى: "وكانت الصحابة رضى الله عنهم يعدون مثل ذلك قبيحاً ، من قبيل تضييع الأوقات"

كذلك كان الصحابة لايصدقون اليهود فيما يخالف الشريعة ، أو يتنافى مع العقيدة ، بل بلغ بهم الأمر أنهم كانوا إذا سألوا أهل الكتاب

عن شئ فأجابوا عنه خطأ ردوا عليهم خطـأهم ، وبينـوا لـهم وجـه الصواب فيه.

ومن ذلك ما رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه: " أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال :

فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله تعـالى شيئاً إلا أعطاه إياه، وأشار بيده يقللها" (١٤)

فقد اختلف السلف فى تعيين هذه الساعة ، وهل هـى باقيـة أو رفعت ؟ وإذا كانت باقية فهل هى فى جمعة واحدة من السنة ، أو فـى كل جمعة منها ؟

فنجد أبا هريرة ﷺ يسأل كعب الأحبار عن ذلك ، فيجيبه كعب بأنها فى جمعة واحدة من السنة، فيرد عليه أبو هريرة قوله هذا ، ويبين له أنها فى كل جمعة ، فيرجع كعب إلى التوراة ، فيرى الصواب مـع أبى هريرة ، فرجع إليه .

كما نجد أبا هريرة أيضا يسأل عبد الله بن سلام عن تحديد هـذه الساعة.

ويقول له : أخبرنى ولا تضن علىّ ، فيجيبه عبد الله بن سـلام : بأنها آخر ساعة فى يوم الجمعة .

فيرد عليه أبو هريرة بقوله :كيف تكون آخر ساعة فـى يـوم الجمعة وقد قال رسول الله ﷺ " لايصادفها عبد مسلم وهـو يصلـى" وتلك الساعة لايصلى فيها ؟

١٤- أخرجه البخارى فى صحيحه، فى كتاب، باب الساعة التى فى يوم الجمعـة.١/١٦٦ط عيسى.

فيجيبه عبد الله بن سلام بقوله: " ألم يقل رسول الله ﷺ : "من جلس مجلساً ينتظر الصلاة فهو فى صلاة حتى يصلى"[١٥]

فمثل هذه المراجعة التى كانت بين أبى هريرة وكعب تارة ، وبينه وبين ابن سلام تارة أخرى تدلنا على أن الصحابة كانوا لايقبلون كل ما يقال لهم ، بل كانوا يتحرون الصواب ما استطاعوا ويردون على أهل الكتاب أقوالهم إن كانت لاتوافق وجه الصواب .

ومهما يكن من شئ فإن الصحابة- رضى الله عنهم - لم يخرجوا عن دائرة الجواز، التى حددها لهم رسول الله ﷺ وعما فهموا من الإجابة فى قوله عليه السلام : "بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، و من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار".[١٦]

كما أنهم لم يخالفوا قول رسول الله ﷺ " لاتصدقوا أهل الكتاب ولاتكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا " الآية[١٧]

هذا فيما يتعلق بعصر الصحابة - رضى الله عنهم أجمعين - فلما جاء عصر التابعين ودخل كثير من أهل الكتاب فى دين الإسلام وكانوا يحملون فى ثقافتهم الغرائب والأعاجيب تاق المسلمون إلى سماعها فألقى أولئك لهؤلاء كل ما فى جعبتهم.

---

١٥ - موطأ مالك ، كتاب الجمعة .

١٦- أخرجه البخارى فى صحيحة فى كتاب الأنبياء،انظر فتح البارى٦/٤٩٦ط السلفية

١٧- التفسير والمفسرون:١/١٦٩ وما بعدها ، والحديث أخرجة البخارى فى صحيحه فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبى لا تسألوا أهل الكتاب عن شئ: ٤/٢٧٠ط عيسى الحلبى

فانتشرت الإسرائيليات فى المجتمع الإسلامى ، وتسللت إلى تفسير القرآن الكريم ونمت ، بصورة اشمأز منها أهل العلم وضاقت بها صدور الغيورين على الإسلام ومستقبله.

وبعد عصر التابعين ازداد الأمر سوءاً على سوء ، وزاد الطين بلة ظهور جماعة كبيرة من القصاص المرتزقين بما يروون من غرائب، تستهوى قلوب العامة ، والذين لا يفرقون بين الغث والسمين ، فجلسوا فى المساجد وخارجها فانتشرت الخرافات بين ربوع البلاد ، ودست الأساطير بكميات هائلة فى تفسير آيات الكتاب العزيز.

ونلاحظ فى هذا المقام أن جانب الدقة والتحرى فيما يروى أو يدون لم يسر على نمط واحد ، وإنما اختلف من عصر إلى عصر ففى عصر الصحابة رضى الله عنهم أجمعين وجدنا الأمانة قد تجسدت فى أقوالهم وأفعالهم، ولا غرو فى ذلك فإن الله تعالى ألزمهم كلمة التقوى ، وكانوا أحق بها وأهلها كما أخبر عنهم فى سورة الفتح ، فلم يكن غريبا أن تكون الأمانة ديدنهم ، والثقة سمتهم ، لأنهم اتخذوا من رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة والمثل الأعلى

فبذلوا طاقتهم من أجل أن يكونوا قرآنا متحركا يعيش على وجه الأرض، فلم تنطو قلوبهم إلا على الحق ولم تنطق ألسنتهم إلا بالصدق.

فإذا أضيف إلى ذلك ما كانوا يتمتعون به من قوة الحافظة، وسيولة الذهن أدركنا أنه قد اجتمعت فيهم أعلى شروط القبول ، والتى اشترطها علماء الحديث.

ولاغرو فى ذلك فقد قال – ﷺ -:

"خير أمتى قرنى"[18]

ولذلك فقد كانت الثقة بينهم متبادلة ، وإذا كانت هناك نصوص تدل على أن بعضهم كان يتشدد فيما يقال له فلم يك ذاك اتهاماً لأخيه بالكذب ، أو شكا فى عدالته أو طعنا فى أمانته ، ولكن كان من باب : ولكن ليطمئن قلبى .

قال الحفاظ الذهبى فى ترجمة أبى بكر الصديق : "كان أول من احتاط فى قبول الأخبار ، فقد روى ابن شهاب عن قبيصة أن الجدة جاءت إلى أبى بكر تلتمس أن ترث :

فقال : ما أجد لك فى كتاب الله شيئاً ، وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئاً ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال : كان رسول الله ﷺ يعطيها السدس ، فقال له: هل معك أحد ؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك ، فأنفذه لها أبو بكر رضى الله عنه.

وقال الذهبى أيضا فى ترجمة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وهو الذى سن للمحدثين التثبت فى النقل، وربما كان يتوقف فى خبر الواحد إذا ارتاب ، روى الجريرى عن أبى نضيرة ،عن أبى سعيد أن أبا موسى سلم على عمر من وراء الباب ثلاث مرات ، فلم يؤذن له فرجع ، فأرسل عمر فى أثره فقال : لم رجعت ؟

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول " إذا سلم أحدكم ثلاثا فلم يجب فليرجع"

قال : لتأتينى على ذلك ببينة أو لأفعلن بك .

---

[18] ـ أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب فضائل أصحاب النبى صلى الله وعليه وسلم ـ٢٨٧/٢ ط عيسى

فجاءنا أبو موسى منتقعاً لونه، ونحن جلوس ، فقلنا ما شأنك؟ فأخبرنا، وقال : فهل سمعه أحد منكم ؟

فقلنا : نعم ، كلنا سمعه ، فأرسلوا معه رجلاً منهم، فأخبره .

ونقل الحافظ الذهبى أيضا: أن عمر قال لأبى – وقد روى له حديثاً– لتأتينى على ما تقول ببينة ، فخرج ، فإذا ناس من الأنصار فذكر لهم، فقالوا : قد سمعنا هذا من رسول الله ﷺ فقال عمر أما إنى لم أتهمك ، ولكنى أحببت أن أتثبت[١٩] .

أما فى عصر التابعين وتابعيهم فقد قل الورع ، وبعد الناس إلى حد ما عن عصر النبوة وأنواره ، وعن معاصرة التنزيل وإشراقاته ، ووجدت على الساحة فرق مبتدعة، لكل منها آراؤها الهدامة، وعقائدها الزائفة ، فكثر الوضع والكذب على الرسول ﷺ وكثرت الإسرائيليات كثرة لم يوجد لها نظير ، فوضع علماء الأمة موازين محددة ، وشروطاً معينة، عليها مدار قبول الحديث ، ورده.

روى الإمام مسلم فى صحيحه عن ابن سيرين قال " لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم ، فينظر إلىأهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم "[٢٠]

وعن هؤلاء المكثرين من الإسرائيليات يقول فضيلة الدكتور محمد الذهبى – رحمه الله :-

" وكلما تقدم الزمن بالناس كلما تهاون بعض من تصدوا لكتابة التفسير والحديث ، حتى وجدنا من بينهم من أغرم بالقصص

---

[١٩] - الحديث والمحدثون للشيخ محمد أبو زهو : ٦٩ ، ٧٠ .

[٢٠] - صحيح مسلم ، في المقدمة : ٧١/١ ط الشعب .

الإسرائيلي، حتى لا يكاد يدع من ذلك شاردة ولاواردة، ومن هؤلاء أبو إسحاق الثعلبي ،المتوفى سنة ٤٢٧هـ.

وليت هؤلاء الذين سلكوا هذا المسلك أراحوا الناس من هذه الخرافات، وصانوا مصنفاتهم عن هذا العبث ،الذى كان ولا يزال مادة خصبة يستمد منه أعداء الإسلام مطاعنهم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ليتهم فعلوا ذلك إذاً لحفظوا للقرآن حرمته ، وللحديث قداسته[٢١].

تأثر المسلمين بالثقافتين اليهودية والنصرانية

ولقد تأثر المسلمون بالثقافتين اليهودية والنصرانية إلى حد كبير فبالنسبة للثقافة اليهودية "فالتاريخ وما ألف فيه من مؤلفات نقرؤها ، ونتصفح الكثير من هذه المؤلفات فنجد بعضها قد عنى عناية واضحة بذكر تاريخ بنى إسرائيل وأنبيائهم ، وما جرى بينهم ولهم من حوادث ووقائع ، وبعض ما يذكر من ذلك لا أصل له ، كما فعل ابن جرير الطبرى في تاريخه، وكما فعل ابن كثير أيضاً .

وعلوم الجدل والكلام تأثرت بالإسرائيليات أيضا ، نتصفح ما بين أيدينا من كتب الجدل والمذاهب الكلامية فنجد بعض ما فيها من معتقدات لبعض الفرق قد تسربت لها عن طريق اليهود.

فابن الأثير يحدثنا فى تاريخه عن أحمد بن أبى داؤد أنه كان داعية إلى القول بخلق القرآن ،وغيره من مذاهب المعتزلة ، وأنه أخذ ذلك عن بشر المريسى، وأخذه بشر عن الجهم بن صفوان ، وأخذه جهم عن

---

٢١ - الإسرائيليات في التفسير والحديث ، د/ محمد الذهبي : ٣٨ ، ٣٩.

الجعد بن درهم ، وأخذه الجعد عن أبان بن سمعان ، وأخذه أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم وختنه ، وأخذه طالوت عن لبيد بن الأعصم ، الذى سحر النبى ﷺ وكان لبيد يقول بخلق القرآن !!! (٢٢)

أما عن وجود الثقافة النصرانية بين المسلمين فيحدثنا عنها فضيلة الدكتور. محمد البهى – رحمة الله عليه– فيقول : "وفى عصر بنى أمية وفي العصر العباسي كذلك وصلت إلى المسلمين بطريقة المشافهة مسيحية ، لكن على حالتها الأولى ، لم تفلسف ، ولم تشرح ، وهى المسيحية النصية ، وبجوار ذلك وصلت مسيحية أخرى مفلسفة أو مشروحة، فوصلت عن طريق نصارى العرب ، أهل تغلب ونجران، لبعدهم عن التأثر بالفلسفة الإغريقية ، وكذا عن طريق من أسلم منهم، وربما للعلة نفسها كثير من النوع الأول.

ووصل عن طريق النساطرة واليعاقبة كثير من النوع الثاني.

والثقافة الإسلامية قد يظن أنها تأثرت بكلا النوعين ، وعندئذ يصح أن يكون أثر النوع الأول فى تفسير القرآن ، وبالأخص فى تفصيل ما أجمل فيه ، من قصص الخلق والتكوين ، وكذلك فى وضع الحديث وبالأخص ما تعلق منه بالحياة العملية بعد أن مالت إلى أن تكون حياة زهد ورهبنة ، كما يصح أن يكون أثر النوع الثانى فى التفكير الإسلامى الإلهى.(٢٣)

---

٢٢ - المصدر السابق :٢٧،٢٦

الختن:كل من كان من قبل المرأة، مثل الأب ، والأخ.

٢٣ - الجانب الإلهى من التفكير الأسلامى د/محمد البهى ١٠١، وما بعدها ط دار الكتاب العربى ١٩٦٧ م.

ويرجع ابن خلدون رحمه الله تأثر المسلمين بالثقافة الإسرائيلية إلى اعتبارات دينية واجتماعية فيقول وهو يتحدث عن التفسير النقلى :

وكل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين ، وقد جمع المتقدمون فى ذلك وأوعوا، إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين ، والمقبول والمردود.

والسبب فى ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم ، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية ، وإذا تشوقوا إلى معرفة شئ مما تشوق إليه النفوس البشرية ، فى أسباب المكونات ، وبدء الخليقة ، وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدون منهم ، وهم أهل التوراة من اليهود ، و من اتبع دينهم من النصارى ، وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفة العامة من أهل الكتاب ، ومعظمهم من حِمْيَرَ ، الذين أخذوا بدين اليهودية ، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التى يحتاطون لها مثل أخبار بدء الخليقة ، وما يرجع إلى الحدثان والملاحم، وأمثال ذلك ، وهؤلاء مثل كعب الأحبار ، ووهب بن منبه، وعبد الله ابن سلام وأمثالهم ، فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم – فى أمثال هذه الأغراض – أخباراً موقوفة عليهم ، وليست مما يرجع إلى الأحكام، فيتحرى فيها الصحة التى يجب بها العمل .

وتساهل المفسرون فى مثل ذلك ، وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات، وأصلها –كما قلنا – عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ، ولاتحقق عندهم بمعرفة ما ينقلون من ذلك ،إلا أنهم بعد صيتهم ،

وعظمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات فى الدين والملة ، فتُلُقِّيت بالقبول[٢٤]

[٢٤]- مقدمة ابن خلدون :٩٩٧ وما بعدها ، ط لجنة البيان العربى الطبعة الأولى ١٩٦٠م.

أسباب تفشى الإسرائيليات بين عامة الناس

وإذا كانت هذه الإسرائيليات قد تفشت بين عامة الناس بصورة أزعجت العلماء ، وأقلقت مضاجع أولى الأمر ، فإن ذلك مرده إلى عدة أسباب ، نكتفى فى هذا المقام بذكر أهم سببين :

١-**السبب الأول** : يرجع – كما يقول د. محمد الذهبى- إلى حقد أعداء الإسلام وعلى رأسهم اليهود، " فقد هالهم ما للإسلام وأهله من قوة، فتربصوا به الدوائر ، ووقفوا فى طريقه يحاربونه ، ويصدون الناس عنه ، ولكن الإسلام بصدق تعاليمه لم تقم فى وجهه لأعدائه حجة، والمسلمون بقوة يقينهم لم تعطل مسيرتهم الظافرة وفتوحاتهم الباهرة جيوش أعدائهم ، على كثرتها وقوتها ، الأمر الذى جعل أعداء الإسلام والحانقين عليه من اليهود وغيرهم يبحثون عن طريق آخر يصلون به إلى النيل من الإسلام وأهله ، فتفتقت عقولهم الماكرة وقلوبهم الفاجرة عن مكر سئ ، وخداع بشع ، فتظاهر نفر منهم بالدخول فى الإسلام ، وقلوبهم منه خاوية !!! وتشيعوا لآل بيت رسول الله ﷺ وصدورهم على الحقد طاوية ، واستغلوا عواطف المسلمين وحبهم لآل بيت رسول الله ﷺ فاتشحوا بالسواد ، وسكبوا دموع التماسيح ، حزناً وأسى على ما زعموا من ظلم آل البيت وغالوا فى تقديرهم وتقديسهم ، حتى وصلوا بهم إلى مراتب النبوة أو يزيد ، وصوروا أبا بكر وعمر وعثمان غاصبين للخلافة التى هى حق على وذريته من بعده ووضعوا فى ذلك كله أحاديث غريبة، ونسجوا فيه قصصا عجيبة، معظمها منتزع من أصول يهودية .

واليهود قوم ألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم قلـــوب الذئـــاب فمن السهل عليهم أن يحبكوا القصة فى خبث ومهارة حبكاً تاماً ، ثم يذيعوها بين أوساط العامة ، ومن يستخفونهم من البسطاء والجهلة ، فإذا بها وقد شاعت وانتشرت ، وتلقفها نفر من الناس ، منسوبة إلى رسول الله ﷺ ورسول الله منها ومن قائليها ومروجيها برئ(٢٥).

أما السبب الثانى : من الأسباب التى أدت إلى تفشى الإسرائيليات بيـــن عامة الناس فهو يرجع إلى وجود عدد كبير من القصاص، الذين لم يبتغوا وجه الله سبحانه وتعالى، وإنما كانت الدنيـــا مبلـــغ علمـــهم ومنتهى آمالهم فلم يراعوا لله حقا ولم يعملوا لرسول الله ﷺ حســـاباً ولا عهدا ، ولا ذمة !! ، فلم يروا وسيلة لابتزاز ما فى أيدى الناس من أموال إلا عن طريق استمالة قلوبهم ، بحبك القصص ، ونســـج الغرائب وتأليف الأعاجيب والترهات والأباطيل .

يقول ابن قتيبة – بعد أن أورد رواية عن هـــؤلاء القصـــاصين فيـــها مبالغات شديدة وبعد أن ضعفها من ثلاثة أوجـــه ، وعـــد مـــن بينـــها القصاص، يقول فى حقهم :

"يميلون وجوه العوام إليهم ، ويستدرون ما عندهـــم بالمنـــاكير والغريب ، والأكاذيب من الأحاديث ، ومن شأن العوام القعـــود عنـــد القاص ما كان حديثه عجيباً ، خارجاً عن فطر العقول، أو كان رقيقـــاً يحزن القلوب ويستغزر العيون ، فإذا ذكر الجنة قال : فيها الحوراء من مسك أو زعفران ، وعجيزتها ميل فى ميل ، ويبوئ الله تعـــالى وليـــه قصراً من لؤلؤة بيضاء ، فيه سبعون ألف مقصورة ،فى كل مقصـــورة سبعون ألف قبة ، فى كل قبة سبعون ألف فراش، وعلى كـــل فـــراش

---

[٢٥] - الإسرائيليات فى التفسير ، د/محمد الذهبى :٤١-٤٣

سبعون ألف كذا ، فلا يزال فى سبعين ألف كذا ، ، وسبعين ألفا ، كأنه يرى أنه لا يجوز أن يكون العدد فوق السبعين ولا دونها ، ويقول لأصغر من فى الجنة منزلة عند الله من يعطيه الله تعالى مثل الدنيا كذا وكذا ضعفاً [٢٦]، وكلما كان من هذا أكثر كان العجب أكثر والقعود عنده أطول ، والأيدى بالعطاء إليه أسرع ، والله تبارك وتعالى يخبرنا فى كتابه بما فى جنته بما فيه مقنع ، عن أخبار القصاص ، وسائر الخلق ".[٢٧]

ولقد بلغ تأثير القصاص على قلوب العامة وعواطفهم مبلغاً عظيماً ، يروى الحافظ السيوطى عن يحيى بن معين ، أنه قال :

ذهبت إلى أسيد بن أيد الكوفى إلى الكرخ ، وكان نزل فى دار الحذائين، وروى أحاديث مناكير، فأردت أن أقول يا كذاب ، ففرقت من شفار الحذائين . (أي خفت من سكاكينهم).

وروى أحمد العكبرى عن النجاد عن العطاردى حديثاً ساقطاً ، فأنكر عليه على بن ينال ، وأساء القول فيه حتى همت العامة بابن ينال فاختفى ."[٢٨]

ولقد بلغ هؤلاء القصاصون فى الوقاحة مبلغاً فاق الوصف وسيأتى المزيد عنهم إن شاء الله ، فى تناولنا للأحاديث الموضوعة .

كذلك بلغ من أمرهم أنهم أزعجوا بعض ولاة الأمور ، فنهوا الناس عن الاستماع إليهم ، فقد روى عن على بن أبى طالب أنه كان يتصدى لهم، باستثناء الحسن البصرى ، لمسلكه السليم فى

---

٢٦ - بخصوص هذه النقطة فقد وردت أحاديث صحيحة في هذه المنزلة لأقل أهل الجنة منزلا.

٢٧ - تأويل مختلف الحديث :٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ط ١٩٦٦م ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية

٢٨ - تحذير الخواص للسيوطى ، ص: ١٤٧ ، ١٤٨ .

قصصه ، كما روى أن ابن عمر كان يستعين بصاحب الشـوطة على إخراجهم من المسجد ، ويذكـر السـيوطى أن المعتضـد الخليفة العباسى فى أول سنة استخلف فيها منع الوراقين من بيع كتب الفلاسفة ، وما شاكلها ، ومنع القصاصين والمنجمين مـن القعود فى الطريق .[٢٩]

[٢٩] تاريخ الخلفاء للسيوطى : ٣٧٠ ، ط النجالة ، الطبعة الرابعة : ١٩٦٩ م

خطورة الإسرائيليات

تشكل الإسرائيليات على المسلمين خطراً داهماً، وتحريفاً عظيماً في العقيدة والعبادة، فهى تهز الصورة الحقيقة التي يعتقدها المسلم في الله تعالى، وفى رسله عليهم السلام، وهى فى الجملة تهدف إلى صرف الناس عن القرآن الكريم، ومبادئه، تصوراً وشعوراً وسلوكاً، وسأكتفى فى هذا المقام بذكر خطورتها على نواح أربع:

أولاً: من ناحية تشويه عقيدة المسلم، فى الله، وفى رسله.

فبالنسبة لله تعالى: نجد هذه الإسرائيليات تصفه بصفات هى خاصة بخلقه، ومستحيلة فى حقه.

فهى تصفه بالتعب بعد أداء العمل!، فقد جاء فى سفر التكوين الإصحاح الثانى، ص٥:

«وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل، فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدسه؛ لأنه فيه استراح من جميع عمله، الذى عمل الله خالقاً».

والقرآن الكريم ينفى لحوق أى تعب بالله تعالى، إذ يقول الله فيه: ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض فى ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾[1].

وهذه الإسرائيليات تصف الله تعالى بالندم على خلقته الإنسان، لكثرة ما ارتكب من شرور وآثام.

جاء فى سفر التكوين، الإصحاح السادس، ص: ١٠، ١١ ما نصه:

«ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم، فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى

---

(١) سورة ق: الآية ٣٨.

الأرض، وتأسف فى قلبه، فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته، الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء، لأنى حزنت أنى عملتهم».

هذيان ما بعده هذيان، فالله سبحانه وتعالى قبل أن يخلق آدم علم بأنه سيكون فى الأرض سفك للدماء، وانتهاك للحرمات، وإفساد فى الأرض، فلماذا يحزن بعد أن أوجده ووقع منه ذلك؟.

يقول تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة. قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال إنى أعلم ما لا تعلمون﴾[1].

ومعلوم من أحاديث الرسول ﷺ أن الإنسان قبل أن يولد يأتيه الملك وهو جنين فى بطن أمه فيؤمر من قبل الله بكتابه أجله، ورزقه، وشقى أو سعيد.

وهذه الإسرائيليات تصف الله تعالى بأنه ينزل من السماء إلى الأرض، ويكلم البشر!!

جاء فى سفر التكوين الإصحاح الثامن عشر، ص: ٢٥، ٢٦ فى شأن الكلام عن إهلاك قوم لوط ما نصه:

«وظهر له[2] الرب عند بلوطات ممرا، وهو جالس فى باب الخيمة، وقت حر النهار، فرفع عينيه ونظر، وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة، وسجد إلى الأرض، وقال: ياسيد إن كنتُ قد وجدت نعمة فى عينيك فلا تتجاوز عبدك، ليؤخذ قليل ماء، واغسلوا أرجلكم، واتكئوا تحت الشجرة،

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(١) اى لإبراهيم الخليل عليه السلام.

فآخذ كسرة خبز، فتسندون قلوبكم، ثم تجتازون، لأنكم قد مررتم على عبدكم، فقالوا: هكذا تفعل كما تكلمت.

فأسرع إبراهيم إلى الخيمة، إلى سارة، وقال: أسرعى بثلاث كيلات دقيقًا سميذًا، اعجنى واصنعى خبز ملة، ثم ركض إبراهيم إلى البقر، وأخذ عجلاً رَخصًا وجيدًا، وأعطاه للغلام، فأسرع ليعمله، ثم أخذ زبدًا ولبنًا، والعجل الذى عمله ووضعها قدامهم، وإذ كان هو واقفًا لديهم تحت الشجرة أكلوا»!!

﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا﴾[١].

هذا قل من كثير فيما وصفوا الله تعالى به.

فإذا ما جئنا إلى جانب الأنبياء عليهم جميعًا صلوات الله وسلامه فإننا نجد النصوص قد امتلأت بالعبارات التى تحط من قدرهم، وتغمطهم حقهم من الطهر والعفاف والشرف والكرامة.

مع أن هؤلاء الأنبياء هم أطهر البشر على الإطلاق، اصطفاهم الله على خلقه واصطنعهم لنفسه على عينه.

فهذه الإسرائيليات لا ترى حرجًا فى أن يشرب رسول من رسل الله خمرًا فيسكر ويتعرى!!

جاء فى سفر التكوين، الإصحاح التاسع، ص١٥:

«وابتدأ نوح يكون فلاحًا، وغرس كرمًا، وشرب من الخمر، فسكر وتعرى داخل خبائه».

وهذه النصوص لا تجد حرجًا أيضًا فى أن يترك الله لوطًا عليه السلام لابنتيه، تسقيانه خمرًا، ليضطجع معهما ولتحملا منه وتنجبا منه نسلاً.

---

(٢) سورة الكهف: ٥.

جاء فى سفر التكوين، الإصحاح التاسع عشر، ص٢٩، ما نصه:

«وصعد لوط من صوغر، وسكن فى الجبل، وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن فى صوغر، فسكن فى المغارة هو وابنتاه وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ، وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا، كعادة كل الأرض، هلم نسقى أبانا خمراً ونضطجع معه، فنحيى من أبينا نسلاً، فسقتا أباهما خمراً، فى تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها، ولا بقيامها. وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة: إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى، نسقيه خمراً الليلة أيضاً، فادخلى اضطجعى معه، فنحيى من أبينا نسلاً، فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة أيضاً، وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت البكر ابناً، ودعت اسمه موآب، وهو أبو الموآبيين إلى اليوم، والصغيرة أيضاً ولدت ابناً، ودعت اسمه بَنْ عَمّى، وهو أبو بنى عَمُّون إلى اليوم».

ولا تعليق لنا على هذه النصوص الكاذبة التى تصف هذا النبى بارتكاب الفاحشة، التى ما بعث إلا لمحاربتها والقضاء عليها، وإن اتخذت صوراً متعددة وأصنافاً مختلفة.

وإذا كانت هذه الإسرائيليات قد نسبت الزنا للوط عليه السلام رغماً عنه، فإنها تنسبه لداود عليه السلام بمحض إرادته، ووفق مشيئته.

جاء فى سفر صموئيل الثانى، فى الإصحاح الحادى عشر، ص٤٩٨ ما نصه:

«وأما داود فأقام فى أورشليم، وكان فى وقت المساء أن داود قام عن سريره، وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً، فأرسل داود وسأل عن المرأة

فقال واحد: أليست هذه بَثْشَبَعَ، بنت أليعام، امرأة أوريا الحِثّى؟ فأرسل داود رسلاً وأخذها، فدخلت إليه، فاضطجع معها وهى مطهرة من طمثها، ثم رجعت إلى بيتها، وحبلت المرأة!! فأرسلت وأخبرت داود، وقالت: إنى حبلى».

إلى أن تنص تلك النصوص على أن داود - عليه السلام - احتال على أوريا، حتى تزوج بامرأته تلك، بعد أن جعله فى مقدمة الجيش الذى حارب به أعداءه، وقتل فى هذه المعارك.

ومن هذه الإسرائيليات أيضًا ما روى فى شأن يوسف عليه السلام وعن همه بامرأة العزيز همًا يخجل لسان العفيف أن ينطق به، ويعجز قلم الشريف أن يسطره.

ولم تكتف هذه الإسرائيليات بإلصاق مثل هذه الكبائر بالأنبياء، بل بلغت بها الوقاحة حدًا جعل من نبى الله هارون يصنع لقومه عجلاً يعبدونه من دون الله!!

وانظر فى ذلك نهاية الإصحاح الثانى والثلاثين من سفر الخروج ص١٤٣:

لقد نسى أو تناسى كاتبو هذه النصوص ومحرفوا الكلم عن موضعه أن الأنبياء معصومون عن ارتكاب هذه الموبقات من زنا وشرب خمر وتحريض على عبادة الأصنام.

هل يعقل أن يترك الله أنبياءه يفعلون كل هذا؟ وهل يعقل أن يكون للأنبياء نسل من طريق سفاح؟

إن النبوة لا تنزل إلا على قلب خاص، قد أعد لاستقبالها أشرف إعداد، قال تعالى ﴿ولتصنع على عينى﴾[1]. وقال تعالى ﴿الله أعلم

---

(١) سورة طه: ٣٩.

حيث يجعل رسالته﴾(١).

ويقول فى شأن نبى من الأنبياء:

﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾(٢).

ويخبرنا الله تعالى أن الشيطان لا سلطان له على المؤمنين المتوكلين، فيقول: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾(٣). بل إن الشيطان نفسه يعترف بذلك، حيث يقول:

﴿رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين﴾(٤).

أفبعد كل ذلك تأتى هذه الإسرائيليات، وتلحق بأفضل الخلق ما لا يليق بعوام الناس!!

إن هذا لمنكر من القول وزور، نتزه عنه ساحة الأنبياء والمرسلين فهم المتزهون فى الأولين والآخرين، وسلام عليهم أجمعين والحمد لله رب العالمين.

ثانيًا: هذه الإسرائيليات تمثل سدًا يمنع الناس من الدخول فى الإسلام، بما تشتمل عليه من خرافات، فيتصورون أنه دين أوهام وشريعة أباطيل..

ومن ذلك: ما ذكره بعضهم فى تفسير قوله تعالى: ﴿ق . والقرآن المجيد﴾.

حيث قال: «خلق الله من وراء هذه الأرض بحرًا محيطًا بها، ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلاً يقال له «قاف»، سماء الدنيا مرفوعة

---

(١) سورة الأنعام: ١٢٤.
(٢) سورة يوسف: ٢٤.
(٣) سورة النحل: ٩٩.
(٤) سورة الحجر: ٣٩، ٤٠.

عليه، ثم خلق الله تعالى من وراء ذلك الجبل أيضًا مثل تلك الأرض سبع مرات، واستمر على هذا حتى عد سبع أرضين، وسبعة أبحر، وسبعة أجبل، وسبع سموات».

وقالوا أيضًا فى تفسير هذا الحرف:

«خلق الله تعالى جبلاً يقال له «قاف»، محيط بالعالم وعروقه إلى الصخرة التى عليها الأرض، فإذا أراد الله تعالى أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل، فحرك العرق الذى يلى تلك القرية، فيزلزلها ويحركها، ثم تحرك القرية دون القرية».

قال ابن كثير: «وقد روى عن السلف أنهم قالوا:

«ق جبل محيط بجميع الأرض، يقال له جبل قاف، وكأن هذا - والله أعلم - من خرافات بنى إسرائيل التى أخذها عنهم بعض الناس، لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب، وعندى أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يلبسون به على الناس أمر دينهم»[1].

ومن ذلك أيضًا ما جاء فى تفسير قوله تعالى:

﴿ن والقلم وما يسطرون﴾.

من أنه الحوت، الذى على ظهره الأرض.

ومن هذا القبيل حديث:

«إن الأرض على صخرة، والصخرة على قرن ثور، فإذا حرك الثور قرنه تحركت الصخرة»[2].

إلى غير ذلك من الروايات التى لو صحت نسبتها إلى الشرع لما

---

(١) انظر تفسير القرطبى وابن كثير لسورة «ق».
(٢) المصدر السابق تفسير سورة (ن).

دخل أحد فى دين الله، لأنه يرى أن هذا الدين دين خرافات وأوهام وأباطيل.

ثالثًا: أنها تصرف المسلمين عن الانتفاع بهداية القرآن.

فمن البدهى أن القرآن الكريم نزل لغرضين أساسيين، الإعجاز والهداية، وعلى ذلك فأى شئ لا صلة له بهذين الغرضين فلا خير فيه، إذ من شأنه أن يصرف العقول عن التفكير، والقلوب عن التدبر، والإسرائيليات شر ما يقوم بهذه المهمة.

ولقد وجدنا فى معظم كتب التفسير أشياء كثيرة من هذا القبيل. ويلقيها الخطباء على مسامع المسلمين من فوق المنبر، ويضيعون بها الأوقات، ويسمعها العامة فيذهبون إلى العلماء ليمتحنوهم بها، فإذا أجاب فهو عالم عظيم وإلا فهو جاهل أحمق، ولا يدرى هذا السائل أنه هو الجاهل الأحمق.

إننا لا نرى فائدة فى الكلام عن سفينة نوح، طولها وعرضها، وارتفاعها، وأسماء الأشياء الموجودة بها، ولا نرى قيمة علمية فى معرفة اسم كلب أهل الكهف، ولونه، ولا نرى ثمرة فى تفصيل الكلام عن مائدة عيسى عليه السلام، وأى الطعام كان عليها.

كذلك لا نرى أهمية فى تعيين اسم الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها، ولا فى تحديد أنواع الطيور وأسماء الموتى الذين أحياهم عيسى بإذن الله تعالى.

وغير ذلك مما سكت عنه القرآن، حيث لا ثمرة من ذكره، لأنه لا يتعلق بموطن العبرة ومكمن الموعظة.

رابعًا: أنها تشكك المسلمين فى علماء السلف الصالح رضى الله عنهم، حيث تروى منسوبة إليهم، وعلى ذلك فإنها تصورهم بصورة

من لاهم لـهم إلا الاباطيل، وبالتالى تزعزع الثقة فى كل ما ينسب إليهم.

مما سبق يتبين لنا كيف أن الإسرائيليات تعتبر خطراً داهماً، وشراً مستطيراً يجب بتره من حقل الثقافة الإسلامية، حتى يصفو للناس دينهم، ويبدو الإسلام بكل كماله وجلاله، فإذا بالمسلمين يضمون فى عقولهم وقلوبهم علماً صحيحاً، وثقافة نقية تساعدهم على ذكر الله وشكره وحسن عبادته؛ وإذا بغير المسلمين لا يجدون ما يحول بينهم وبين الإسلام، لو خلى بينهم وبين هذا الدين النقى الصحيح.

* * *

أقسام الإسرائيليات من حيث القبول والرد

إذا كنا قد ذكرنا طرفًا من الإسرائيليات، وقررنا أنها شر مستطير يجب بتره، فليس معنى هذا أن ثقافة القوم كلها على هذه الوتيرة.. أو على هذا النمط، وعلى هذا فليس كل رواية إسرائيلية نرفضها، وكذلك أيضًا ليس كل رواية إسرائيلية نتقبلها..

وبناء على ذلك فإننا نستطيع أن نقسم هذه الإسرائيليات من حيث القبول والرد إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما جاء موافقًا لما فى كتابنا..

فهذا نؤمن به ونصدقه، ولا نرفضه أو نتوقف فيه.

مثاله: ما أخرجه ابن جرير والبخارى وغيرهما:

«عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو فقلت: أخبرونى عن صفة رسول الله ﷺ فى التوراة، قال: والله إنه لموصوف فى التوراة كصفته فى القرآن: يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وحرزًا للأميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب فى الأسواق، ولا يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا «لا إله إلا الله»، ويفتح به قلوبًا غلفًا، وآذانًا صمًا، وأعينًا عميًا.

قال عطاء: «ثم لقيت كعبًا، فسألته عن ذلك، فما اختلفا حرفًا، إلا أن كعبًا قال بلغته، قال قلوبًا غلوفيا، وآذانًا صموميًا، وأعينًا عموميًا»[١].

---

(١) رواه البخارى بنحوه، فى كتاب التفسير، سورة الفتح ١٨٩/٣، وفى كتاب البيوع، باب كراهية السخب فى السوق: ١٤/٢، وانظر تفسير ابن كثير: ٤٨٤/٣.

ومن هذا القسم أيضًا:

ما رواه البخارى فى صحيحه عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال: قال النبى ﷺ: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفؤها الجبار بيده، كما يكفأ أحدكم خبزته فى السفر، نزلاً لأهل الجنة، فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: «بلى، قال: تكون الأرض خبزة واحدة... كما قال النبى ﷺ. فنظر النبى ﷺ إلينا، ثم ضحك حتى بدت نواجذه. الحديث[1].

القسم الثانى: ما جاء مخالفًا فى شريعتنا.

وقد مضى له عدة أمثلة قريبًا أثناء الحديث عن خطورة الإسرائيليات.

مثل الروايات التى تنص على أن الله لما فرغ من الخلق استراح فى اليوم السابع، والتى تذكر أن الرب حزن لأن عمل الإنسان فى الأرض، وتأسف فى قلبه لما كثرت ذنوب الإنسان، ومثل ما ورد فى شرب نوح الخمر فسكر وتعرى، وما ورد فى شأن لوط وزناه بابنتيه وحملهما وانجابهما منه، ومثل ما ورد فى شأت داود عليه السلام وزناه بامرأة أوريا، وحملها منه سفاحًا، ثم احتياله على زوجها ليتزوجها، وبالفعل خلا له الجو وتزوجها بعد أن أقحمه فى مقدمة جيشه المحارب وقتله فى المعركة، ومثل ما ورد بأن هارون هو الذى صنع العجل الذى عبده بنو إسرائيل.

فهذا القسم ينافى عقيدة الإسلام والمسلمين ولذلك فهو مرفوض، مردود على وجه صاحبه، إلى أن يلقى الله، فيجاريه بما هو أهله، من

---

(١) صحيح البخارى، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض: ٤/ ١٣٦.

خزى مقيم وهوان عظيم.

القسم الثالث: ما هو مسكوت عنه.

أى لا دليل فى شرعنا يؤيد صدقه، ولا برهان فى ديننا ينص على كذبه.

وذلك مثل ما يروى عن اسم الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها، وعن عدد الذين أحياهم عيسى بإذن الله، وأسمائهم، وعن أنواع الطعام التى كانت على مائدة عيسى عليه السلام، وعن بعض البقرة الذى ضرب به قتيل بنى إسرائيل.

وغالب ذلك - كما يقول ابن تيمية رحمه الله[1] - مما لا فائدة فيه، تعود إلى أمر دينى.

فهذا القسم نتوقف فى الحكم عليه، فلا نصدقه، ولا نكذبه لعدم وجود دليل بيِّن يبين درجة صدقه أو كذبه.

وفيه يقول الرسول ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم»[2].

* * *

(١) مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية: ٣٤.

(٢) صحيح البخارى، كتاب التفسير، باب وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه: ٣/ ١٠٠.

٤ - حكم رواية الإسرائيليات

من استعراضنا للنصوص الشرعية والخاصة بالتحديث عن بنى إسرائيل وجدنا بعضها ينص على المنع، وبعضها الآخر يدل على الإباحة..

أما النصوص الدالة على المنع فكثيرة.. وكثير منها يدل بصراحة على أن بنى إسرائيل حرفوا كتبهم وعبثوا بها، ومادام الأمر كذلك فإن ثقافتهم الدينية لا وزن لها فى ميزان الثقة، ولا قيمة لها فى باب القبول.

من نصوص القرآن فى ذلك:

- قول الله تعالى عليهم: ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾(١).
- ويقول عنهم أيضًا: ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾(٢).
- ويقول عنهم أيضًا: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه﴾(٣).
- ويقول عن النصارى: ﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظًا مما ذكروا به﴾ الآية(٤).
- ويقول عن الفريقين جميعًا: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرًا مما كنتم تخفون من الكتاب﴾(٥).

---

(١) البقرة: ٧٥. (٢) النساء: ٤٦.
(٣) المائدة: ١٣. (٤) المائدة: ١٤.
(٥) المائدة: ١٥.

ومن نصوص السنة فى ذلك أيضًا:

- ما رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل... الآية»[1].

ومن الآثار عن الصحابة:

- ما رواه البخارى أيضًا عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: «كيف تسألون أهل الكتاب عن شئ وكتابكم الذى أنزل على رسول الله ﷺ أحدث؟ تقرءونه محضًا، لم يُشَب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا هو من عند الله، ليشتروا به ثمنًا قليلاً، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ لا والله، ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذى أنزل عليكم»[2].

ومنها ما روى عن ابن مسعود بإسناد حسن - كما ذكر الحافظ ابن حجر - أنه قال: «لا تسألوا أهل الكتاب فإنهم لن يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم، فتكذبوا بحق، أو تصدقوا بباطل»[3].

* * *

أما النصوص الدالة على الجواز وإباحة الاطلاع على ما عند أهل الكتاب فكثيرة.

فمن القرآن: قوله تعالى:

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب التفسير. باب وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه: ٣/ ١٠٠.

(٢) صحيح البخارى، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب قول النبى ﷺ لا تسألوا أهل الكتاب: ٤/ ٢٧١.

(٣) فتح البارى: ٢٨/ ١٠٣ - ط. الفنية المتحدة.

١ - ﴿سل بنى إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة﴾[١].

٢ - ﴿واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر﴾[٢].

٣ - ﴿فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك﴾[٣].

٤ - ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾[٤].

ومن المعلوم أن الأمر للرسول ﷺ، أمر للأمة، ما لم يرد دليل يخصصه.

ومن الأحاديث تلك الأحاديث التى تدل على أن الرسول ﷺ كانت تستدعيه بعض المواقف فيستمع لما عند اليهود.

مثال ذلك: ما جاء فى مسند الإمام أحمد حيث يقول:

«حدثنا إسماعيل عن الجرير، عن أبى صخر العُقَيلى حدثنى رجل من الأعراب قال: جلبت جلوبة إلى المدينة فى حياة رسول الله ﷺ فلما فرغت من بيعتى قلت: لألقين هذا الرجل فلأسمعن منه، قال: فتلقانى بين أبى بكر وعمر يمشون فتبعتهم فى أقفائهم حتى أتوا على رجل من اليهود، ناشراً التوراة يقرؤها يعزى بها نفسه على ابن له فى الموت، كأحسن الفتيان وأجمله، فقال رسول الله ﷺ: «أنشدك بالذى أنزل التوراة هل تجد فى كتابك ذا صفتى ومخرجى؟ فقال برأسه هكذا، أى: لا، فقال ابنه: إى، والذى أنزل التوراة إنا لنجد فى كتابنا صفتك ومخرجك، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، فقال:

---

(١) البقرة: ٢١١.　(٢) الأعراف: ١٦٣.

(٣) يونس: ٩٤.　(٤) الزخرف: ٤٥.

«أقيموا اليهودى عن أخيكم»، ثم ولى كفنه والصلاة عليه».

قال عنه ابن كثير:

«هذا حديث جيد، قوى، له شاهد فى الصحيح عن أنس»[(١)].

- ومن أحاديث الجواز أيضًا:

قول الرسول ﷺ: «بلغوا عنى ولو آية، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علىّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[(١)].

التوفيق بين النصوص

وهكذا وجدنا نصوصًا تمنع الأخذ عن بنى إسرائيل، ووجدنا بجوارها نصوصًا أخرى تبيح ذلك.

مما قد يظن جاهل أن نصوص الشرع متعارضة، والواقع أنه لا تعارض ولا تناقض، فمن البدهى أن ثقافة بنى إسرائيل لم تسلم من التغيير، ولم تنج من التحريف والتبديل.

ومن البدهى أيضًا أنها لم تخل من بقايا أمور قد ثبت صدقها.

فثقافتهم - إذًا - اشتملت على الغث والسمين، واختلط فيها الحق بالباطل، والحابل بالنابل.

وعلى ذلك فإننا لا نستطيع أن نقول إن كل ما ورد عنهم ليس صدقًا، كما لا يسعنا أن ندعى بأن كل ما يروى عنهم محض صدق، وعين حق.

ومن هنا، وبناء على تقسيمنا للإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام، موافق لشريعتنا، ومخالف لها، ومسكوت عنه - فإننا نستطيع أن نقرر ما يلي:

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣/ ٤٨١.

(٢) صحيح البخارى، كتاب الأنبياء، انظر فتح البارى: ٦/ ٤٩٦ - ط. السلفية.

١ - إن ما جاء موافقًا لشريعتنا فإنه مقبول، وتجوز روايته، وعليه تحمل النصوص القرآنية التى تحمل فى طياتها جواز الرجوع إليهم.

وعليه أيضًا يحمل حديث: «بلغوا عنى ولو آية، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج».

فمن غير المعقول أن يمنع الرسول ﷺ التحديث بما شهد له شرعنا، وجاء مصدقًا له.

٢ - أما ما جاء مخالفًا لشريعتنا فلا يعقل أن نحمل عليه النصوص الشرعية، الدالة على الرجوع إليهم والتحديث عنهم، لأن هذا كذب، ورواية المكذوب غير جائزة، إلا إذا كانت الرواية مقترنة ببيان كذب ما فيها.

٣ - أما القسم الثالث، وهو ما سكتت عنه شريعتنا، فلا وسيلة لنا للجزم بتصديقه، أو بتكذيبه، وعليه فلا يسعنا إلا التوقف فى أمره، وعليه ينطبق حديث: «لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم».

هذا من ناحية الحكم على هذا المسكوت عنه.

أما من ناحية روايته فإن بعض العلماء، كابن تيمية - رحمه الله- أجاز روايته؛ استنادًا لما فهمه من الإباحة من حديث «... وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج»[١].

وقد وافقه فى ذلك، وسار على منواله فضيلة الأستاذ الدكتور محمد الذهبى - رحمه الله - حيث يقول:

«وما سكت عنه شرعنا توقفنا فيه، فلا نحكم عليه بصدق ولا بكذب، وتجوز روايته، لأن غالب ما يروى من ذلك راجع إلى القصص والأخبار، لا إلى العقائد والأحكام، وروايته ليست إلا مجرد

---

(١) انظر مقدمة فى أصول التفسير: ٣٤

حكاية له، كما هو فى كتبهم، أو كما يحدثون به، بصرف النظر عن كونه حقًا، أو غير حق»[١].

ولكنى فى هذا المجال لا أرى فرقًا بين القبول والرواية، فما دمنا قد توقفنا فى قبوله فلماذا نجيز روايته، وفيه من الإبهام بتصديقها ما فيه؟

إن ذلك يفتح علينا بابًا يصعب غلقه، ويترك للإسرائيليات أن تفعل فعلها فى واقع المسلمين، وهذا ما حدث بالفعل نتيجة حشو كتب التفاسير بهذا الكم المتراكم من الخرافات والأباطيل.

وما أنفع وما أروع ما كتبه أستاذى الفاضل فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الوهاب فايد - أطال الله بقاءه وعمّ النفع به - بخصوص رواية المسكوت عنه.

حيث يقول - بارك الله فيه:

«ولكننى أرى أن هذا القسم المسكوت عنه - وهو الذى لا نعلم صدقه ولا كذبه - لا تجوز روايته، بل يجب أن نتوقف فى روايته، كما توقفنا فى قبوله؛ لأن روايته توهم قبوله والتصديق به، ومادمنا قد توقفنا فى قبوله فمن الأحوط أن نتوقف كذلك فى روايته.

إذًا فالمقياس فى القبول والرواية واحد، وهو ما ورد من نصوص فى القرآن أو السنة.

فما كان من الإسرائيليات موافقًا كذلك قبلناه، وأجزنا روايته، وما كان منها مخالفًا لذلك رددناه أخذًا، وأبطلناه رواية.

وما كان مسكوتًا عنه فى ديننا بحيث لا يكون فى نصوص القرآن أو السنة ما يوافقه، ولا ما يخالفه توقفنا فى قبوله عملاً بالحديث

---

(١) الإسرائيليات فى التفسير والحديث - د/ محمد الذهبى: ٨٦، ٨٧.

الشريف، وأرى كذلك أن نتوقف فى روايته؛ قياساً على توقفنا فى قبوله، وسداً للزريعة.

إلى أن يقول نضيلته:

«ويعجبنى فى هذا المقام ما ذكره أستاذنا الدكتور محمد أبو زهو فى شرح هذا الحديث - حديث «حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج». فقد قال:

«ويرى بعضهم أن معنى حديث عبد الله بن عمرو حدثوا عن بنى إسرائيل بما لم يثبت لديكم كذبه فى المواعظ والقصص، ولا فى العقائد والأحكام، وحمل الحديث على هذا المعنى غير مرضى عندنا، وذلك لأن ما لم يثبت كذبه نوعان: أحدهما ما ثبت صدقه، وهذا تجوز حكايته باتفاق، ولا ينبغى أن يخص بالمواعظ والقصص.

وثانيهما ما لم يثبت صدقه ولا كذبه، ولا فائدة تعود على المسلمين من التحديث بهذا النوع، بعد قوله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم».. الحديث - وشرعنا - والحمد لله - مكتف بنفسه، وليس بحاجة إلى مثل هذا، ففيه من العقائد والأحكام والأخلاق والآداب والمواعظ والأمثال ما فيه كفاية وذكرى لكل من كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد»[1].

٤ - أن العلة تدور مع المعلول، وعليه فبقدر ثقافة المسلم بقدر ما يسمح له بالاطلاع على ثقافة أهل الكتاب، وغيرها من ثقافة أهل الكفر والإلحاد، فمن غير الجائز أن نسمح لإنسان لا يعرف عن الإسلام إلا اسمه، وعن القرآن، إلا رسمه بأن يقرأ ثقافة الكفار، ويتعمق فيها ويتأثر بما تحمل من مبادئ هدامة، ومذاهب إلحادية شيوعية،

---

(١) الدخيل - د/ عبد الوهاب فايد: ١/ ١٥٧، ١٥٨.

تحارب الإسلام، وتضمر الحقد للمسلمين.

أما من رسخ قدمه فى الإسلام، وتمسك بالعروة الوثقى عن علم ويقين وبصيرة، بحيث لا يخشى عليه من الفتنة والضلال فجائز له أن يطلع على ثقافتهم، وبأدنى تأمل وتدبر سيكشف زيفها، ويدحض باطلها.

وبناء على هذه القاعدة - قاعدة العلة تدور مع المعلول - فقد وفق الحافظ ابن حجر بين نصوص المنع، ونصوص الجواز حيث يقول: «وكأن النهى وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية، والقواعد الدينية، خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن فى ذلك؛ لما فى سماع الأخبار التى كانت فى زمانهم من الاعتبار»[1].

* * *

(١) فتح البارى: ١٣/ ٢٦١ - ط. الفنية المتحدة.

تنبيهان

وقبل أن أختم الحديث عن الإسرائيليات أود أن أذكر هنا أمرين أراهما فى غاية الأهمية، ألا وهما:

الأمر الأول: أرى أنه لا يجوز ما يفعله كثير من المفسرين رحمهم الله، حيث يأتون بالإسرائيليات المسكوت عنها، ويفسرون بها النص القرآنى؛ لأن ذلك يعنى تفصيلاً لما أجمل، وتبيينا لما أبهم، وذلك يتنافى مع حديث رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم».

وهل هناك تصديق لهذه المرويات أكثر من الإتيان بها، وجعلها تفسيرًا للنص القرآنى؟

يقول الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله -:

«إن إباحة التحدث عنهم - أى عن أهل الكتاب - فيما ليس عندنا دليل على صدقه ولا كذبه شئ، وذكر ذلك فى تفسير القرآن وجعله قولاً أو رواية فى معنى الآيات، أو فى تعيين ما لم يعين فيها، أو فى تفصيل ما أجمل فيها شئ آخر؛ لأن فى إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهم أن هذا الذى لا نعرف صدقه ولا كذبه مبين لمعنى قول الله سبحانه، ومفصل لما أجمل فيه، وحاشا لله ولكتابه من ذلك، وإن رسول الله ﷺ إذ أذن بالتحدث عنهم أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم فأى تصديق لرواياتهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله، ونضعها منه موضع التفسير، أو البيان؟ اللهم غفرًا»[1].

الأمر الثانى: أن الرواية الإسرائيلية قد يكون سندها صحيحًا، ومع ذلك فإننا لا نستطيع الجزم بتصديق مضمونها بل قد يكون مضمونها

---

(١) عمدة التفسير: ١/ ١٥ - ط. دار المعارف.

غير صحيح، وذلك لأنها لم ترد من طريق معصوم، ولكن أتت عن مصدر إسرائيلي، وحكاه بعض من عرف بالأخذ عن ثقافتهم.

وفي ذلك يقول فضيلة الدكتور محمد أبو شهبة:

«ولعل قائلاً يقول: أما ذكرت من احتمال أن تكون هذه الروايات الإسرائيلية مختلفة موضوعة على بعض الصحابة والتابعين فهو إنما يتجه في الروايات التي في سندها ضعف، أو مجهول، أو وضاع، أو متهم بالكذب، أو سيئ الحفظ، يخلط بين المرويات، ولا يميز، أو نحو ذلك.

ولكن بعض هذه المرويات حكم عليها بعض حفاظ الحديث بأنها صحيحة السند، أو حسنة السند، أو إسنادها جيد، أو ثابت، ونحو ذلك، فماذا تقول فيها؟

والجواب: أنه لا منافاة بين كونها صحيحة السند، أو حسنة السند، أو ثابتة السند، وبين كونها من إسرائيليات بني إسرائيل وخرافاتهم وأكاذيبهم.

فهي صحيحة السند إلى ابن عباس، أو عبد الله بن عمرو بن العاص أو إلى مجاهد، أو عكرمة، أو سعيد بن جبير، وغيرهم ولكنها ليست متلقاة عن النبي ﷺ لا بالذات، ولا بالواسطة، ولكنها متلقاة عن أهل الكتاب الذين أسلموا.

فثبوتها إلى من رويت عنه شيء، وكونها مكذوبة في نفسها أو باطلة، أو خرافة شيء آخر!!

ومثل ذلك الآراء والمذاهب الفاسدة اليوم، فهي ثابتة عن أصحابها، ومن آرائهم ولا شك، ولكنها في نفسها فكرة باطلة، أو مذهب فاسد»[1].

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات - د/ محمد أبو شهبة: ١٣٦.

أشهر رواة الإسرائيليات

من يتصفح كتب التفسير يرى أن هناك مجموعة من الصحابة ، والتابعين ، وتابعى التابعين ، قدروى عنها قدر من الإسرائيليات أكبر بكثير مما روى عن غيرها ونرى أن نخص كل واحد من هؤلاء بكلمة توضح لنا حقيقته ، وحقيقة ما يرويه ، أو ما ينسب إليه .

أولاً : من اشتهر من الصحابة

نظراً لمكانة الصحابة رضوان الله عليهم عند الله تعالى ورسوله ﷺ والمسلمين فإن ما يروى عنهم أو ينسب لهم ينظر إليه نظرة خاصة تخالف النظرة إلى غيره .

والمتصفح لكتب التفسير يرى قدراً هائلاً من الإسرائيليات قد نسب إليهم ، وكان أكثر من نسبت إليهم تلك الإسرائيليات خمسة ، وهم

١- عبد الله بن العباس. ٢- أبو هريرة. ٣- عبد الله بن عمرو بن العاص . ٤- عبد الله بن سلام. ٥- تميم الدارى .

والاثنان الأخيران من مسلمى أهل الكتاب ، أولهما كان يهودياً ، وثانيهما كان نصرانياً ، فما حقيقة الموقف بالنسبة للصحابة عامة ، ولهؤلاء خاصة ، فيما يتعلق بالإسرائيليات ؟ ولنبدأ بالحديث عن كل واحد منهم على النحو التالى .

١-عبد الله بن عباس

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشى الهاشمى بن عم رسول الله ﷺ ، بحر الأمة وحبرها ، دعا له رسول الله ﷺ بقوله : " اللهم فقهه فى الدين ، وعلمه التأويل".

هل كان ابن عباس مكثراً من الإسرائيليات في تفسيره؟

للحاقدين على الإسلام ورموزه سموم يبثونها في الأوساط العلمية، ليشككوا المسلمين في أعلام الأمة وأئمتها تشكيكًا يقصد منه في النهاية التشكيك في الإسلام نفسه.

ومما ورد عنهم فيما يخص إمامنا حبر الأمة وبحرها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أنهم اتهموه بأن يفسر القرآن من خلال الإكثار من الأخذ عن أهل الكتاب، وأنه كان يصدقهم فيما يقولون. مخالفًا بذلك التعاليم الواردة عن رسول الله ﷺ.

ومن أبرز من اتهموه بذلك المستشرق الشهير اليهودي جولدزيهر، وأحمد أمين، ولهما في ذلك كلام مشهور.

ونحن في هذا المقام نورد عنهما ما قالاه عن ابن عباس ثم نكر عليه مفندين مبطلين.

يقول جرلذيهر:

«وأجدر من ذلك بالتصديق الأخبار التي تفيد أن ابن عباس كان لا يرى غضاضة أن يرجع في الأحوال التي يخامره فيها الشك إلى من يرجو عنده علمها.

وكثيراً ما ذكرنا أنه كان يرجع - كتابة - في تفسير معاني الألفاظ إلى من يدعى أبا الجلد، والظاهر أنه غيلان بن فروة الأزدي الذي كان يثني عليه بأنه قرأ الكتب، وقد ذكرت بنته على وجه الخصوص أن أباها كان يقرأ القرآن كل سبعة أيام، ويختم التوراة كل ثمانية أيام، بالروية والفهم - يبدو أن سبعة أيام إلى ثمانية أيام كانت تعد مدة وسطًا لختم القرآن بفهم - وكان يدعو جماعة كبيرة من الناس احتفالاً بكل مرة،

يختتم فيها التوراة، ويرى أن هذا العمل الصالح يستوجب رحمة الله ورضاه.

ولا يتضح حقًا من هذا الخبر الغامض، الذى ربما زادته مغالاة ابنته غموضًا، أى نسخة من التوراة كان يستخدمها فى دراسته.

ثم يتابع جولدزيهر كلامه بقوله:

وكثيرًا ما نجد بين مصادر العلم المفضلة لدى ابن عباس اليهودين الذين اعتنقا الإسلام، كعب الأحبار وعبد الله بن سلام.

كما نجد أهل الكتاب على وجه العموم، أى رجالاً من طوائف ورد التحذير من أخبارها - عدا ذلك - فى أقوال تنسب إلى ابن عباس نفسه.

ومن الحق أن اعتناقهم للإسلام قد سما بهم على مظنة الكذب ورفعهم إلى مرتبة مصادر العلم التى لا تثير ارتيابًا، ولم يَعْدُ «أو تولوث» شاكلة الصواب إذ يتحدث عن مدرسة ابن عباس، ذات المسحة اليهودية، ولم يعد ابن عباس أولئك الكتابيين الذين دخلوا فى الإسلام حججًا فقط فى الإسرائيليات، وأخبار الكتب السابقة، التى ذكر كثيرًا عنها من الفوائد، بل كان يسأل أيضًا كعب الأحبار مثلاً عن التفسير الصحيح للتعبيرين القرآنيين: أم الكتاب، والمرجان.

كان يفترض عند هؤلاء الأحبار اليهود فهم أدق للمدارك الدينية العامة، الواردة فى القرآن، وفى أقوال الرسول ﷺ.

وكان يرجع إلى أخبارهم فى مثل هذه المسائل، على الرغم من ضروب التحذير الصادرة من جوانب كثيرة فيهم.

ففى تعيين وقت يوم الجمعة، الذى أخبر الرسول ﷺ أن أداء المسلم الصلاة فيه لابد أن يقبل، ذكر أن أبا هريرة طلب بيان ذلك عند

كعب الأحبار وعبد الله بن سلام، وذلك بأنهما يعرفان . التوراة، التى لابد أن يوجد فيها مثل ذلك.

والظاهر أن المحور الذى تدور حوله مثل هذه الأخبار فى الغالب هو افتراضات المسلمين فى الزمن المتأخر.

ويدل على مدى ما تستطيع أن تبلغه مثل هذه الافتراضات من طابع السذاجة، ما روى مثلاً من حصول اختلاف بين ابن عباس وعمرو بن العاص على قراءة كلمة «من لدنى» فى الآية ٧٦ من سورة الكهف، هل هى بتشديد نون «لدنى» أو بتخفيفها، وأن الاثنين قصداً إلى كعب الأحبار لتسوية هذا الخلاف.

ومذهب التفسير الذى أقامه هذا الأب الأول لتفسير القرآن والمحصول الذى تعلمه من أهل الكتاب قد بينه «اليونى كينانى» أخيراً على وجه ممتاز»[1].

هذا ما قاله جولدزيهر، أما ما قاله أحمد أمين، فقد سطره فى كتابه «فجر الإسلام» حيث قال ما نصه:

«وقد دخل بعض هؤلاء اليهود فى الإسلام، فتسرب منهم إلى المسلمين كثير من هذه الأخبار، ودخلت فى تفسير القرآن يستكملون بها الشرح.

ولم يتحرج حتى كبار الصحابة مثل ابن عباس عن أخذ قولهم، روى أن النبى ﷺ قال: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم»[2]. ولكن العمل كان على غير ذلك، وأنهم كانوا

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامى: ٨٥ - ٨٩ - تحقيق د/ عبد الحليم النجار - طبعة دار إقرأ.

(٢) أخرجه البخارى بلفظ قريب منه فى كتاب التفسير باب (وقالوا اتخذ الله ولداً) فى سورة البقرة.

يصدقونهم، وينقلون عنهم»[١].

تفنيد هذا الزعم

إن أى منصف عادل، دارس حياة ابن عباس، ومطلع على تفسيره ومنهجه فيه، يدرك بلا عناء زيف هذا الإتهام الذى وجه إليه رضى الله عنه.

وإننا لنستطيع بيان هذا الزيف، من خلال النقاط الآتية:

١ - أن رجوع الصحابة - رضى الله عنهم أجمعين - وابن عباس خاصة - إلى مسلمى أهل الكتاب لم يكن بهذه الكثرة التى يحاول أعداء الإسلام أن يصوروها لنا، بل كان فى غاية القلة، بل إننا لا نتجاوز الصدق إن قلنا كان فى غاية الندرة.

والواقع العملى هو الفيصل بيننا وبين هؤلاء الحاقدين، فليجمعوا لنا ما صح عن الصحابة فى ذلك، وما صح عنهم من روايات أخرى فى التفسير وليوازنوا بين الأمرين، فسيجدوا أن النسبة بينهما فى غاية الضآلة.

وكفى بالواقع الصادق دليلاً على كذب هؤلاء الأفاكين.

٢ - إن هذا النادر الذى حدث فيه رجوع من الصحابة لأهل الكتاب لم يكن فى أمر يتعلق بالعقيدة، أو أمور التشريع، وإذا حدث فكان على سبيل الاستشهاد والتقوية لما جاء فى القرآن، بل كان سؤالهم غالبًا عن القصص القرآنى، ذلك أن بعض الصحابة رأوا أن هناك من القصص ما يمثل قدرًا مشتركًا بين القرآن والتوراة، إلا أنه كان فى القرآن مجملاً، وفى التوراة مفصلاً، فتاقت نفوسهم إلى سماع التفاصيل.

---

(١) فجر الإسلام: ٢٤٨.

٣ - إن الصحابة لم يسألوهم عن شئ كان للرسول ﷺ فيه كلام، فالصحابة أجل من أن يقدموا بين يدى الله ورسوله.

٤ - إن الصحابة - خاصة ابن عباس - كانوا ينهون عن سؤال أهل الكتاب نظراً لأن أهل الكتاب حرفوا وغيروا، وزالت الثقة تماماً عنهم فلم يبق فى الدنيا كتاب سماوى صحيح إلا القرآن، وهو المهيمن على ما عداه، وفيه غنية عما سواه.

أخرج البخارى فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

«يا معشر المسلمين: تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذى أنزل الله على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله، تقرءونه لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: هذا من عز الله ليشتروا به ثمناً قليلاً.

أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم؟

ولا والله ما رأينا رجلاً منهم قط يسألكم عن الذى أنزل عليكم».

٥ - ما ذكره هؤلاء الأفاكون من أن ابن عباس والصحابة كانوا يصدقون أهل الكتاب فيما يقولونه كذب وافتراء، لا دليل عليه، بل لا يعقل بحال أن يكون.

أيعقل من هؤلاء الصحابة الذين ثبتت عدالتهم بالكتاب والسنة، وزكاهم الله ورسوله فى غير موضع من القرآن والسنة، والذين سمعوا النهى الصريح من رسول الله ﷺ عن تصديق أهل الكتاب فى مثل قوله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم»(٢).

---

(١) البخارى. كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب قول النبى ﷺ: لا تسألوا أهل الكتاب.

(٢) سبق تخريجه.

أيعقل عن هؤلاء الصحابة الذين تلك سماتهم، وتلك منزلتهم والذين تركوا ديارهم وأموالهم وأبناءهم، وهاجروا ابتغاء مرضاة الله ورسوله، وعرضوا أنفسهم للموت فى كل الغزوات، بل كانوا حريصين عليه أشد من حرص هؤلاء الأفاكين على الحياة أيعقل من هؤلاء الصحابة أن لا يمتثلوا النهى النبوى عن تصديق أهل الكتاب ويصدقونهم؟ إن هذا إلا اختلاق، اختلقوه زوراً وبهتاناً، لتشكيك المسلمين فى أعز عناصر الأمة على الإطلاق.

لقد حدث فى حياة الرسول ﷺ وبعدها ما يدل على أن الصحابة كانوا يمتثلون لنهى النبى ﷺ قدر الاستطاعة البشرية وأنهم كانوا ينهون غيرهم.

لقد حدث فى حياته ﷺ - كما روى الإمام أحمد أن عمر بن الخطاب أتى إليه ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبى ﷺ. فغضب النبى ﷺ وقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذى نفسى بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شئ فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به.

والذى نفسى بيده لو أن موسى ﷺ كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعنى»[١].

وبعد موته كان الصحابة ينهون عن الأخذ عن أهل الكتاب، وعلى رأس هؤلاء الناهين عمر بن الخطاب وابن عباس[٢].

أقول: أيعقل بعد كل ذلك أن يقال إن الصحابة كانوا يسألون أهل الكتاب بكثرة، ويصدقونهم فيما يقولون؟

---

(١) مسند أحمد: ٣٨٧/٣.

(٢) انظر فى ذلك عدة روايات أوردها ابن كثير فى تفسير صور سورة يوسف.

إن هذا لشئ عجاب.

- أما ما يذكره هؤلاء الأفاكون من أن ابن عباس سأل أبا الجلد عن معنى البرق الوارد فى سورة الرعد، فإن هذا على فرض ثبوته لا يتعلق بأمر من أمور العقيدة، أو بأصول التشريع.

ولا يعدو أن يكون ضمن نطاق الجواز والإباحة، التى أباحها الرسول ﷺ، كما سيتبين فى موضع لاحق إن شاء الله تعالى أثناء الحديث عن الإسرائيليات.

وإذا نظرنا إلى هذا الحديث الذى اعتمدوا عليه والذى ذكره الطبرى، وجدناه ضعيفا، حيث جاء فى إسناده موسى بن سالم أبو جهضم وهو لم يدرك ابن عباس بل كان بعد ابن عباس بمدة طويلة.

ولينظر فى ذلك إلى ما قاله الذهبى فى ميزان الاعتدال جـ٣ صفحة ٢١٠.

- ولأستاذنا الجليل فضيلة الأستاذ الدكتور إبراهيم خليفة جهد مشكور فى رد هذه الشبهة، أقتطف منه كلمة حول نقطة معينة فى هذا الموضوع أعجبتنى أيما إعجاب، حيث يذهب مع القوم إلى أبعد مدى، على افتراض رجوع الصحابة إلى مسلمى أهل الكتاب، حيث يقول:

«إذا كان لنفر من بنى إسرائيل قد أسلموا وحسن إسلامهم من رجحان العقل، ودقة الفقه اللذين يقسمهما الله لمن يشاء من عباده، واللذين لم يقصرهما الله قطعا على هؤلاء النفر، بل جعلهما حظ جميع الراسخين فى العلم، نقول: إذا كان لهؤلاء النفر حظ من ذلك فسألهم ابن عباس أو غيره عما يشاء من نفه الكتاب والسنة، لا بوصف كونهم من بنى إسرائيل، بل بوصف كونهم أولى رجاحة فى العقل،

ورسوخ فى العلم يعد آخذاً عن بنى إسرائيل، وراوياً للإسرائيليات عنهم؟

أو لأن هؤلاء النفر من بنى إسرائيل جنساً، وكانوا قبل إسلامهم على تلك الملة عقيدة وعلماً، يصبح ذلك سبة فيهم يسقط كل ما يمكن أن يهبهم الله من فقه ونصوع رأى بعد إسلامهم ويعد كل قول مما يقولون مجالاً للتهمة؟ ومحلاً للريبة واحتمال التحريف عن كفرة بنى جلدتهم؟

كيف وهذا الإسلام ممثلاً فى كتابه الحق وسنة نبيه المطهرة حاسم المنطق، وناصع الحجة فى غير موضع منهما على عدم قيام أدنى تفرقة البته بين أهله، وبغض النظر تماماً عما كانوا، وبأى دين قبله قد دانوا.

نعم دون أدنى تفرقة بينهم فى إمكان قسمة الله لمن يشاء منهم فقهاً فى الدين، وعلماً بالتأويل.

أليس القرآن يقول بصيغة لا يختلف اثنان فى أنها من صيغ العموم (يؤتى الحكمة من يشاء)؟

أليس نبى الإسلام هو القائل فى حديثه الصحيح بصيغة لها نفس هذا الشأن، بل لعلها أظهر فيه «من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين، وإنما أنا قاسم والله عز وجل معطٍ»؟، ويقول: «رب مبلغ أوعى من سامع». ويقول: «رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»؟.

ومع أننا لا نريد أن نقول، ولا نحسبه يتبادر من قولنا أصلاً كذلك، أن أياً من هؤلاء كان أفقه من ابن عباس. فإن الذى نريد أن نقرره وننبه إليه، ولا نحسبه إلا من البدهى البين بنفسه، أن من شيمة أهل العلم لا محالة أن يسألوا كل من يأنسون فيه فقهاً وعلماً. ولا شبهة فى أن هؤلاء النفر كانوا من أهل هذا الشأن»[1].

---

(١) دراسات فى مناهج المفسرين: ٣٥٢، ٣٥٣.

٢ - أبو هريرة [١]

أما أبو هريرة فقد اختلف فى اسمه واسم أبيه على أكثر من أربعين قولاً قال الحافظ ابن حجر فى كتابه : " الإصابة ".

"قال القطب الحلبى : اجتمع فى اسمه واسم أبيه أربعة وأربعون قولاً مذكورة فى " الكنى" للحاكم ، وفى الاستيعاب ، وفى تاريخ ابن عساكر " وأشهر الأقوال فى اسمه أنه عبد الرحمن أو عبد الله بن عامر بن عبد ذى الشرى بن طريف بن عتاب الدوسى ، من اليمن.

كناه الرسول ﷺ " أباهر" لهرة صغيرة كانت معه ، وكان رضى الله عنه له حافظة قوية .

ومما يروى فى جودة حفظه ما قاله أبو الزُعَيْزَعَة كاتب مروان: أرسل مروان إلى أبى هريرة ، فجعل يحدثه ، وكان أجلسنى خلف السرير أكتب ما يحدث به ، حتى إذا كان فى رأس الحول أرسل إليه فسأله وأمرنى أن أنظر ، فما غير حرفا عن حرف ." ذكره ابن حجر فى الإصابة".

والسبب فى ذلك هو ما يرويه لنا أبو هريرة نفسه فيما جاء فى صحيح البخارى عنه أنه قال : قلت يا رسول الله ، إنى أسمع منك حديثا كثيراً أنساه ، فقال : ابسط رداءك فبسطته ، ثم قال : ضمه إلى صدرك ، فضممته ، فما نسيت حديثا بعد .[٢]

١- انظر ترجمته فى الإصابة فى تمييز الصحابة : ٧ / ٣٤٨ وما بعدها

٢ - البخاري : كتاب العلم ، باب (٤٢)

لهذا أجمع أهل الحديث كما قال ابن أبى دواد فيما ينقله عنه ابن حجر فى الإصابة على أنه أكثر الصحابة حديثا .

ولذلك لم يكن غريبا أن يستوعب قلب أبى هريرة كل ما يسمعه سواء من قرآن أم من سنة أم من أقوال صدرت من مسلمى أهل الكتاب ، ولذلك وجدنا كعب الأحبار يقول عنه فيما يذكره أبو هريرة نفسه وأخرجه البيهقى فى المدخل من طريق بكر بن عبد الله بن أبى رافع ، عن أبى هريرة قال : لقى كعبا فجعل يحدثه ويسأله ، فقال كعب: ما رأيت رجلا لم يقرأ التوراة أعلم بما فى التوراة من أبى هريرة.[3]

وكان حفظه الجيد هذا سببا فى طعن الطاعنين له ، من أنه كان مكثراً ، وأنه كان وعاء علم لثقافة أهل الكتاب ، ومن هؤلاء الطاعنين " أبو رية" حيث نص صراحة فى كتاب " أضواء على السنة المحمدية " على ما يأتى :

١-أن الصحابة اغتروا بمسلمة أهل الكتاب فصدقوهم فيما يقولون ، ورووا عنهم ما يفترون ، وأن أبا هريرة كان أكثر الصحابة وثوقا بهم ، وأخذا عنهم وانقياداً لهم.[4]

٢-أن كعب الأحبار الذى أظهر الإسلام خداعا وطوى قلبه على يهوديته[5] سلط دهاءه على سذاجة أبى هريرة ليلقنه كل ما يريد أن يبثه فى الدين الإسلامى من خرافات وأوهام.[6]

---

[3] - الإصابة : ٣٥٨/٧

[4] - انظر أضواء السنة المحمدية : ١٢٥-١٢٦.

[5] - نعوذ بالله أن يكون كعب هكذا ، وسيأتي قريباً الدفاع عنه إن شاء الله تعالى .

[6] - إنظر أضواء على السنة المحمدية : ١٧٢ ، ١٧٣ .

ونحن نرد على هذا الاتهام الباطل من أبى رية لأبى هريرة رضى الله عنه بإيجاز كما يأتى :

١- يجب أن يكون الحديث عن صحابة رسول الله ﷺ بمنتهى الأدب ، بعيداً عن كل سب وقذف ، فقد حذر الرسول ﷺ من ذلك . حيث جاء فى الصحيحين " لا تسبوا أصحابى .[٧]

وفى سنن الترمذى : " الله الله فى أصحابى ، لاتتخذوهم غرضاً، فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه .[٨]

وعن علمهم وورعهم واجتهادهم يقول الإمام الشافعى رضى الله عنه :

"وهم فوقنا فى كل علم ، واجتهاد وورع وعقل ، وأمر استدرك به علم ، واستنبط به ، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا لأنفسنا.[٩]

وقال الإمام أبو زرعة الرازى : " إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب الرسول ﷺ فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ، ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة.[١٠]

---

٧ - البخاري : في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب (٥).
ومسلم : في كتاب الصحابة باب (٢٢١).

٨ - الترمذي : كتاب المناقب ، باب (٥٨) .

٩ - إعلام الموقعين :١:٨٠ دار الجيل .

١٠ - التقييد والإيضاح ، شرح مقدمة ابن الصلاح للحافظ العراقي : ٢٠٥

٢- أن أبا هريرة ﷺ لم يكن ساذجا بالمرة ، فضلاً عن كونه ساذج للدرجة التى تجعله أداة طيعة فى يد تريده أن يكون معولاً لهدم الإسلام، ونشر الأباطيل والخرافات فى تعاليمه.

ومن أوضح الأمور على عدم سذاجته بالمرة :

(أ) أن الرسول ﷺ كان يستعمله على حراسة أموال الزكاة ، وحديثه فى فضل آية الكرسى حين تلك الحراسة مشهور ، حينما تمثل له الشيطان فى هيئة لص ، ليسرق من الزكاة، فكيف يستعمل الرسول ﷺ رجلا ساذجاً بهذه الصورة لحراسة أموال الدولة ؟

(ب) أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد ولاه إمارة البحرين ، فهل يعقل من عمر وهو من هو فراسة وإلهاماً من الله تعالى أن يولى ساذجاً يعمل على هدم الإسلام على إمارة من الإمارات ؟

إن هذا إلا طعن فى المسلمين كافة وفى أميرهم خاصة ، وليس فى شخص أبى هريرة وحده .

(جـ) تصديه للفتوى ، وأخذ كثير من الصحابة والتابعين العلم عنه.

قال البخارى عنه فيما ذكره ابن حجر في الاصابة : "روى عنه الثمانمائة من أهل العلم ، وكان أحفظ من روى الحديث فى عصره.[11]

أما ما كان يسمعه أبو هريرة من كعب الأحبار فإن ذلك لا يطعن فى أبى هريرة ، ولايدل على سذاجته بحال من الأحوال .

---

[11] - الإصابة : ٧/٣٥٢

لأن أبا هريرة كغيره من الصحابة كانت لهم مقاييس خاصة فى كل ما يسمعونه ، كما تحدثنا سابقاً عن ابن عباس رضى الله عنهما ومن ضمن هذه المقاييس أنهم كانوا يعملون عقولهم فيما يسمعون ويناقشون . وقد مر بنا سابقاً ما ذكرناه من مراجعة أبى هريرة لكعب وعبد الله بن سلام فى ساعة الإجابة التى فى يوم الجمعة.

إن هذه المراجعة لتدل بكل وضوح على عقلية فذة ، ناقدة لما تسمع فكيف يتهم صاحبها بالسذاجة الشديدة التى تصل إلى حد استغلال صاحبها فى هدم الدين، والإساءة إليه ؟

٣ - أما الروايات التى تروى عن أبى هريرة أوتنسب له فإنها تعامل كأى رواية حيث توضع على قواعد القبول والرد ، فما كان صحيحا منها قبل ، وما كان ضعيفا رد .

٣-عبد الله بن عمرو بن العاص

أما الشخصية الصحابية الثالثة من الذين نسبت إليهم روايات إسرائيلية فهى شخصية الصحابى الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما من بيت جليل أثنى عليه الرسول ﷺ ، حيث قال : نعم أهل البيت عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله .[١٢]

قال الحافظ فى الإصابة : قال ابن سعد : أسلم قبل أبيه ، ويقال لم يكن بين مولدهما إلا اثنتا عشرة سنة ، أخرجه البخارى عن الشعبى[١٣]

---

[١٢] - تهذب التهذب :٤١٤/٤.

[١٣] - الإصابة : ١٦٦/٤.

وكان رضى الله عنه صاحب عبادة وقراءة قرآن ، وحديث النبى ﷺ فى نهيه عن مواظبة صيام الدهر كله ، وأمره بصيام يوم بعد يوم مشهور .

كما صح عنه أنه قال : "جمعت القرآن فقرأته كله فى ليلة ، فقال رسول الله ﷺ : " إنى أخشى أن يطول عليك الزمان وأن تمل ، فا قرأه فى شهر ، فقلت : دعنى أستمتع من قوتى وشبابى ، قال : فاقرأه فى عشرة ، قلت : دعنى أستمتع من قوتى وشبابى ، قال فاقرأه فى سبع ، قلت دعنى استمتع من قوتى وشبابى فأبى" [14]

وكان رضي الله عنه شغوفاً بالعلم ، حريصا على تحصيله ، ومما يدل على ذلك ما أخرجه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال: ما من أصحاب رسول الله ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب .[15]

بل كان حريصا على أخذ العلم من فم الرسول الشريف ﷺ أخرج الدارمى فى سننه عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو ، قال : ما يرغبنى فى الحياة إلا الصادقة والوهط ، فأما الصادقة فصيحفة كتبتها من رسول الله ﷺ ، وأما الوهط فأرض تصدق بها عمرو بن العاص كان يقوم عليها .[16]

كما أخرج الدارمى فى الموضع ذاته : عن عبد الله بن عمرو قال : كنت أكتب كل شئ أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه ،

---

[14] – سنن ابن ماجة : كتاب إقامة الصلاة باب ١٧٨ .

[15] – البخاري : كتاب العلم ، باب (٣٩)

[16] – سنن الدارمى : المقدمة ، باب "٤٣"

فنهتني قريش وقالوا تكتب كل شئ سمعته من رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فأومأ بأصبعه إلى فيه ، وقال : اكتب ، فو الذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق.

وجاء في أسد الغابة عنه " أسلم قبل أبيه وكان فاضلاً عالماً ، قرأ القرآن والكتب المتقدمة ، واستأذن النبي ﷺ في أن يكتب عنه فأذن له ، فقال يارسول الله ، أكتب ما أسمع فى الرضا والغضب ؟ قال: نعم ، فإني لا أقول إلا حقاً .[١٧]

ولما كانت لعبد الله بن عمرو بن العاص تلك المكانة السامية فقد وجدنا كثيراً من الروايات الإسرائيلية تنسب إليه ، حتى تأخذ مكانتها من الذيوع والشهرة والقبول ، رغم اشتمالها على الغث والسمين والصحيح والباطل .

ولذلك فقد وجدنا من أمثال أبى رية من يطعن فيه ويعتبره مخدوعاً ، ومضحوكا عليه من مسلمة أهل الكتاب ككعب الأحبار.

حيث يذكر أبورية فى كتابه (أضواء على السنة المحمدية) أن أحبار اليهود اتبعوا بدهائهم العجيب طرقا غريبة لكى يستحوذوا بها على عقول المسلمين ، ويكونوا محل ثقتهم ، وموضع احترامهم .

والعجيب أن أبارية لم يجد مثالاً للتدليل على ما يقول إلاحديث البشارة بنبوة رسول الله ﷺ ، وذكر نعته فى التوراة ، ووصف هذا الحديث بأنه خرافة إسرائيلية امتدت وسرت إلى عبد الله بن عمرو بن العاص أحد تلاميذ كعب الأحبار ، بعد أن وضعه عبد الله بن سلام فى

---

١٧ - أسد الغابة : ٢٣٣/٣

قالب وصياغة لا تثير أدنى ارتياب ، ثم أحكمه كعب فى صياغة أخرى ، كى يستحوذ على عقول المسلمين .[١٨]

ونستطيع أن نرد على أبى رية بما يأتى :

١- إنه لم يراع الأدب فى الحديث عن صحابى جليل أثنى عليه رسول الله ﷺ ؛ وفى ذلك من الخطورة ما فيه ، وقد أسلفنا الإشارة إلى ذلك قريباً .

٢- إن الحديث الذى وصفه بأنه خرافة وأنه من وضع عبد الله ابن سلام وكعب الأحبار ، حديث صحيح شهد له القرآن الكريم وجاء فى أصح مصادر السنة وهو صحيح البخارى .

ففى القرآن الكريم يقول تعالى :-

(ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون)[١٩]

أما صحيح البخارى فقد جاء في كتاب التفسير باب (**إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً**) [سورة الفتح] عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما : " أن هذه الآية

---

[١٨] - انظر كتابه : أضواء على السنة المحمدية :١١٣-١١٤

[١٩] - الأعراف : ١٥٦ ، ١٥٧.

التى فى القرآن (**يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً**)[٢٠] قال : فى التوراة ، يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزا للأميين، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظٍ ولا سخابٍ بالأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله ، فيفتح بها أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً .

كما أخرجه البخارى فى كتاب البيوع ، باب كراهة السخب فى الأسواق حيث أوضح صدر الحديث أن عبد الله قال هذا الحديث نتيجة طلب عطاء بن يسار منه بيان بعض أوصافه صلى الله عليه وسلم فى التوراة .

حيث قال عطاء : " لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قلت: أخبرنى عن صفة رسول الله ﷺ فى التوراة ، قال: أجل ، والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن الكريم " ثم ساق الحديث .

فهل يجوز لمسلم أن يقول عن حديث جاء فى أصح كتب السنة على الإطلاق ، وشهد لمضمونه كتاب الله ، كما جاء فى سورة الأعراف بأن تلك الصفات الموجودة فى كتب أهل الكتاب ، هل يجوز لمسلم أن يقول عن هذا الحديث إنه خرافة وأباطيل ضحك بها أهل الكتاب على المسلمين ؟.

إنى أخشى أن يكون هذا الكلام من أبى رية طعناً فى القرآن ذاته من وراء ستار ، وأرجوله ألا يكون ذلك قصده .

---

٢٠ - الأحزاب :٤٥

٣- وإذا كان الناس ينسبون إلى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه أصاب زاملتين من كتب أهل الكتاب يوم اليرموك فإن ذلك لا يطعن فيه.

فعبد الله بن عمرو بن العادن أحد علماء الصحابة الأجلاء رضى الله عنهم والمطلوب من العالم أن يكون ذا ثقافة واسعة ليقف على الثقافات الأخرى من ناحية ، وليرد على أهل الباطل باطلهم من ناحية أخرى .

فلا مانع من قراءته فى هاتين الزاملتين إذا صح خبرهما ولكن الذى نمنعه ولا نستجيزه بحال أن يكون فيهما باطل ويحدث به عبد الله بن عمرو دون أن ينبه الناس إليه .

فالصحابة مع ثقافة أهل الكتاب لهم ميزان خاص ، أشرنا إليه سابقا فى أكثر من موضع ، فلا يحدثون بأى شئ ولا يصدقون أى شئ.

٤- ومما يدل على تورع عبد الله بن عمرو فى رواية الأحاديث ما ذكرناه سابقا من توقفه فى كتابة الحديث عندما نهته قريش ، معللة بأن الرسول صلى الله عليه وسلم يتكلم فى حال الرضا والغضب ، وما كتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا بعد ذلك إلا بعد أن أذن له ، وقال له إنى لا أقول إلا حقاً.

أفيعقل من عبد الله بن عمرو أن يحدث بأباطيل أهل الكتاب ، وهذا ورعه وتخوفه ؟

٥- أشرنا سابقاً إلى حديث "الصحيفة الصادقة" وكيف أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان لا يحب الدنيا إلا من أجل هذه الصحيفة الصادقة، أفيعقل من الذى يحرص على هذا الصدق فى أجل صورة أن يتحدث أو يحدث بأباطيل أهل الكتاب ؟ إن هذا إلا

افتراء، افتراه إنسان أعمى القلب حينما نسب هذا الزور إلى ثلاثـــة أفاضل ، منهم اثنان من كبار الصحابة ، وهما عبدالله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن سلام وأحد التابعين الكـــرام وهـــو كعـب الأحبار، رضى الله عنهم أجمعين.

٤-عبد الله بن ســـلام

هو عبد الله بن سلام بن الحارث ، أبو يوسف ، من ذرية يوسف النبى عليه السلام ، حليف القوافل مـــن الخـــزرج ، الإســـرائيلى ثـم الأنصارى حبر عظيم من أحبار اليهود ، الذين وقفوا على نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة ، فلما قدم النبى ﷺ المدينة وســـمع به ذهب إليه ودقق فى وجهه وسمته فعرف أنه هو النبى المذكور فـــى التوراة ، الذى يبعث آخر الزمان فشهد له بالنبوة ، ودخل دين الإسلام.

أخرج الإمام أحمد وغيره عن عبد الله بن سلام قال : لما قـــدم النبى ﷺ انجفل الناس عليه ، فكنت فيمن انجفل، فلما تبينـــت وجهـــه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، فكان أول شئ سمعته يقول: أفشـوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا والنـــاس نيـــام ، تدخلوا الجنة بسلام .[٢١]

ويحدثنا البخارى عن إسلامه ومكانته فيقول فى صحيحه بإسناده عن أنس قال: سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله ﷺ: وهـــو فـــى أرض يخترف ، فأتى النبى ﷺ فقال إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمـــهن إلا

---

[٢١] - مسند أحمد : ٤٥١/٥.

نبى ، فما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام أهل الجنة ؟ ومـ ينزع الولـد إلى أبيه أو إلى أمه ؟

قال : أخبرنى بهن جبريل آنفا ، قال جبريل ؟ قال : نعم ، قال : ذاك عدو اليهود من الملائكة ، فقرأ هذه الآية (**من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك**).

أما أول أشراط الساعة: فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب.

وأما أول طعام أهل الجنة: فزيادة كبد الحوت .

وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة نزعت.

قال أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك رسول الله .

يارسول الله ، إن اليهود قوم بهت ، وإنهم إن يعلموا بإسلامى قبل أن تسألهم يبهتونى ، فجاءت اليهود ، فقال النبى ﷺ: أى رجل عبدالله فيكم ؟ قالوا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا ، قال: أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام ؟ فقالوا :أعاذه الله من ذلك ، فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه ، قال : فهذا الذى كنت أخاف يارسول الله.[٢٢]

وشهد له القرآن بالإيمان الصادق ، حيث نزل فيه قوله تعالى (**قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم**) الأحقاف: ١٠

---

٢٢ - البخاري : كتاب التفسير ، باب قوله (من كان عدوا لجبريل)

فقد روى الإمام البخارى فى صحيحه بإسناده عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : " ما سمعت النبى ﷺ يقول لأحد يمشى على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام ، قال : وفيه نزلت هذه الاية (**وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله**) الآية[٢٢]

بل شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم باستمراره على الإسلام طوال حياته حتى يلقى ربه .

أخرج البخارى فى الموضع ذاته عن قيس بن عباد قال :"كنت جالساً فى مسجد المدينة ، فدخل رجل على وجهه أثر الخشوع ، فقالوا هذا الرجل من أهل الجنة ، فصلى ركعتين تجوز فيهما ، ثم خرج وتبعته فقلت : إنك حين دخلت المسجد قالوا هذا الرجل من أهل الجنة ، قال والله ما ينبغى لأحد أن يقول ما لا يعلم ، وسأحدثك لم ذاك.

رأيت رؤيا على عهد النبى ﷺ فقصصتها عليه ، ورأيت كأنى فى روضة- ذكر من سعتها وخضرتها وسطها عمود من حديد أسفله فى الأرض وأعلاه فى السماء ، فى أعلاه عروة ، فقيل لى : ارقه ، قلت : لا أستطيع ، فأتانى مِنصَف[٢٤] فرفع ثيابى من خلفى، فرقيت حتى كنت فى أعلاها.

فأخذت فى العروة ، فقيل له استمسك ، فاستيقظت وإنها لفى يدى. [٢٥] فقصصتها على النبى ﷺ فقال:

---

٢٢ - البخاري : كتاب المناقب ، باب مناقب عبد الله بن سلام .

٢٤ - قال ابن حجر فى فتح البارى : وهو الخادم :١٦٣/٧ .

٢٥ - قال ابن حجر : أى أن الإستيقاظ كان حال الأخذ من غير فاصلة، ولم يرد أنها بقيت فى يده حال يقظته ، ولو حمل على ظاهره لم يمتنع فى قدرة الله ، لكن الذى يظهر خلاف ذلك ويحتمل أن يريد أن أثرها بقى فى يده بعد الاستيقاظ ، كأن يصبح فيرى يده مقبوضة.

"تلك الروضة الإسلام ، وذلك العمود عمود الإسلام وتلك العروة عروة الوثقى ، فأنت على الإسلام حتى تموت ، وذلك الرجل عبد الله بن سلام."

من هذه الأحاديث السابقة نقف على مكانة عبد الله بن سلام قبل الإسلام وبعده فهو عند اليهود سيدهم وابن سيدهم ، وأعلمهم وابن أعلمهم كما جاء فى رواية البخارى فى كتاب المناقب باب الهجرة ، حيث قالوا سيدنا وابن سيدنا ، وأعلمنا وابن أعلمنا "الحديث: ٣٩١١"

وهو عند الله تعالى ورسوله والمؤمنين من المؤمنين الصادقين ، والعلماء العاملين المخلصين .

ومن هنا فإن أى رواية تنسب إليه تأخذ مكانتها من الذيوع والشهرة والقبول لذا نسب إليه الوضاعون كثيراً من الرويات الإسرائيلية ، وهذا شئ طبيعى من الوضاعين ، ولكن الذى لانراه طبيعياً ، ولا نقبله بحال من الأحوال أن نتخذ من تلك الروايات سبباً فى الطعن فيمن نسبت إليه ، أو فى النيل من دينه وأمانته ، وإلا فما وجدنا لأحد فى الدنيا مكانة إذا اخذناه بما ينسب إليه من كذب وأباطيل .

وها هو رسول الله ﷺ قد وضع عليه الكذابون أحاديث وافتروا عليه افتراءات أكثر من أى شخص آخر فى الوجود فهل نطعن فيه صلى الله عليه وسلم لمجرد أنه نسب إليه أباطيل أو نكفر بالإسلام لمجرد أن قيلت عنه أكاذيب ؟

نقول هذا لأن هناك من طعن فيه وفى أمانته ، كما سبق أن ذكرنا عن أبى رية فى حديثه عن عبد الله بن عمروبن العاص ، حيث ادعى أبورية فى كتابه أضواء على السنة أن عبد الله بن سلام كان يصوغ الأباطيل ويضعها فى قالب لفظى لايثير ارتياباً كما حدث فى

حديث البشارة بنبوته صلى الله عليه وسلم فيخدع المسلمين بتلك الأباطيل .

ونحن أمام عبد الله بن سلام وطعن الطاعنين فيه نقرر ما يلي :

١-إن الأسلوب الذى تحدث به أبو رية عن عبد الله بن سلام وهو أحد صحابة رسول الله ﷺ ، لايليق ، بل لا يجوز أن يصدر من مسلم بحال من الأحوال تجاه الصحابة الذين زكاهم الله تعالى وأثنى عليهم رسول الله ﷺ ، وحذر من سبهم .

٢-إن قول أبى رية فى عبد الله بن سلام واغترار المسلمين به يناقض صريح القرآن ، وصحيح السنة وصريحها أيضاً فالقرآن كما سبق ذكره شهد له بالإيمان فى قوله تعالى (فآمن واستكبرتم) والرسول ﷺ شهد له بالجنة كما سبق أيضاً بل صرح الرسول ﷺ بأن الإسلام لن يفارقه لحظة مادام حياً حتى يموت ، كما جاء فى الحديث السابق " فأنت على الإسلام حتى تموت "

فهل الله يشهد له بالإيمان ثم يأتى أبو رية ويدعى غير ذلك ؟

وهل الرسول ﷺ يصرح بأن لن يتزحزح فى حياته عن الإسلام قيد شعرة حتى يلقى ربه ، ثم يأتى أبو رية ليؤكد أن إيمانه غير صادق، وأنه كان أداة هدم ، ومعول إفساد فى عقيدة وثقافة المسلمين ؟ إن الأمر لو كان كذلك لكشفه الله لنبيه ﷺ كما كشف له سائر أحوال المنافقين ، قال تعالى (**يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبؤهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون**) (التوبة :٦٤) بل إننا لنؤكد أن عبد الله بن سلام كان حريصاً كل الحرص على وحدة كل المسلمين كما كان محباً لآل البيت رضى الله عنهم أجمعين.

يقول الحافظ ابن حجر فى الإصابة :

" وأخرج البغوى فى المعجم بسند جيد عن عبد الله بن معقل قال: نهى عبد الله بن سلام علياً عن خروجه إلى العراق وقال : الزم منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن تركته لانراه أبداً ، فقال على: إنه رجل صالح منا[٢٦]

إن الذى يخدع المسلمين إنما يسعى فى تمزيق صفهم ، وتفريق شملهم ولذلك شهد له على بن أبى طالب ﷺ بالصلاح .

٣- إن استغلال اسمه ومكانته ﷺ فى الترويج للموضوعات والأباطيل ليس ذنبه ،وإنما الذنب ذنب الوضاعين الكاذبين فلا تزر وازرة وزر أخرى .

٤- فضلا عن شهادة الله ورسوله ﷺ له ، بل وبناء عليها ، فقد أجمع أهل الجرح والتعديل على توثيقه وعدالته ، فقبلوا حديثه ، ولذلك وجدنا أعلم العلماء فى هذا الفن يروون عنه ، وأصح الكتب فى هذا الضمار تعتمد روايته ما دام إسنادها صحيحا بل إننا وجدنا الصحابة ﷺ يتواصون بأخذ العلم عنه.

قال ابن حجر فى الإصابة:

"وفى التاريخ الصغير للبخارى بسند جيد عن يزيد بن عميرة قال حضرت معاذا الوفاة فقيل له : أوصنا ، فقال : التمسوا العلم عند أبى الدرداء ، وسلمان ، وابن مسعود ، وعبد الله بن سلام الذى كان يهوديا فأسلم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنه عاشر عشرة فى الجنة.[٢٧]

---

٢٦ - الإصابة : ١٠٤/٤ .

٢٧ - الإصابة : ١٠٣/٤.

وبناء على ذلك فإن كل مروياته تعرض على قواعد القبول والرد فما كان صحيحا منها قبل ، وما كان ضعيفا رد ، شأن مروياته في ذلك شأن جميع المرويات .

ولا نقول عنه إلا خيراً ، ولا نشهد له إلا بالإيمان كما أخبرنا بذلك القرآن وأوضحته سنة نبينا عليه الصلاة والسلام .

٥- تميم الداري

من الشخصيات التي اشتهرت برواية الإسرائيليات أو بنسبة الإسرائيليات إليها هي شخصية تميم الداري.

وهو:[٢٨] تميم بن أوس بن حارثة (وقيل خارجة) بن سود (وقيل سواد) ابن جذيمة بن ذراع بن عدي بن الدار ، أبو رقية ، الداري ، كان نصرانيا ، وقدم المدينة فأسلم سنة تسع هو وأخوه نعيم ، ولهما صحبة وغزا مع النبي ﷺ انتقل إلى الشام بعد قتل عثمان ، وسكن فلسطين ، وكان راهبها وعابدها ، وكان النبي ﷺ أقطعه بها قرية عَيْنون ، وكان كثير التهجد ، قام ليلة بآية حتى أصبح وهي (**أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم**) [الجاثية :٢١]

قال الحافظ في الإصابة : رواه البغوي في الجعديات بإسناد صحيح إلى مسروق .[٢٩]

---

[٢٨] - انظر ترجمته في الاصابة :٤٨٧/١، وتهذيب التهذيب : ٥٣٩/١

[٢٩] - الإصابة :٤٨٨/١.

كما قال الحافظ أيضا " وروى البغوى فى الصحابة له قصة مع عمر فيها كرامة واضحة لتميم ، وتَعَظُّمُ كثير من عمر " وقد ذكرها الحافظ فى ترجمة " معاوية بن حرمل " فى قسم المخضرمين .

حيث قال :-

" أخرج البغوى من طريق الجُريرى ، عن أبى العلاء ، عن معاوية بن حرمل ، قدمت على عمر ، فقلت يا أمير المؤمنين تائب من قبل أن يقدر علىّ ، فقال من أنت ؟ فقلت معاوية بن حرمل ، ختن مسيلمة [٣٠]، قال : اذهب فا نزل على خير أهل المدينة ، قال : فنزلت على تميم الدارى .

فبينا نحن نتحدث إذ خرجت نار بالحَرَّة ، فجاء عمر إلى تميم ، فقال : ياتميم ، أخرج ، فقال : وما أنا ؟ وما تخشى أن يبلغ أمرى ؟ فصغر نفسه ، ثم قال فحاشها حتى أدخلها الباب الذى خرجت منه ، ثم اقتحم فى أثرها ، ثم خرج فلم تضره .[٣١]

وتميم هذا بحكم نصرانيته ، وبحكم ثقافته فيها ، جمع بعد إسلامه بين الثقافتين النصرانية والإسلامية

وكان يحدث الناس ويقص عليهم ، وظهر ذلك عليه منذ اللحظة الأولى لإسلامه، حيث قصّ على رسول الله ﷺ حديث الجساسة ، كما سنذكره الآن إن شاء الله تعالى .

بل إن تميماً يعتبر أول من قصّ ، وذلك فى عهد عمر ، رواه إسحاق ابن راهويه وابن أبي شيبة ، كما ذكره الحافظ في الإصابة وذكره صاحب أسد الغابة فى ترجمتهما له.

---

٣٠ - هو مسليمة الكذاب ، حيث وقف معه معاوية بن حرمل في حروب الردة.

٣١ - الإصابة :٦/٢٣٨

ونتيجة لتلك الثقافة لتميم الداري وتحدثه ببعض القصص فقد اتهمه أبورية بأنه لوث الدين الإسلامى بمسيحياته ، وأنه يعتبر المسؤول الأول عن التأثير السئ للمسيحيات فى الدين الإسلامى حيث يقول :

فى كتابه (أضواء على السنة المحمدية) وتحت عنوان (المسيحيات فى الحديث) :

"إذا كانت الإسرائيليات قد لوثت الدين الإسلامى بمفترياتها فإن المسيحيات كان لها كذلك نصيب مما أصاب هذا الدين ، وأول من تولى كبر هذه المسيحيات هوتميم بن أوس الدارى وهومن نصارى اليمن[٣٢]

ثم يذكر إنه ملأ الأرض بتلك المسيحيات ، حيث حدث بقصص الجساسة والدجال وإبليس وملك الموت ، شأنه فى ذلك شأن زميليه كعب الأحبار ووهب بن منبه .

ثم يدلل على دعواه تلك بحديث الجساسة .

ونحن فى مقام الدفاع عن هذا الصحابى الجليل نقرر ما يلى :

١- إن أبارية شغوف بالطعن فى مسلمة أهل الكتاب ، وكأنى أشعر من داخل نفسى بأن سريرة هذا الرجل وهو أبو رية تنطوى على شعور غير سوى ، وقلب غير سليم .

حيث إن الذين يطعن فيهم هم صحابة لرسول الله ﷺ ، شهد لهم القرآن بصدق الإيمان ، كما أثنى عليهم رسول الله عليه الصلاة والسلام ، كما كان لهم سيرة محمودة بين الخلفاء الراشدين، وسائر معاصريهم من المسلمين

٢- إن حديث الجساسة هذا يعتبر تأييدا للدين الإسلامى وليس تلويثا له، كما ادعى أبو رية .

---

٣٢ - أضواء على السنة المحمدية :١٤٠

بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نص على ذلك نصا ، وجمع صحابته الكرام ليشهدهم على هذا التأييد .

ولننظر إلى بعض هذا الحديث لنرى فيه هذه الفائدة الجليلة !!!

هذا الحديث رواه مسلم وغيره فى كتاب الفتن ، باب قصة الجساسة عن فاطمة بنت قيس ، وكانت من المهاجرات الأول ، حيث سألها عامر بن شراحيل الشعبى أن يحدثها حديثا سمعته هى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتسنده إلى أحد غيره ، فقالت له : لئن شئت لأفعلن ، ثم تحدثت عن زواجها من ابن المغيرة ، ثم انفصالها عنه ومكوثها فى بيت ابن عمها عبد الله بن عمرو بن أم مكتوم لتقضى عدتها عنده ، تقول :

" فلما انقضت عدتى سمعت نداء المنادى ، منادى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ينادى : الصلاة جماعة ، فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكنت فى صف النساء التى تلى ظهور القوم.

فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ، جلس على المنبر ، وهو يضحك ، فقال : ليلزم كل إنسان مصلاه ، ثم قال: أتدرون لم جمعتكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : إنى والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ، ولكن جمعتكم لأن تميما الدارى كان رجلا نصرانيا ، فجاء فبايع وأسلم وحدثنى حديثا وافق الذى كنت أحدثكم عن مسيح الدجال ، حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام ، فلعب بهم الموج شهرا فى البحر ، ثم أرفأوا إلى جزيرة فى البحر ، حتى مغرب الشمس ، فجلسوا

فى أقْرُب السفينة[٢٢] ، فدخلوا الجزيرة ، فلقيتهم دابة أهلّب كثير الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره، من كثرة الشعر، فقالوا : ويلك ما أنـت ؟ فقالت أنا الجساسة ، قالوا وما الجساسة ؟ قالت : أيها القوم ، انطلقـوا إلى هذا الرجل فى الدَّير ، فإنه إلى خبركم بالأشواق " إلى آخر الحديث، الذى يبين أنهم قابلوا هذا الرجل الذى هو المسيح الدجال ، حيث سـألهم عدة أسئلة ، ومنها عن ظهور النبى ﷺ ، وكيف أن الله تعـالى حـرم دخول الدجال أرض مكة والمدينة ، وفى نهاية الحديث يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته هذا السؤال .

"ألاهل كنتُ حدثتكم ذلك ؟"

فقال الناس : نعم ، فقال ﷺ: " فإنه أعجبنى حديث تميـم أنـه وافق الذى كنت حدثتكم عنه وعن المدينة ومكة "

إن صدر الحديث وخاتمته يبين لنا الفائدة العظمـى مـن هـذا الحديث ألا وهى الإعجاز الغيبى ، الذى يدل على صدق نبوة الرسـول صلى الله عليه وسلم ، ولكن أبارية يقلب الوضع ، ويعتبره دليلا علـى تلويث الإسلام بمثل تلك الروايات.

إن الحديث عن الغيبيات اعتبره القرآن الكريم فى أكـثر مـن موضع دليلاً على نبوته ﷺ ومن أمثلة ذلك ما يأتى:

فى قصة نوح مثلا يقول الله فى عقبها : (**تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا**) سورة هود،الآية:٤٩

---

[٢٢] - الأقرب جمع قارب ، وهي سفينة صغيرة تكون مع الكبيرة ، يتصرف فيها ركاب السفينة لقضاء حوائجهم ،وقيل : أقرب السفينة أدانيها أي قارب إلى الأرض منها.

-وبعد أن قص الله على رسوله ﷺ طرفا من قصة موسى يقول له (**وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين**) القصص: ٤٤

وبعد هذه الآية بآية واحدة يقول أيضا : (**وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك**) القصص: ٤٦

-وبعد قصة يوسف عليه السلام يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: (**ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون**) يوسف : ١٠٢

وفى ثنايا قصة مريم عليها السلام يقول تعالى : (**ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون**) آل عمران : ٤٤

أبعد كل ذلك ، وبعد تلك الدلالة العظمى نعتبر حديث الجساسة تلويثا للدين ، ونعتبر تميما ممن غرروا بالمسلمين ؟

٣-ومما يدل على أن تميما لم يك يحدث بأى شئ ، بل بما فيه فائدة تعود على المسلمين بالنفع العميم ، أن عمر أذن له بالتحدث - كما سبق ذكره - وعمر من هو إلهاما وفراسة ، فلا يعقل أن يخدع فيه عمر ، بل إن عمر زكاه بقوله : إنه خير أهل المدينة كما سبق ذكره فى رواية البغوى .

٤- ومما يدل على مكانته وصدقه وعدله أن أهل الفن وهم علماء الجرح والتعديل وثقوه وعدلوه ، ورووا له فى أصح كتب السنة .

وكيف لا وهو صحابى جليل استمع لروايته رسول الله ﷺ، وأقرها واعتبرها شهادة صدق له على نبوته ؟ أفيوثقه الرسول ﷺ ونطعن فيه نحن ؟ إن هذا إلا افتراء !!!!

٥- إن اشتمال حديث الجساسة على بعض العجائب والغرائب لا يطعن في صحته ، لسببين :

أولا: أن الرسول ﷺ أقره .

ثانيا: لأنه يتناول أمورا تتحدث عن أمارات الساعة وأشراطها وهي أمور خارجة عن دائرة التصور ، ولذلك فإن العلماء قد خصصوا لها كتابا معينا في كتب الحديث أسموه ، كتاب الفتن ، نظرا لفتنة الناس بهذه الأمارات والأشراط.

وبناء على كل ما سبق ، فإن تميما الداري صحابي جليل لا نقول فيه ولا عنه إلا خيرا ، أما ما يروى عنه أو ينسب إليه من روايات فشأنها شأن كل المرويات الحديثية ، تعرض على قواعد القبول والرد ، فما كان صحيحا منها قبل ، وما كان ضعيفا منها رد ، ولا ذنب لتميم فيها ، إنما الذنب ذنب من نسبها إليه ، وروجها عليه .

ثانيا : من اشتهر من التابعين برواية الإسرائيليات

أما التابعون : فقد انساح الإسلام فى عهدهم إلى مشرق الدنيا ومغربها، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، بل أمما و دولا ، وكان من بين هؤلاء الداخلين جماعات كثيرة من أهل الكتاب ، ومن بينهم أحبار ورهبان ، ولما كان فى القرآن الكريم حديث بإيجاز عن أحوال اليهود والنصارى، وكان عند هؤلاء الأحبار والرهبان تفاصيل لما أجمله القرآن الكريم تاقت نفوس بعض المسلمين إلى سماع تلك التفاصيل .

وإذا نحن تتبعنا تلك الروايات التى جرت على ألسنة هؤلاء الأحبار والرهبان أو نسبت إليهم وجدنا أكثرها فى هذا العهد جرت عن طريق حبرين كبيرين من أحبار اليهود الذى أسلموا ، وهما كعب الأحبار ، ووهب بن منبه .

ولذلك عد هذان الحبران أشهر من عرف برواية الإسرائيليات فى عهد التابعين .

وهذه كلمة عن كل واحد منهما .

١- كعب الأحبار

هو كعب بن ماتع الحميرى ، أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار.

ذكره ابن سعد فى الطبقة الأولى من تابعى أهل الشام ، وقال : كان على دين يهود فأسلم وقدم المدينة ، ثم خرج إلى الشام فسكن حمص ، حتى توفى بها سنة اثنتين وثلاثين فى خلافة عثمان .

وقال أبو مسهر : والذى حدثنى غير واحد أن كعبا كان مسكنه باليمن فقدم على أبى بكر ، ثم أتى الشام فمات به .

وقد أثنى بعض الصحابة على عمله ثناء طيبا .

فقال عنه أبو الدرداء – فيما نقله ابن سعد -: إن عند ابن الحميرى لعلما كثيرا..

وقال عنه معاوية : ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء ، إن كان عنده لعلم كالثمار وإن كنا فيه لمفرطين .[24]

أما من ناحية ثقته وعدالته ، فهو ثقة عدل ، ولذلك روى له الأئمة الكبار الذين دونوا السنة ، فوجدنا له أحاديث في صحيح مسلم ، وسنن الترمذي وأبي داود والنسائي ولم نجد له ذكرا فى كتب الضعفاء والمتروكين.

ولكنه رغم كل ذلك قد روى بعض الإسرائيليات التى كانت فى جعبته حينما دخل الإسلام ، ونسبت إليه إسرائيليات كثيرة زورا وبهتانا ومن هنا فقد جرت عليه تلك الروايات التى رواها أو نسبت إليه الكثير من التهم ، حتى رأينا بعض المعاصرين يرمونه بالزندقة والنفاق والكذب كما حدث من أبى رية وأحمد أمين ، ومحمد رشيد رضا.
فها هو أبو رية يقول عنه بكل صراحة ووضوح:

" إنه أظهر الإسلام خداعا ، وطوى قلبه على يهوديته ، وأنه سلط قوة دهائه على سذاجة أبى هريرة لكى يستحوذ عليه ويتيمه ، ليلقنه كل ما يريد أن يبثه فى الدين الإسلامى من خرافات وأوهام ، وأنه قد طوى أبا هريرة تحت جناحه حتى جعله يردد كلامه بالنص ، ويجعله حديثا مرفوعا إلى النبى ﷺ [25]

ونستطيع أن نرد على أبى رية فى اتهامه كعبا بإيجاز في النقاط التالية :

---

[24] - هذه الترجمة مأخوذة عن تهذيب التهذيب : ٥٧٨/٧ ط دار الفكر.

[25] - أضواء على السنة المحمدي لأبي رية : ١٧٢،١٧٣.

١- السيرة الذاتية لكعب مع كبار الصحابة وبلائه بلاء حسنا في الإسلام .

فكعب قد أسلم على الرأى المشهور في خلافة عمر رضي الله عنه ، وسكن المدينة معه ، وصاحبه ، وشارك في غزو الروم فترة الخلافة العمرية وعمر رضى الله عنه وهو الملهم كما حدث عنه رسول الله ﷺ . يطعن في دينه ، ولم يحذر المسلمين من نفاقه لو كان ، أفيعقل أن يكون الرجل هكذا من النفاق والزندقة والكيد للمسلمين ، وعمر وسائر الصحابة لا ينتبهون له ؟

٢- إن الصحابة رضوان الله عليهم قد أثنوا عليه وعلى علمه ، وقد أشرنا إلى طرف من أقوالهم عنه في بداية الحديث عنه .

٣- علماء الجرح والتعديل وثقوه ، وشهدوا له بالعدالة ، ولذلك رأينا حديثه في صحيح مسلم وسنن الترمذى والنسائى وأبى دواد ولم نجده له ذكرا في كتب الضعفاء والمتروكين .

٤- روى عنه كثير من أعلام الأمة من الصحابة والتابعين.

قال عنه ابن حجر في التهذيب :

"روى عنه ابن امرأته تبيع الحميرى ، ومعاوية ، وأبو هريرة ، وابن عباس ، ومالك بن أبى عامر الأصجى وعطاء بن أبى رباح ، وعبد الله ابن ضمرة السلولى ، وعبد الله بن رباح الأنصارى ، وممطور أبو سلام ، وأبو رافع الصائغ ، وعبد الرحمن بن مغيث ، وروح بن زنباع ، ويزيد بن خمير وشريح بن عبيد، ولم يدركه ، وابن مواهن وآخرون.[٣٦]

---

٣٦ - تهذيب التهذيب : ٥٧٨/٧.

فهل يعقل من أعلام الأمة من الصحابة والتابعين أن يكونوا سذجا مخدوعين فيه ، غير واقفين على حاله أو مراده ؟

إن السيرة الذاتية له ، وثناء الصحابة عليه ، وتوثيق علماء الجرح والتعديل له ورواية أعلام الأمة عنه من الصحابة والتابعين لأبلغ دليل على صدقه وعدالته ، وأكبر برهان على زيف ما ادعاه أبورية ، طاعنا إياه فى دينه وعدالته.

أما الأستاذ أحمد أمين فيطعن فى ثقة وعدالة كعب الأحبار ، ويتهمه بالكذب ، كما يتهمه وأمثاله من مسلمى أهل الكتاب بأنهم كانوا أصحاب تأثير سئ فى عقيدة المسلمين .

وهذه بعض أقواله كما جاءت فى كتابه فجر الإسلام :

يقول : " وقد لاحظ بعض الباحثين أن بعض الثقات كابن قتيبة والنووى لايروى عنه أبدا ، وابن جرير الطبرى يروى عنه قليلا، ولكن كالثعلبى والكلبى ينقل عنه كثيرا فى قصص الأنبياء ."

ثم يريد أحمد أمين التدليل على نفاق كعب الأحبار ، فيقول "ويروى عنه ابن جرير أنه جاء إلى عمر بن الخطاب قبل مقتله بثلاثة أيام وقال له "اعهد فإنك ميت فى ثلاثة أيام ، قال وما يدريك ؟ قال : أجده فى كتاب الله عز وجل ، فى التوراة ، قال عمر : إنك لتجد عمر بن الخطاب فى التوراة ؟

قال : اللهم لا، ولكن أجد صفتك وحليتك ، وأنه قد فنى أجلك.

ثم استنتج أحمد أمين من هذه القصة ما يلى : حيث قال

"وهذه القصة إن صحت دلت على وقوف كعب على مكيدة قتل عمر ، ثم وضعها هو فى هذه الصيغة الإسرائيلية ، كما تدلنا على مقدار اختلاقه فيما ينقل".

إلى أن قال : "وعلى الجملة فقد دخل على المسلمين من هؤلاء[٢٧] وأمثالهم في عقيدتهم وعلمهم كثير كان له فيهم أثر غير صالح.[٢٨]

ونرد على ما قاله أحمد أمين بإيجاز في النقاط التالية :

١- إن طعنه في ثقة كعب الأحبار بعدم رواية ابن قتيبة والنووى عنه استدلال في غاية الوهن ، بل هو أوهن من بيت العنكبوت فابن قتيبة والنووى رحمهما الله - رغم مكانتهما العالية ومنزلتهما السامية - أين هما من غيرهما من أئمة علم الحديث رواية ودراية كالامام مسلم والترمذى والنسائى وأبو داود ؟ فإذا كان ابن قتيبة والنووى لم يرويا عنه فقد روى عنه من هم خير منهما في هذا الباب أعنى باب الحديث رواية ودراية .

٢- ثم من قال إن ابن قتيبة والنووى من المحدثين الحفاظ كأصحاب الكتب الإسلامية الستة مثلا ؟ إنهما حسب علمي ليسا من أهل هذا الفن، وإنما هما جامعان لما دونه أهل هذا الفن ؟

٣- فإذا ما جئنا إلى قصة مقتل عمر ، ومشاركة كعب في هذا القتل قلنا إن هذه الرواية باطلة موضوعة ، وأمارات البطلان والوضع عليها ظاهرة .

أ- فالمعروف أن المشترك في أى جريمة يحاول قدر المستطاع أن لايكون ظاهرا في الصورة ، بل يحاول أن يموه على الآخرين ، بحيث لا تحوم حوله أى شبهة من قريب أو من بعيد.

---

٢٧ - يقصد مسلمي أهل الكتاب .

٢٨ - فجر الإسلام :١٩٨.

فهل من المعقول عن كعب – وهو من هو ذكاء عقل ، وقـوة رأى – أن يأتى لمن يريد قتله ويخبره بموعد قتله هكـذا بكـل صراحة ووضوح ؟ إن هذا لهو قمة الغباء ، الذى نـنزه عقـل كعب عنه ، كما ننزه قلبه عن الهم بمثل تلك الجريمة فضلا عن الاشتراك الفعلى فيها .

ب- والسيرة الذاتية لكعب تبعد اشتراكه فى تلك الجريمة ، فـهو من هو دينا وخلقا وعلما ، وثقة ، ولذلك أثنى عليه وعلى علمـه الصحابة ، وروى عنه أئمة الحديث ، ولم يتهموه بالكذب .

أفيعقل عنه أن يعلم بمؤامرة قتل خليفة المسـلمين ، ولا يحـذر عمر منها، أو يتستر على مدبري المؤامـــرة ، وعلـى القـائم بتنفيذها ؟

إن هذا ما نستبعده أتم الاستبعاد .

جـ ثم إن المعروف عن ابن جرير الطبرى فى تفسيره وتاريخه أنه لا يهتم بصحة ما يرويه ، وإنما يهتم بذكر السند ، جريا منه على قاعدة من أسند لك فقد أحالك ، أى كلفـك بـالبحث عـن الصحة وعدمها. وهذا مشهور لدى جميع العلماء عن ابن جرير الطبرى .

د- بل إن أحمد أمين نفسه قد اشتم بطلان هذه القصة ولذا عـبر عنها بقوله "وهذه القصة إن صحت دلت على" . فأتى بـــ "إن" التى تفيد الشك.

أما قول أحمد أمين " وعلى الجملة فقد دخل على المسلمين مـن هؤلاء وأمثالهم فى عقيدتهم وعلمهم كثير كان له فيهم أثر غير صالح "

فإننا نقره على ذلك ، فكان من الخير لكعب وأمثاله أن لا يتحدثوا بتلك الإسرائيليات ، ففى الإسلام غنى عن كل ذلك .

ولكن هذا لا يعنى أنه كان يقصد بتلك الروايات إفساد عقيدة المسلمين ، خاصة أنه لم ينسب ذلك إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا قصد به شرح القرآن الكريم ، ولكن المتأخرين هم الذين شرحوا بتلك الروايات كتاب الله تعالى ، فالذنب الأكبر يقع على عاتق المتأخرين ، خاصة أن رسول الله ﷺ نهانا عن تصديق أهل الكتاب أو تكذيبهم ، فيما ليس لنا به علم.

أما الأستاذ محمد رشيد رضا فقد تحدث فى مقدمة تفسيره " المنار" عن كعب الأحبار ووهب بن منبه ، وذكر فى حقهما وفى حق علماء الجرح والتعديل كلاما فى غاية الخطورة .

حيث قال ما نصه : " فأنت ترى أن هذا الإمام المحقق (يقصد ابن تيمية) جزم بالوقف عن تصديق ، جميع ما عرف أنه من رواة الإسرائيليات ، وهذا فى غير ما يقوم الدليل على بطلانه فى نفسه ، وصرح فى هذا المقام بروايات كعب ووهب بن منبه ، مع أن قدماء رجال الجرح والتعديل اغتروا بهما وعدلوهما ، فكيف لو تبين له ما تبين لنا من كذب كعب ووهب ، وعزوهما إلى التوراة وغيرها من كتب الرسل ما ليس فيها شئ منه ولا حومت حوله.[٢٩]

إن هذا الكلام على قلة ألفاظه يحمل من الخطورة ما لم يقدر قدرها قائله وهو ينطق به .

ونستطيع أن نبرز زيف هذا الكلام من خلال أربعة محاور هى :

١- فهمه الخاطئ لكلام ابن تيمية رحمه الله .

---

٢٩ - تفسير المنار : ٩/١.

٢- رميه كعب الأحبار ووهب بن منبه بالكذب.

٣- زعمه اغترار علماء الجرح والتعديل بكعب ووهب ، حين وثقوهما وعدلوهما.

٤- ادعاؤه بأن كعبا ووهبا نسبا إلى التوراة وغيرها ما ليس فيها.

ونستطيع أن نناقش هذه النقاط الأربع بإيجاز كما يأتى :

١- أما بالنسبة للمحور الأول فنقول فيه : إنه قد فهم كلام ابن تيمية فهما خاطئا . فقد فهم من كلام ابن تيمية أنه يتوقف فى تصديق كل رواية إسرائيلية وهذا إذا لم يكن هناك دليل على بطلانه ، فإنه يرفضها ولايتوقف فيها .

بينما ابن تيمية لم يقصد ذلك فابن تيمية قصد أننا نتوقف فيما هو مسكوت عنه فقط ، مما لا يدل عندنا على موافقته أو مخالفته ، أما ما كان له دليل عندنا يدل على صدقه فلا يتوقف فيه بل نصدقه ، وقد نص على ذلك ابن تيمية نصا صريحا فى مقدمته التى تحمل عنوان "مقدمة في أصول التفسير" ، حين قسم الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام ، قسم يوافق شريعتنا فنصدقه ، وقسم يخالف شريعتنا فنكذبه ، وقسم مسكوت عنه ، فنتوقف فيه ، فلا نحكم عليه بصدق ولا كذب.

٢- أما المحور الثانى وهو رميه كعبا ووهبا بالكذب ، فهو اتهام باطل، وحكم مخالف للواقع ، خاصة أن أهل الفن وهم رجال الجرح والتعديل قد وثقوهما ، وشهدوا بصدقهما وعدالتهما .

أفيأتى رشيد رضا ليضع نفسه فى كفة ، وعلماء الأمة كلها فى كفة ، ونصدقه ونكذبهم ؟ إن هذا إلا هراء !!!

ويبدو أن الشيخ رشيد رضا قد اتكأ فى اتهامه هذا على ما جاء فى صحيح البخارى ، حيث يروى البخارى بإسناده عن حميد بن عبدالرحمن أنه سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة ، وذكر كعب الأحبار فقال: إنه كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب [٤٠]

والذى يرجح أن رشيد رضا قد اتكأ فى اتهامه هذا على رواية البخارى هذه أنه قال بعد كلامه السابق : "وقد علم أن بعض الصحابة رووا عن كعب الأحبار الذى روى البخارى عن معاوية أنه قال : (إن كنا لنبلو عليه الكذب ومنهم أبو هريرة وابن عباس) .[٤١]

وردنا على استدلاله وكلامه هذا ينحصر فى نقطتين.

أ- معنى العبارة التى وردت فى الحديث (إن كنا لنبلو عليه الكذاب) .

ب- فى بيان أن عبارته الأخيرة هذه دليل عليه لاله .

أما معنى عبارة (إن كنا لنبلو عليه الكذب) فهى وإن كانت فى ظاهرها تشعر لأول وهلة بنسبة الكذب إلى كعب ، فإنها فى الحقيقة وعند التأمل والتدبر لا تدل على ذلك ، كما قال شراح هذا الحديث .

وهذه بعض أقوال العلماء فى المراد بها :

قال ابن حجر فى فتح البارى فى شرحه لهذا الحديث :

"وقوله (عليه الكذب) أى يقع بعض ما يخبرنا عنه بخلاف ما يخبرنا به"

---

[٤٠] - صحيح البخاري : كتاب الاعتصام ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : لا تسألوا الكتاب ولا تكذبوهم .

[٤١] - المنار : ١/١٠.

ثم قال : قال ابن حبان فى كتاب "الثقات ": أراد معاوية أنه يخطئ أحيانا فيما يخبر به ، ولم يرد أنه كان كذابا ، وقال غيره : الضمير فى قوله (لنبلو عليه) للكتاب ، لا لكعب ، وإنما يقع فى كتابهم الكذب لكونهم بدلوه وحرفوه ، وقال عياض : يصح عوده على الكتاب ويصح عوده على كعب وحديثه ، وإن لم يقصد الكذب ويتعمده ، إذ لا يشترط فى مسمى الكذب التعمد ، بل هو الإخبار عن الشئ بخلاف ما هو عليه ، وليس فيه تجريح لكعب بالكذب.

وقال ابن الجوزى : المعنى أن بعض الذى يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذبا ، لا أنه يتعمد الكذب ، وإلا فقد كان كعب من أخيار الأحبار .[42]

وهكذا يقرر العلماء وشراح الحديث ثقة كعب الأحبار وعدالته ، وعدم نسبته إلى الكذب ، وأن الكذب المقصود فى الحديث إنما هو الكذب فى الخبر ذاته ، لافى المخبر نفسه ، خاصة أن معاوية ﷺ أثنى على كعب وعلى علمه ، وتندم على ما فاته من علمه ، فكيف يكون هذا الموقف من معاوية لكعب وعلمه ثم يرميه هو بالكذب؟

أما قول رشيد رضا بأن بعض الصحابة ، منهم أبو هريرة وابن عباس قد رووا عنه ، فإن قوله هذا دليل عليه لا دليل له ، فكيف يروى الصحابة عن كذاب وضباع ، خاصة أن الصحابة كانوا يتحرون الدقة فيما يروون أو فيما يسمعون ؟

أما المحور الثالث الذى يدور عليه كلام السيد محمد رشيد رضا وهو زعمه أن علماء الجرح والتعديل اغتروا بكعب ووهب ووثقوهما وعدلوهما فهو زعم باطل ، وكذب واضح وكلام فى منتهى الخطورة ،

---

٤٢ - فتح الباري : ١٣/٣٤٦ .

إن الأمر حينئذ لا يقتصر خطره على كعب ووهب فقط ، بل يتجاوزهما إلى جميع الصحابة بل يصل إلى حد التشكيك فى ثبوت السنة كلها .

ولا أدرى أين كان عقل محمد رشيد رضا حينما تفوه بهذا الاتهام الخطير لعلماء الجرح والتعديل ؟

إن هؤلاء العلماء هم الذين بينوا لنا صحيح السنة من ضعيفها وأصيلها من دخيلها ، وهم أهل الفن والاختصاص الذين يميزون بين الطيب والخبيث ، والغث والسمين ، والعدل والمجروح .

فمن الذى نلجأ إليه لمعرفة الحديث الصحيح من الضعيف ؟ وكيف يحكم الشيخ محمد رشيد رضا على الحديث ؟ أيحكم بعقله هو أم بعقل وحكم هؤلاء العلماء الذين رماهم بالغفلة والاغترار ؟

إنى لم أقرأ مثل هذا الاتهام من غير المسلمين لعلماء الجرح والتعديل ، فكيف خرج من شخص يفترض فيه أنه عالم من علماء المسلمين يذبون عن الدين ، ويدافعون عن علمائه المخلصين ؟

أما المحور الرابع من كلام الأستاذ رشيد رضا وهو ادعاؤه بأن كعبا ووهبا قد نسبا إلى التوراة وكتب الرسل ما ليس منها فهو ادعاء لايقدح فى عدالة كل من كعب ووهب لأن التوراة قد أصابها التحريف والتبديل مرات ومرات ، فليس معنى أن كعبا روى رواية يجب أن تكون فى التوراة التى بين أيدينا اليوم ، والتى ينقل منها رشيد رضا فى تفسيره كثيرا من نصوصها ، فلم لاتكون تلك الرواية موجودة فى التوراة التى عاصرها كعب ووهب ؟

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن التوراة ليست هى المصدر الوحيد لليهود فإن للتوراة سننا وشروحا وتلمودا ، فلم لاتكون تلك الرويات من التلمود أو تلك السنن والشروح ؟

إننا ننزه كعبا ووهبا عن اختلاق روايات كذبا وزورا ونسبتها إلى التوراة دون وجود حقيقى لتلك الوقائع فى التوراة ، لأن أهل التعديل والتجريح وثقوهما ، وحكموا بعدالتهما ، فلا ندع شهادة أهل الفن ، لزعم السيد محمد رشيد رضا رحمه الله .

٢- وهب بن منبه

أما الشخصية الثانية من التابعين الذين اشتهروا بروايات الإسرائيليات فهى شخصية وهب بن منبه .

وهو وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذى كناز اليمانى الصنعانى الذمارى ، أبو عبد الله .

أصل أبيه (منبه) من خراسان ، من أهل هراة ، أخرجه كسوى من هراة إلى اليمن ، فأسلم فى عهد النبى ﷺ وحسن إسلامه ، وسكن ولده باليمن ، وكان وهب بن منبه يختلف إلى هراة ويتفقد أمرها .

قال أحمد : وكان يتهم بشئ من القدر ثم رجع .

ولد سنة أربع وثلاثين فى خلافة عثمان وتوفى سنة عشر ومائة وقيل غير ذلك[٤٢]

والناظر فى كتب التفسير وغيرها يرى قدرا كبيرا من الروايات الإسرائيلية منسوبة إلى وهب بن منبه ، ومن هذه الإسرائيليات أباطيل كثيرة ربما تتنافى مع العقل والدين معا .

ولذلك فقد جرت عليه تلك الروايات تهما ظالمة هو منها فى الحقيقة برئ.

---

٤٢ - تهذيب التهذيب: ١٨٣/٩ ، ١٨٤ .

وقد رأينا قريبا ما قاله أحمد أمين والسيد محمد رشيد رضا في حقه هو وكعب الأحبار ، حيث طعنا في عدالته واتهماه بالكذب ، ونحن أمام البحث العلمي النزيه نقرر ما يلي :

١- ليس كل ما ينسب إلى وهب بن منبه من هذه الإسرائيليات صحيح النسبة إليه ، بل إن معظمه موضوع عليه ، وأمامنا قواعد القبول والرد، فلتوضع تلك الروايات على تلك القواعد ولتوزن بميزان الصحة والضعف، ليتبين في النهاية أن معظمها موضوع عليه رحمه الله.

٢- إن ما صح من روايات عن وهب ، ما كان له رحمه الله أن يرويها، لأنها عند كثير من الناس ينظر إليها على أنها جزء من ثقافة المسلمين فضلا عن تأثيرها السيئ في عقول المسلمين .

ولذلك يقول الدكتور محمد أبو شهبة عنه وعن إسرائيلياته :

"ونحن لا ننكر أن بسببه دخل في كتب التفسير إسرائيليات ، وقصص بواطل ، ولكن الذي ننكره أن يكون هو الذي وضع ذلك ، واختلقه من عند نفسه ، ولكنا مع هذا لا نخليه من التبعة ، والمؤاخذة ، أن كان واسطة من الوسائط التي نقلت هذا إلى المسلمين ، وألصقت بالتفسير إلصاقا ، والقرآن منها برئ ، ويا ليته ما فعل. [٤٤]

٣- هذه الروايات الإسرائيلية شئ ، وثقة وعدالة وهب بن منبه شئ آخر ، فتلك الروايات لا تنقص من الثقة فيه ، ولا تنال من عدالته ، لذلك حكم له العلماء بالقبول والثقة والعدل ووجدنا أحاديثه في أصح كتب السنة ، حيث روى له البخاري وغيره .

قال العجلي: تابعي ثقة ، وكان على قضاء صنعاء .

---

[٤٤] – الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير :١٤٩ ط مجمع البحوث الإسلامية.

وقال أبو زرعة والنسائى : ثقة.

وذكره ابن حبان فى الثقات .

روى له البخارى حديثا واحدا من روايته عن أخيه عن أبى هريرة وهو "ليس أحد أكثر حديثا منى إلا عبد الله بن عمرو بن العاص، فإنه يكتب ولا أكتب ."[٥٥]

وبناء على ذلك فإن وهبا فى نفسه ثقة وعدل ، أما مروياته فإنها توزن بميزان القبول والرد ، فما توافرت فيها شروط القبول قبلناها وما توافرت فيها أسباب الرد رددناها .

---

٥٥ - تهذيب التهذيب :١٨٤/٩ ، ١٨٥ .

ثالثا : أشهر رواة الإسرائيليات

من تابعى التابعين

أما عصر تابعي التابعين فقد كثرت فيه رواية الإسرائيليات كثرة لم تحدث من قبل ، نتيجة التساهل الذى حدث من الرواة دون مراعاة للأثر السئ الذى سيحدثه هذا الطوفان من تلك الإسرائيليات.

وكان على رأس هؤلاء الرواة :

١- محمد بن السائب الكلبى .

٢- عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج .

٣- مقاتل بن سليمان .

٤- محمد بن مروان السدى .

وهذه كلمة موجزة عن كل واحد منهم .

١- محمد بن السائب الكلبى

هو محمد السائب بن بشر بن عمرو بن عبد الحارث بن عبد العزى الكلبى أبو النضر الكوفى ، النسابة المفسر توفى بالكوفة سنة مائة وست وأربعين والكلبى ــ كما يقول ابن خلكان فى وفيات الأعيان ــ نسبة إلى كلب بن وبرة وهى قبيلة كبيرة من قضاعة ، ينسب إليها خلق كثير.

كما يقول ابن خلكان فى ترجمته عنه : " صاحب التفسير وعلم النسب ، وكان إماما فى هذين العلمين ".

وكان الكلبى سبئيا من أتباع عبد الله بن سبأ اليهودى ، الذين يقولون برجعة على رضى الله عنه إلى الدنيا مرة أخرى ، حيث إنه لم يمت.

قال ابن خلكان : "وكان الكلبى المذكور من أصحاب عبد الله سبأ الذى يقول إن على بن أبى طالب لم يمت وإنه راجع إلى الدنيا ."[٤٦]

والكلبى وإن كان صاحب تفسير طويل ، للدرجة التى جعلت ابن عدى فى الكامل يقول عنه :" ليس لأحد تفسير أطول منه ولا أشبع"[٤٧] إلا أنه لسبئيته ونزعته اليهودية تلك كذبه العلماء وأجمعوا على تركه ، بل منهم من كفره ، وإليك بعض أقوالهم فيه ، كما ينقلها لنا الحافظ ابن حجر شيخ الصنعة فى سفره القيم " تهذيب التهذيب ".

يقول ابن حجر عنه :

"عن يحيى بن معين : ليس بشئ .

وقال الدورى عن يحيى بن يعلى المحاربى : قال : قيل لزائدة : ثلاثة لا تروى عنهم ، ابن أبى ليلى ، وجابر الجعفى ، والكلبى ؟

قال :أما ابن أبى ليلى فلست أذكره ، وأما جابر فكان والله كذابا يؤمن بالرجعة ، وأما الكلبى فكنت أختلف إليه فسمعته يقول : مرضت مرضة فنسيت ما كنت أحفظ ، فأتيت آل محمد فتفلوا فى فى ، فحفظت ما كنت نسيت ، فتركته ".

وقال الأصمعى عن أبى عوانة : سمعت الكلبى يتكلم بشئ ، من تكلم به كفر ، فسألته عنه فجحده .

وقال عبد الواحد بن غياث عن ابن مهدى : جلس إلينا أبو جزء على باب أبى عمرو بن العلاء فقال : أشهد أن الكلبى كافر ، قال: فحدثت بذلك يزيد بن زريع ، فقال : سمعته يقول أشهد أنه كافر ، قال: فماذا زعم ؟ قال : سمعته يقول : كان جبريل يوحى إلى النبى ﷺ ،

---

[٤٦] - وفيات الأعيان :٣٠٩/٤ ــ ٣١١ دار صادر .

[٤٧] - نقل ذلك عنه السيوطي في الإتقان :١٨٩/٢.

فقام النبى ﷺ لحاجته ، وجلس على ، فأوحى إلى على ، فقال يزيد : أنا لم أسمعه يقول هذا ، ولكننى رأيته يضرب صدره ويقول : أنا سبائى، أنا سبائى .

وقال أبو حاتم : الناس يجمعون على ترك حديثه ، هو ذاهب الحديث لا يشتغل به .

وقال النسائى : ليس بثقة ولا يكتب حديثه .

وقال الساجى: متروك الحديث ، وكان ضعيفا جدا لفرطه فى التشيع ، وقد اتفق ثقات أهل النقل على ذمه، وترك الرواية عنه فى الأحكام والفروع.

فإذا كان هذا هو حال الكلبى ، وهذه هى شهادات أهل الفن والاختصاص من علماء الجرح والتعديل ، فإن كل رواية ينقلها لنا ترد ولا تقبل ، ولا نخدع بكثرة المرويات عنه ، خاصة فى تفسير كتاب الله لما لذلك من الأثر السئ فى عقيدة المسلمين وسلوكهم، وتصورهم عن الإسلام .

٢-عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج

هو[٤٨] : عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموى مولاهم ، أبو الوليد وأبو خالد المكى، أصله رومى ، نصرانى ، أسلم على ما عنده من علم واسع بنصرانيته وثقافتها ، وتوفى سنة ١٤٩ هـ ، وقيل سنة ١٥٠ هـ.

كان صاحب علم غزير ، وهو أول من صنف الكتب بأرض الحجاز.

---

٤٨ - انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب : ٥/٣٠٢ ـ ٣٠٧

قال عبد الله بن أحمد : قلت لأبى : من أول من صنف الكتب ؟ قال ابن جريج ، وابن أبى عروبة .

وقال عن نفسه : ما دون العلم تدوينى أحد.

وقال طلحة بن عمر المكى : قلت لعطاء : من نسأل بعدك ؟ قال: هذا الفتى إن عاش .

وكان صاحب عبادة : قال أحمد عن عبد الرازق : ما رأيت أحسن صلاة من ابن جريج .

وقال أبو عاصم : كان من العباد ، وكان يصوم الدهر إلاثلاثة أيام من كل شهر، ولكنه رحمه الله كان يرى جواز نكاح المتعة ، قال الشافعى : استمتع ابن جريج بسبعين امرأة.

وقد وثقه جمهور العلماء ، من أهل الجرح والتعديل ، ولكنه كان يدلس، وهذه بعض أقوال العلماء فيه:

عن يحيى بن سعيد : كنا نسمى كتب ابن جريج كتب الأمانة ، و إن لم يحدثك بها ابن جريج من كتابه لم ينتفع به .

وقال الأثرم عن أحمد : إذا قال ابن جريج "قال فلان " و " قال فلان " و" أخبرت " جاء بمناكير ، وإذا قال " أخبرنى " و" سمعت " فحسبك به .

وقال الميمونى : سمعت أبا عبد الله غير مرة يقول : كان ابن جريج من أوعية العلم ".

وقال المخراقى عن مالك : كان ابن جريج حاطب ليل " .

وقال ابن معين :" ثقة فى كل ما روى عنه من الكتاب ".

وقال يحى بن سعيد : كان ابن جريج صدوقا ، فإذا قال : حدثنى فهو سماع ، وإذا قال : أخبرنى ، فهو قراءة ، وإذا قال (قال) فهو شبه الريح .

وقال سليمان بن النضربن مخلد بن يزيد : مارأيت أصدق من ابن جريج.

هذه لمحة سريعة عن ابن جريج، وغزارة علمه ، فعلمه غزير ، ولكن فيه الغث والسمين ، ولذلك قال عنه مالك كما سبق ذكره : كان ابن جريج حاطب ليل ، فحاطب الليل قد يقع فيما يحتطبه النافع والضار، والثمين وعديم القيمة .

وبناء عليه فإننا نقر أن ابن جريج ثقة ، مقبول حديثه إذا صح الإسناد عنه ، إذا لم يدلس، فإذا دلس رد حديثه ، أما ما يرويه من الإسرائيليات فيجب أن نقف معها على النحو الذى صنفناه سابقا ، من تقسيمها إلى موافق لما فى شرعنا فيقبل ، أو مخالف فيرد ، أو مسكوت عنه فيتوقف فيه .

ولكننا فى النهاية نقول : إن ابن جريج رحمه الله أسهم مع من أسهموا فى تسلل الإسرائيليات إلى محيط التفسير ، وليتهم ما فعلوا، فقد فعلت تلك الإسرائيليات فعلها فى المسلمين ، وأعطت غيرهم فكرة خاطئة عن الإسلام وكتابه ، والإسلام وكتابه من كل تلك الأتهامات بريئان.

٣- مقاتل بن سليمان

هو[٤٩] : أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير ، الأزدى الخراسانى البلخى ، أصله من بلخ وانتقل إلى البصرة ، ودخل بغداد وحدث بها وكان مشهورا.

وقد كان مقاتل مكثرا فى الأخذ عن أهل الكتاب ، وكان يفسر القرآن بما عندهم من نصوص.

وفى ذلك يقول أبو حاتم محمد بن حبان البستي : "مقاتل بن سليمان كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن العزيز الذى يوافق كتبهم".

وقد طعن العلماء فى علمه وعقيدته بما نال من مكانته ، بحيث انحطت فى الدرك الأسفل.

وهذه بعض أقوالهم فيه وفى علمه :

قال أحمد بن سيار : متهم متروك الحديث ، مهجور القول ، وكان يتكلم فى الصفات بما لا تحل الرواية عنه .

وقال إبراهيم بن يعقوب الجوز جانى : مقاتل بن سليمان كان دجالا جسورا .

وقال أبو عبد الرحمن النسائى : الكذابون المعرفون بوضع الحديث على رسول الله ﷺ أربعة : ابن أبى يحيى بالمدينة، والواقدى ببغداد ، ومقاتل بن سليمان بخراسان ؛ ومحمد بن سعيد ـ ويعرف بالمصلوب ـ بالشام .

---

٤٩ - انظر ترجمته تلك وأقوال العلماء فيه في : وفيات الأعيان :٥/٢٥٥ ـ ٢٥٧ وتهذيب التهذيب : ٨/٣٢٠ ـ ٣٢٦ .

وقال عنه وكيع : كان كذابا ، وقال أبو داود سليمان بن الأشعث: تركوا حديثه .

وقال عمرو بن على الفلاس : كذاب متروك الحديث .

وقال البخارى لاشئ البتة ، وقال يحيي بن معين : ليس حديثه بشئ.

وقال أبو حنيفة : أفرط جهم فى النفى حتى قال إنه ليس بشئ ، وأفرط مقاتل فى الإثبات حتى جعل الله تعالى مثل خلقه .

وقال أحمد بن حنبل : مقاتل بن سليمان صاحب التفسير ما يعجبني أن أروى عنه شيئا.

وقال أبو حاتم البستي : كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن العزيز ، الذى يوافق كتبهم ، وكان مشبها يشبه الرب بالمخلوقين، وكان يكذب مع ذلك فى الحديث .

وقال إسحاق بن إبراهيم الحنظلى : أخرجت خراسان ثلاثة لم يكن لهم فى الدنيا نظير ، يعنى فى البدعة والكذب : جهم ، ومقاتل ، وعمر بن صبح .

إن كل هذه الأقوال السابقة تدلنا على المكانة الرديئة لمقاتل بن سليمان ، ولذلك فإن ثناء بعض العلماء على علمه إن صح عنهم لا يفيده بشئ :

فقد نسب إلى الإمام الشافعى ﷺ أنه قال : الناس عيال على مقاتل فى التفسير.[٥٠]

فأى فائدة من هذا التفسير وصاحبه كذاب ، لاندرى من أين أتى به ؟

---

[٥٠] - وفيات الأعيان : ٨/٣٢١.

ولذلك قال ابن المبارك لما نظر إلى شئ من تفسيره : " ياله من علم لو كان له إسناد".

وقال أيضا "ارم به ، وما أحسن تفسيره لو كان ثقة"[51]

ولأستاذ أساتذتنا فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور محمد الذهبى رحمه الله كلمة قيمة عن مقاتل فى كتابه " الإسرائيليات فى التفسير والحديث" أرى من الحسن بمكان ذكرها فى هذا المقام.

يقول رحمه الله : " والحق أن علم مقاتل بن سليمان علم شره أكثر من خيره ، وضره أكثر من نفعه ، وإذا كان مقاتل بن حيان يقول إن علمه كالبحر فكثيرا ما يحمل البحر الخبيث ، ويقذف بالغثاء والزبد.

والحق أيضا أن تفسير مقاتل يحوي من الإسرائيليات والخرافات وضلالات المشبهة والمجسمة ما ينكره الشرع ولا يقبله العقل ، وإذا كان حقا ما نسب إلى الشافعى من قوله " الناس عيال فى التفسير على مقاتل " فلست ألمح فى قوله هذا استحانا لتفسيره ، ولاثناء عليه، ولا أعقل من هذه العبارة ــ وقد بلوت تفسير مقاتل ــ إلا أن الشافعى أراد أنه كان مرجعا للمفسرين على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم .

وجد فيه المعتدلون الفهم السليم للنص القرآنى فاقتبسوه منه ، ووجد فيه أصحاب المذهب الردية كالمشبهة والمجسمة مايوافق هواهم فنقلوه عنه ، ووجد فيه المولعون بالقصص ورواية الأخبار معينا فياضا بالغرائب والأعاجيب فاستمدوا منه ما أشبع رغبتهم ووافق ميولهم .

---

[51] - الموضع السابق.

وإذا كان هؤلاء هم عيال مقاتل على مائدة تفسيره ، فما أكثر المتخمين منهم بالمنكر و الأباطيل ، وما أقل من طوى صدره منهم على الحقيقة الناصعة والرأى السديد .[52]

وبناء على كل ما سبق فإن ما جاء عن مقاتل يضرب به عرض الحائط ، لما قرره العلماء من ترك حديثه وروايته ، لكذبه الفاضح ، ولعقيدته الردية .

٤- محمد بن مروان السدى

هو : محمد بن مروان بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الأصغر . كوفى .

روى عن جماعة أشهرهم محمد بن السائب الكلبي صاحب التفسير ، الذى سبق الحديث عنه وعن تجريح العلماء له واتهامهم إياه بالكذب والوضع فى الحديث .

والسدى نسبة إلى سدة مسجد الكوفة ، كان السدى الكبير ـ وهو إسماعيل بن عبد الرحمن يبيع بها المقانع

وقد أجمع علماء الجرح والتعديل على تركه وكذبه ، وهذه بعض أقوالهم فيه:

قال جرير بن عبد الحميد : كذاب

وقال ابن معين :ليس بثقة .

وقال ابن نمير : ليس بشئ.

وقال يعقوب بن سفيان : ضعيف غير ثقة.

وقال صالح بن محمد : كان ضعيفا ، وكان يضع .

---

[52] - الإسرائيليات في التفسير والحديث : ١٥٢

وقال أبو حاتم : ذاهب الحديث ، متروك الحديث ، ولايكتب حديثه البتة.

وقال ابن عدى : الضعف على رواياته بين .

وقال أبو جعفر الطبرى : لا يحتج بحديثه .

وقال عبد الله بن نمير : كان السدى كذابا ، ذكره ابن شاهين في الضعفاء .

وقال الساجى : لا يكتب حديثه .(٥٣)

وقال السيوطى فى الإتقان وهو يتحدث عن طرق ابن عباس رضى الله عنهما : "وأوهى طرقه طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدى الصغير فهى سلسلة الكذب ، وكثيرا مايخرج منها الثعلبى والواحدى .(٥٤)

وإذا كان هذا هو حال السدى الصغير وحال مروياته فينبغى أن لا نخدع فيه وفيها ، ولنجتنبها ، فذلك أهدى سبيلا .

---

٥٣ - تهذيب التهذيب.

٥٤ - الاتقان :١٨٩/٢.

كتب التفسير والإسرائيليات

المتتبع لكتب التفسير ، سواء أكانت بالمأثور أم بالرأى يكاد يخرج بتلك الحقيقة ، ألا وهى : إن كتب التفسير كلها رغم تنوع مناهجها ، واختلاف مشارب أصحابها لاتكاد تخلو من إسرائيليات ، نعم هناك تفاوت فى القلة والكثرة بينها ، إلا أنها فى النهاية لم تسلم غالبا من إيرادها ، ولكن لكل مفسر فى تفسيره منهج خاص تجاهها على النحو التالى :

١- فمنهم من يذكر تلك الإسرائيليات بأسانيدها دون تعقيب عليها بتصحيح أو تضعيف فى أغلب الأحيان ، كما فعل ابن جرير الطبرى فى تفسيره.

وحجتهم فى ذلك أن من أسند لك فقد حملك ، أى أنهم قد أتوا لك بإسناد الرواية ، وعليك أنت أن تبحث عن مدى صحتها من بطلانها.

وهذا وإن كان منهم جهدا طيبا ، إلا أن عامة الناس وأغلبهم ليست عندهم المقدرة على ذلك ، وبالتالى فإن عدم حكمهم على تلك الإسرائيليات يوقع الناس فى شرها .

٢- ومنهم من يذكر تلك الإسرائيليات بأسانيدها ، مع التعقيب غالبا عليها ، كما فعل ابن كثير فى تفسيره فى أغلب الأحيان.

وهذا منه جهد عظيم ، وفضل جليل ، إلا أن الحيرة لا تزال بالقارئ فيما لم يحكم عليه.

٣- ومنهم من يذكر فى تفسيره ما استطاع ذكره ، فلا يترك صغيرة ولا كبيرة ولا شاردة ولا واردة إلا أتى بها ، دون إسناد ، ودون

تعقيب عليها ، وهذه أخطر التفاسير ، لأن القارئ يقرؤها متوهما أن كل ما فيها صحيح مقبول ، بينما تحمل فى طياتها ما هو مكذوب موضوع ، يصل فى بعض الأحيان إلى إفساد العقيدة نفسها:

وأبرز مثال لهذه التفاسير تفسير " مقاتل بن سليمان " وقد تحدثنا عنه وعن أقوال العلماء فيه سابقا ، وتفسير الثعلبى المسمى " الكشف عن بيان تفسير القرآن "

٤- ومنهم من يذكر الإسرائيليات بدون إسناد ، دون إشارة إلى ضعفها إلا فى أحيان قليلة أو يشير إليها بصيغة التمريض (روى) ، أو (قيل) ، رغم أن تلك الروايات فى بعض الأحيان تصل إلى درجة الطعن فى الأنبياء

ومثال ذلك : تفسير الخازن المسمى " لباب التأويل فى معانى التنزيل وهو مختصر من تفسير البغوى ، كما نص الخازن فى مقدمته على ذلك ، وتفسير البغوى مختصر من تفسير الثعلبى ، كما نص على ذلك ابن تيمية فى (مقدمة فى أصول التفسير).

وهذا هو السر فى كثرة الإسرائيليات فى تفسير الخازن .

٥- ومنهم من يذكر الإسرائيليات بدون إسناد ، لقصد بيان ما فيها من باطل ، وتنبيه الناس على خطئها.

وذلك كما فعل شهاب الدين الآلوسى — فى أغلب ما أورده من إسرائيليات فى تفسيره (روح المعانى).

٦- ومنهم من سلك فى تفسيره تجاه الإسرائيليات مسلك المحارب لها، المشنع عليها وعلى رواتها ، حتى لو كانوا من أصحاب رسول

الله ﷺ الذين عاصروه ، وشهد لـــهم بحســن إســلامهم، وصـــدق إخلاصهم .

وذلك كما فعل السيد محمد رشيد رضا فى كتابه " المنار".

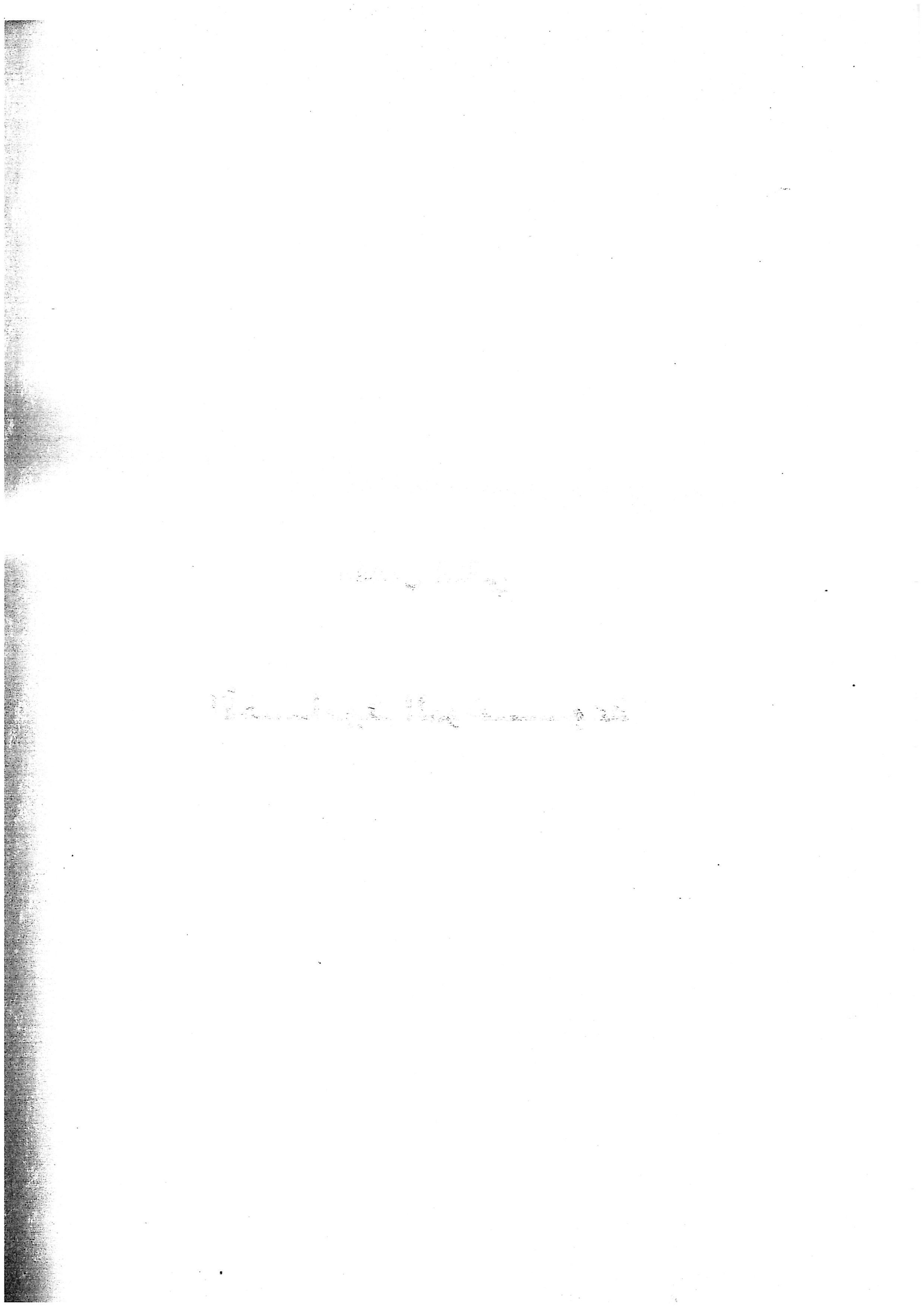
وقد مضى قريبا حديثه عن الصحابى الجليل كعب الأحبار حيث رماه بالكذب واتهم علماء الجرح والتعديل بأنهم اغتروا به وبوهب بـــن منبه حين عدلوهما ووثقوهما .

والعجيب أن هذا الصنف قد وقع فيما شنع عليه ، وحذر منـــه ، فقد رأينا السيد محمد رشيد رضا ينقل عن التوراة نقولا مطولة كثـــيرة دون تعقيب عليها ، وكأنها التوراة المنزلة على موسى التى لم يصبــــها التحريف ، ولم تصل إليها أيدى العبث والتزوير.

وعلى أى حال : فأيا كان التفسير الذى بين أيدينا ، فيجب علينـــا أن نعرض ما جاء فيه من إسرائيليات وغيرها علـــى قواعـــد القبـــول والرد، فما كان صحيحا قبلناه ، وما كان ضعيفا رددنـــاه ، ومـــا كـــان مسكوتا عنه توقفنا فى الحكم عليه ، حتى لا نصدق بباطل ، أو نكـــذب بحق.

الفصل الثاني

الأحاديث الموضوعة



الأحاديث الموضوعة

يعتبر الحديث الموضوع أخطر شئ على الإطلاق فى مجال التفسير بالمأثور نظراً لأنه ينسب إلى رسول الله ﷺ فيعتقد العامة صدقه فيؤمنون به ويعملون بمقتضاه.

ونحن فى هذا المقام نتناوله من حيث: تعريفه، ومن حيث أسباب وضعه، ومن حيث القرائن التى بها يعرف أنه موضوع، ومن حيث حكم روايته، فإلى الحديث عن هذه النواحى.

. أولاً: تعريفه

عرفه الإمام النووى بقوله: «الموضوع هو المختلق المصنوع، وشر أنواع الضعيف»[١].

وعرفه صاحب الباعث الحثيث بقوله: «الخبر الموضوع هو المختلق المصنوع، وهو الذى نسبه الكذابون المفترون إلى رسول الله ﷺ وهو شر أنواع الرواية»[٢].

فالحديث الموضوع - إذاً - هو ذلك الذى اختلقه كذاب أشر، وتقوله على رسول الله ﷺ زوراً وبهتاناً، لفقدان رادع يردعه، أو ضمير يؤنبه ويمنعه.

ولما كان حديث رسول الله ﷺ شريعة مستمرة إلى يوم القيامة بما يتعبد الناس، وبها يعرف الحق فيتبع، ويعلم الباطل فيجتنب فقد كان من الطبعى أن يكون الكذب عليه ﷺ من الشناعة بمكان لا

---

(١) تدريب الراوى: ١/ ٢٧٤.

(٢) الباعث الحثيث: ٦٧.

يدانيه أى كذب على الخلق.

وفى هذا المعنى يقول رسول الله ﷺ :

«إن كذبا عليّ ليس ككذب على أحد»[١].

ومن هنا جاءت الأحاديث تترا ناهية عن الكذب على رسول الله ﷺ :

فقد قال عليه الصلاة والسلام:

«من حدث عنى بحديث يُرَى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»[٢].

وقال أيضاً:

«لا تكذبوا عليّ؛ فإنه من يكذب عليّ يلج النار»[٣].

وقال أيضاً:

«من تعمد عليّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار»[٤].

وغير ذلك من الأحاديث الكثير والكثير.

وبناء على ذلك عُدَّ الكذب على رسول الله ﷺ من أكبر الكبائر، من أعظم التقولات والمفتريات، حتى بالغ بعضهم فى ذلك، وجزم بكفر من كذب على رسول الله ﷺ كما نقل السيوطى فى تدريب الرواى عن الشيخ أبى محمد الجوينى[٥]، وإن كان البعض قد تأول الروايات، ووجه الأقوال بأن ذلك فى حق من تعمد الكذب، أو أن ذلك على سبيل المبالغة والزجر عن الكذب والوضع عليه ﷺ.

---

(١) صحيح مسلم، المقدمة: ١/ ٥٧ - ط. الشعب.

(٢) صحيح مسلم، المقدمة: ١/ ٥١ - ط. الشعب.

(٣) المصدر السابق: ١/ ٥٣.

(٤) المصدر السابق: ١/ ٥٤.

(٥) تدريب الرواى: ١/ ٢٨٤.

أسباب الوضع

من المعلوم لدى دارسى علمى التفسير والحديث أن هذين العلمين كانا فى ابتداء الأمر علمًا واحدًا؛ إذ كان التفسير جزءًا من الحديث، وبابًا من ابوابه، ولذلك، فإن الدوافع والأسباب التى أدت إلى الوضع والكذب فى الحديث هى ذاتها التى أدت إلى الوضع فى التفسير.

وإذا بحثنا عن أسباب الوضع، فإننا سنجدها متنوعة: فمنها ما كان بدافع العقيدة، ومنها ما كان بدافع السياسة، إلى غير ذلك، كما يتضح مما يأتى:

أولاً: الزندقة:

فبعد أن أظهر الله نوره، وشاع أمر الإسلام فى أرجاء المعمورة، وتطاير صدق خبره، وتناقلت جميع الأمم حسن ذكره وعظيم أمره، وأصبحت للإسلام دولة، وللمسلمين مهابة وعزة وقوة، هال ذلك جماعة ممن خبثت نياتهم، ولم تصف أرواحهم، فاعتنقوا الإسلام ظاهرًا وهم له كارهون ولنبيه مكذبون، ونطقت ألسنتهم بالشهادتين وقلوبهم على الكفر مطوية، إذ لم يتغلغل الإيمان فيها، بل أشربوا حب النفاق، حتى سرى فى دمائهم، فباتوا يكيدون الإسلام ويضمرون الحقد والشر للمسلمين.

فنظروا إلى أقدس مقدسات المسلمين، إلى القرآن الكريم فعجزوا عن النيل منه، مصداقًا وتحقيقًا للعهد الذى أخذه الله على نفسه بقوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[1].

فلما لم ينالوا مأربهم من النص القرآنى مباشرة تصوروا أنهم

---

(١) سورة الحجر: آية ٩.

واجدوه في التقول على نبي الإسلام، محمد بن عبد الله ﷺ، ومن هنا فقد راحوا يدسون سمومهم، ويروجون أباطيلهم، يحللون بها الحرام، ويحرمون بها الحلال، ويدعون إلى مذاهب الكفر والإلحاد.

يقول الحافظ السيوطي - رحمه الله -: «روى العقيلي بسنده إلى حماد بن زيد، قال: «وضعت الزنادقة على رسول الله ﷺ أربعة عشر ألف حديث!!، منهم عبد الكريم بن أبي العوجاء، الذي قتل وصلب في زمن المهدي.

قال ابن عدي: «لما أخذ ليضرب عنقه قال: «وضعت فيكم أربعة آلاف حديث، أحرم فيها الحلال، وأحلل الحرام»، وكبيان بن سمعان النهدي، الذي قتله خالد القسري وأحرقه بالنار.

قال الحاكم: «وكمحمد بن سعيد الشامي، المصلوب في الزندقة فقد روى عن حميد عن أنس، مرفوعًا: «أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، إلا أن يشاء الله». وضع هذا الاستثناء لما كان يدعو إليه من الإلحاد، والزندقة، والدعوة إلى التنبي»[1].

ولم يقف أمر الوضاعين عند هذا الحد، فلقد بلغ الكفر بأحدهم - وهو بيان بن سمعان - إلى الدرجة التي جعلته يدعي ألوهية علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه -[2].

* * *

---

(١) تدريب الراوي: ١/٢٨٤.

(١) الباعث الحثيث: ٧٠.

ثانيًا: مناصرة البدع والآراء، ومتابعة الضلالات والأهواء دون دليل من القرآن، أو حجة من السنة

ظل المسلمون فكرًا واحدًا، وجماعة قوية متحدة، لا يتحكم فيها هوى، ولا يتسلط عليها شيطان، إلى أن نجح أعداء الإسلام فى زرع أعظم فتنة، تمثلت فى قتل الخليفة الثالث، عثمان بن عفان - رضى الله عنه وأرضاه - وعلى أثرها وجدنا الآراء قد تشعبت، والمذاهب قد تعددت، فظهر على الساحة من اعتنق أفكارًا غريبة، وآراء دخيلة، ووجدنا فرقًا متعددة تظهر على مسرح تلك الفتنة، فظهرت الشيعة، والخوارج، والمعتزلة، والمرجئة، وغيرها، كل فرقة تدعى أنها - وحدها - على الحق اليقين، وأن غيرها يهيم فى ضلال مبين.

ونظرت كل فرقة إلى ظاهر النصوص من الكتاب أو السنة وحاولت - دونما كلل أو ملل - لَىّ عنق النص، حتى يشهد لمبادئها، ويتمشى مع أهوائها، أو على الأقل لا يعارض ادعاءاتها.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تجاوزوه - عامدين - إلى وضع الحديث، متقولينه على رسول الله ﷺ وهو منه ومنهم براء.

يروى ابن الجوزى بسنده، عن شيخ من الخوارج، تاب ورجع، وهو يقول: «إن هذه الأحاديث دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم؛ فإنا كنا إذا هوينا أمرًا صيرناه حديثًا»[١].

كما يروى بسنده إلى حماد بن سلمة، قال: «حدثنى شيخ لهم - يعنى الرافضة - قال: «كنا إذا اجتمعنا واستحسنا شيئًا جعلناه حديثًا».

وقال الحاكم: «كان محمد بن القاسم الطايكانى من رءوس المرجئة، وكان يضع الحديث على مذهبهم».

---

(١) الموضوعات لابن الجوزى: ١/٣٨، ٣٩.

ثم روى بسنده عن المحاملى قال: «سمعت أبا العيناء يقول: «أنا والجاحظ وضعنا حديث فَدَك، وأدخلناه على الشيوخ ببغداد فقبلوه، إلا ابن أبى شيبة العلوى، فإنه قال: «لا يشبه آخر هذا الحديث أوله، وأبى أن يقبله»[١].

وإذا كانت هذه الفرق المبتدعة قد وضعت كل هذه الأحاديث لخدمة أغراضها فإن علماء المسلمين أصحاب العقيدة السليمة قد تنبهوا لها منذ مولدها وكانوا لها بالمرصاد.

روى الإمام مسلم فى مقدمة صحيحه عن ابن سيرين قال:

«لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[٢].

* * *

ثالثًا: التعصب الممقوت للمذاهب الفقهية

بعض الجهلة ممن أعماهم التعصب المذموم لمذهب فقهى قلدوه أساءوا إلى أئمتهم - رضى الله عنهم - أكثر مما أحسنوا إليهم، ولم يتأدبوا بأدب المسلم إذا خالف غيره فى الرأى، لاسيما وإن كان هذا الرأى قد صدر بعد بذل الطاقة، واستفراغ الجهد، ولم يأخذ هؤلاء الجهلة بالمبدأ الذى اتفق عليه هؤلاء الأئمة، ونادى به كل صاحب مذهب، وهو «إذا صح الحديث فهو مذهبى».

فراح هؤلاء يشنعون على من خالفهم فى المذهب، وغايرهم فى

---

(١) تدريب الراوى: ١/ ٢٨٥.

(٢) المقدمة: ١/ ٧١ - ط. الشعب.

الفروع الفقهية، ولم يـراعوا فى ذلك إلاً ولا ذمة، حتى ولو أدى ذلك إلى الكذب على رسول الله ﷺ.

ومن هؤلاء من حدثنا عنه السيوطى بقوله: «قيل لمأمون بن أحمد الهروى: الا ترى إلى الشافعى ومن تبعه بخراسان؟ فقال: حدثنا أحمد ابن عبد الله، حدثنا عبد الله بن معدان الأزدى، عن أنس مرفوعًا: يكون فى أمتى رجل يقال له محمد بن إدريس، أضر على أمتى من إبليس، ويكون فى أمتى رجل يقال له أبو حنيفة، هو سراج أمتى، هو سراج أمتى.

وقيل لمحمد بن عكاشة الكرمانى: «إن قومًا يرفعون أيديهم فى الركوع، وفى الرفع منه، فقال: «حدثنا المسيب بن واضح ثنا ابن المبارك، عن يونس بن يزيد، عن الزهرى، عن أنس مرفوعًا: «من رفع يديه فى الركوع فلا صلاة له»[1].

ومن هذه الأحاديث الموضوعة أيضًا حديث:

«يكون فى أمتى رجل يقال له النعمان بن ثابت، يكنى أبا حنيفة، يحيى الله على يديه دينى وسنتى».

قال عنه ابن الجوزى: «المتهم بوضعه سليمان بن عيسى قال أبو حاتم بن حبان: «كان كذابًا»، وقال ابن عدى: «يضع الحديث»[2].

* * *

(١) تدريب الراوى: ١/٢٧٧، ٢٧٨.

(٢) الموضوعات، لابن الجوزى: ٢/٤٩.

رابعًا التقرب إلى الخلفاء واسترضاؤهم

فقد بلغ من بعض النفوس الضعيفة التى أحبت الدنيا وعشقت زينتها، ورغبت فى متاعها الزائل، وزخرفها الفانى أن وضعت الأحاديث، ورأت أن ذلك خير وسيلة للتزلف إلى الأمراء، والتقرب إلى الخلفاء، لما يوافق هواهم، ويساير رغباتهم.

مثال ذلك: ما ورد عن غياث بن إبراهيم، حيث وضع للمهدى فى حديث: «لا سبق إلا فى نصل، أو خف، أو حافر»[1] فزاد فيه: «أو جناح»!!، وكان المهدى إذ ذاك يلعب بالحمام، فتركها بعد ذلك، وامر بذبحها، وقال: «أنا حملته على ذلك»!!!

وذكر أنه لما قام قال: «أشهد أن قفاك قفا كذاب».

وقد يحمل هذا النوع بعداً سياسيًا، كما حكى أبو عبيد الله وزير المهدى، قال:

«قال لى المهدى: «ألا ترى ما يقول لى مقاتل؟.. قال: «إن شئت وضعت لك أحاديث فى العباس». قلت: «لا حاجة لى فيها»[1].

* * *

خامسًا: الترغيب والترهيب، مع حسن الطوية وسلامة النية:

وذلك أن قومًا من العباد والزهاد رأوا الناس قد انصرفوا عن القرآن إلى دراسة المذاهب الفقهية، وغيرها، فأرادوا أن يصرفوهم إلى قراءة القرآن صرفًا، وإن كانت الوسيلة فى ذلك غير مشروعة، وتتمثل فى الكذب على رسول الله ﷺ.

(١) أخرجه أصحاب السنن الأربعة.

(٢) الموضوعات: ١/٤٢، وتدريب الراوى: ١/٢٨٥، ٢٨٦، والباعث الحثيث: ٧١.

ولكن هذا العمل منهم مردود غير مقبول؛ لأن النصوص الشرعية فيها من الترغيب والترهيب ما يجعلنا فى غنى عن هذا الكذب على رسول الله ﷺ وإن كان الشعور نبيلاً، والقصد حسنًا؛ لأن هذا كأنه استدراك على الله تعالى، ويتنافى مع قوله عز وجل: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتى، ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[1].

فهذه الآية وما شابهها من آيات متعددة، وأحاديث كثيرة تبطل وسيلتهم، وتفند حجتهم التى تتمثل فى قولهم: إنما نكذب لرسول الله ﷺ لا عليه، فهذا فيه من القدح أضعاف أضعاف ما فيه من المدح - إن كان - لو كانوا يعقلون!! ولذلك يصفهم الإمام النووى بقوله: «إنهم أعظم الوضاعين ضررًا؛ لكون الناس يثقون فيهم»[2].

ويمثل السيوطى لهذا النوع بقوله:

«ومن أمثلة ما وضع حسبة ما رواه الحاكم بسنده إلى أبى عمار المروزى، أنه قيل لأبى عصمة، نوح بن أبى مريم من أين ذلك عن عكرمة عن ابن عباس، فى فضائل القرآن سورة سورة، وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟

فقال: «إنى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبى حنيفة، ومغازى ابن إسحق، فوضعت هذا الحديث حسبة!!».

وكان يقال لأبى عصمة «نوح الجامع»، قال ابن حبان: «جمع كل شئ إلا الصدق».

وروى ابن حبان فى الضعفاء، عن ابن مهدى قال:

«قلت لميسرة بن عبد ربه: «من أين جئت بهذه الأحاديث من قرأ

---

(١) سورة المائدة: آية ٣.

(٢) تدريب الراوى: ١/٢٨١، ٢٨٢.

كذا فله كذا؟».

قال: «وضعتها أرغب الناس»[١].

* * *

سادسًا: تفضيل بعض الشعوب أو البلدان أو ذمهما.. بدافع من التعصب المذموم:

فلقد ضل قوم بتعصبهم لحب بلد معين، أو كراهتهم لبلد آخر، وكان من نتيجة جهلهم وتعصبهم الأعمى أن وضعوا في ذلك أحاديث، نسبوها زورًا وبهتانًا إلى رسول الله ﷺ.

ومن أمثلة ما جاء في تفضيل بعض الشعوب:

حديث: «إن كلام الله حول العرش بالفارسية، وإن الله إذا أوحى أمرًا فيه لين أوحاه بالعربية».

قال عنه الشوكاني: «رواه ابن عدي، عن أبي أمامة مرفوعًا، وهو موضوع، قال ابن حبان: «هذا الحديث باطل، لا أصل له، انتهى، وكل ما ورد في هذا المعنى فهو موضوع، وقد تعسف من زعم غير هذا»[٢].

حديث: «أربعة أبواب من أبواب الجنة مفتحة في الدنيا أولها الإسكندرية، وعسقلان، وقزوين، وفضل جدة على هؤلاء كفضل بيت الله الحرام على سائر البيوت».

قال عنه الشوكاني: «رواه ابن حبان عن عليّ مرفوعًا، وفي إسناده عبد الملك بن هارون، وهو كذاب.

قال في الميزان: «والسند ظلمة إليه، فما أدري من افتعله»[٣].

---

(١) تدريب الراوي: ١/ ٢٨٢، ٢٨٣.　　(٢) الفوائد المجموعة: ٣١٤.

(٣) المصدر السابق: ٤٢٩.

ومن الأحاديث التى جمعت بين تفضيل بعض البلدان وذم بلدان أخرى حديث:

«أربع مدائن من مدن الجنة، مكة، والمدينة، وبيت المقدس، ودمشق».

وأربع مدائن من مدن النار فى الدنيا، القسطنطينية، والطبرانية، وأنطاكية المحترقة، وصنعاء».

قال عنه ابن الجوزى: «هذا حديث لا أصل له، قال أحمد بن حنبل: «الوليد ليس بشئ» وقال يحيى: «كذاب».

وعن هذا الحديث يقول الشوكانى:

«رواه ابن عدى عن أبى هريرة مرفوعًا، وفى إسناده الوليد بن محمد الموقرى، وهو كذاب، قال ابن عدى: «هذا منكر، لا يرويه عن الزهرى غير الموقرى».

وقد رواه أيضًا ابن عساكر، من وجه آخر، قال عبد الله السقطى: ليس فيها صنعاء اليمن، وإنما هى صنعاء بأرض الروم، وذكر البلاذرى أن أنطاكية المحترقة بأرض الروم أحرقها العباس بن الوليد، انتهى، والحديث أورده ابن الجوزى فى الموضوعات، فأصاب»[1].

* * *

سابعًا: حب الذكر والشهرة والسمعة بين الناس:

وفى هذا المجال كثيرًا ما يلجأ أحدهم إلى قلب سند الحديث حتى يستغرب وحينئذ يرغب الناس فى سماعه منه.

وهذا حدث لجماعة اشتهر منهم ابن أبى حية، وحماد النصيبى وبهلول بن عبيد، وأصرم بن حوشب[2].

---

(١) الفوائد المجموعة: ٤٢٨. (٢) تدريب الراوى: ١/٢٨٦.

ويورد لنا ابن الجوزى مثالاً لذلك فيقول:

«روى مسلم بن الحجاج أن يحيى بن أكثم دخل مع أمير المؤمنين حمص فرأى كل من بها شبيه الثيران، فدخل شيخ على رأسه دية، وله جبة فأدناه، وقال: يا شيخ من أنت؟ قال: استغنيت عن جميع الناس بشيخى. قال: ومن لقى شيخك؟ قال الأوزاعى، قال الأوزاعى عمن؟ قال: عن مكحول، قال ومكحول عمن؟ قال: عن سفيان بن عيينة، قال: وسفيان عمن؟ قال: عن عائشة، فقال له يحيى: يا شيخ أراك تعلو إلى أسفل».(١)

* * *

ثامنًا: الارتزاق بذكر غرائب القصص وأعاجيب الروايات:

فقد استغل بعض القصاص ميول الفطرة إلى استماع ما كان غريبًا عن الطبائع، أو عجبًا لم تألفه الناس، فضربوا على هذا الوتر، مستخدمين فى ذلك أبشع الطرق!، ألا وهى الكذب على رسول الله ﷺ.

ولقد بلغت طريقتهم هذه من الوقاحة ما يعجز اللسان عن وصفه والقلم عن تسطيره، وبالمثال يتضح المقال:

روى ابن الجوزى فى الموضوعات بسنده إلى جعفر بن محمد الطيالسى قال: «صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فى مسجد الرصافة، فقام بين أيديهم قاص فقال:

«حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالا: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:

«من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة منها طيرًا، منقاره

---

(١) الموضوعات لابن الجوزى: ١/ ٤٣، ٤٤.

من ذهب وريشه من مرجان»، وأخذ فى قصة نحو عشرين ورقة، فجعل أحمد بن حنبل ينظر إلى يحيى بن معين، ويحيى ينظر إلى أحمد، فقال له: أنت حدثته بهذا؟ فقال: والله ما سمعت بهذا إلا الساعة!!، فلما فرغ من قصصه وأخذ القطيعات ثم قعد ينتظر بقيتها قال له يحيى بن معين بيده: تعال، فجاء متوهماً النوال، فقال له يحيى: من حدثك بهذا الحديث؟ فقال: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، فقال: أنا يحيى بن معين، وهذا أحمد بن حنبل، ما سمعنا بهذا قط فى حديث رسول الله ﷺ!!، فإن كان لابد والكذب فعلى غيرنا، فقال له: أنت يحيى بن معين؟ قال: نعم، قال: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق، ما تحققته إلا الساعة، قال له يحيى: كيف علمت أنى أحمق؟ قال: كأن ليس فى الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما!!، قد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، فوضع أحمد كمه على وجهه وقال: دعه يقوم، فقام كالمستهزئ بهما[1]!!

ويروى ابن الجوزى فى الموضوعات أيضاً، عن حاتم البستى قال: دخلت بأجروان - مدينة بين الرقة وحران - فحضرت الجامع فلما فرغنا من الصلاة قام بين أيدينا شاب فقال: حدثنا أبو خليفة قال: حدثنا الوليد، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قضى لمسلم حاجة فعل الله به كذا وكذا»، فلما فرغ دعوته، فقلت: رأيت أبا خليفة؟ قال: «لا»، قلت: «كيف تروى عنه ولم تره»؟ فقال: «إن المناقشة معنا من قلة المروءة!!، أنا أحفظ هذا الإسناد الواحد، وكلما سمعت حديثاً ضممته إلى هذا الإسناد!!»[1].

(١) الموضوعات لابن الجوزى: ١/٤٦.

(٢) المصدر السابق: ١/٤٧.

تاسعًا: أن يعرض لأحدهم داع ما فيضطر إلى..

الكذب على رسول الله ﷺ:

كأن يفتى فى مسألة ولا يجد لها دليلاً، فلا يجد - فى نظره - سبيلاً غير الوضع.

وفى ذلك يقول السيوطى - رحمه الله تعالى -:

«وضرب يُلجأون إلى إقامة دليل على ما أفتوا به بآرائهم فيضعون!، وقيل إن الحافظ أبا الخطاب ابن دحية كان يفعل ذلك، وكأنه الذى وضع الحديث فى قصر المغرب»[1].

ومن ذلك ما رواه ابن الجوزى عن سعيد بن طريف أنه رأى ابنه يبكى فقال: مالك؟ فقال: «ضربنى المعلم»، فقال: «أما والله لأخزينهم، حدثنى عكرمة، عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ قال: «معلمو صبيانكم شراركم»[2].

* * *

عاشرًا: ما ذكره السيوطى بقوله:

«وضرب امتحنوا بأولادهم، أو ربائب، أو وراقين، فوضعوا لهم أحاديث، ودسوها عليهم، فحدثوا بها من غير أن يشعروا!!».

كعبد الله بن محمد بن ربيعة القدامى، وكحماد بن سلمة ابتلى بربيبه ابن أبى العوجاء، فكان يدس فى كتبه، وكعمر، كان له ابن أخ رافضى، فدس فى كتبه حديثًا عن الزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله بن عباس قال: «نظر النبى ﷺ إلى علىّ فقال: «أنت سيد فى الدنيا، وسيد فى الآخرة، ومن أحبك فقد أحبنى، وحبيبى حبيب

---

(١) تدريب الراوى: ١/ ٢٨٦.

(٢) الموضوعات: ١/ ٤٢.

الله، وعدوك عدوى، وعدوى عدو الله، والويل لمن أبغضك بعدى»، فحدث به عبد الرزاق عن معمر، وهو باطل موضوع، كما قال ابن معين»[١].

* * *

قرائن الحديث الموضوع

وبعد أن تحدثنا - باختصار - عن أبرز أسباب الوضع يجمل بنا أن نشير - كذلك - إلى أبرز العلامات التى بها نعرف أن الحديث موضوع.

وهذه العلامات منها ما هو خاص بالراوى، ومنها ما هو خاص بالمروى، ومنها ما يشمل الأمرين معًا.

فمن القرائن الموجودة فى الراوى:

أن يقر الراوى بأنه - هو - الذى وضع الحديث.

كما أقر ميسرة بن عبد ربه الفارسى أنه وضع أحاديث فى فضائل القرآن، وأنه وضع فى فضل على سبعين حديثًا.

وكما أقر أبو عصمة نوح بن أبى مريم - الملقب بنوح الجامع - أنه وضع على ابن عباس أحاديث فى فضائل القرآن، سورة سورة، وكما اعترف عمر بن صبح بوضع خطبة على النبى ﷺ»[٢].

وهناك قرينة تتنزل منزلة إقرار الواضع.

وقد تحدث عنها الحافظ العراقى بقوله:

«كأن يحدث بحديث عن شيخ، ويسأل عن مولده فيذكر تاريخًا

---

(١) تدريب الراوى: ١/ ٢٨٦.

(٢) انظر تدريب الراوى: ١/ ٢٧٤، ٢٧٥، والباعث الحثيث: ٦٧، ٦٨.

يعلم منه وفاة ذلك الشيخ قبله، ولا يعرف ذلك الحديث إلا عنده.

فهذا لم يعترف بوضعه، ولكن اعترافه بوقت مولده يتنزل منزلة إقراره بالوضع، لأن ذلك الحديث لا يعرف إلا عن ذلك الشيخ، ولا يعرف إلا برواية هذا عنه»[١].

القرائن الخاصة بحال المروى

أما عن القرائن الخاصة بالمروى ذاته فكثيرة، نذكر منها ما يلى:

١ - أن يكون الحديث مخالفًا للقرآن الكريم:

مثاله: حديث: «إذا روى عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله، فإذا وافقه فاقبلوه، وإن خالفه فردوه».

قال عنه الإمام الشوكانى: «قال الخطابى: «وضعته الزنادقة، ويدفعه حديث: «أوتيت الكتاب ومثله معه»، كذا قال الصغانى، قلت: «وقد سبقهما إلى نسبة وضعه إلى الزنادقة يحيى بن معين، كما حكاه عنه الذهبى، على أن فى هذا الحديث الموضوع نفسه ما يدل على رده!!، لأنا إذا عرضناه على كتاب الله عز وجل خالفه!، ففى كتاب الله عز وجل: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[٢]، ونحو هذا من الآيات»[٣].

٢ - أن يكون الحديث مخالفًا للسنة:

ومثل له أستاذنا الفاضل الأستاذ الدكتور/ عبد الوهاب فايد بحديث: «إذا حدثتم عنى بحديث يوافق الحق فخذوا به، حدثت به أو لم أحدث».

---

(١) تدريب الراوى: ١/ ٢٧٥، والباعث الحثيث: ٦٨.

(٢) سورة الحشر: آية ٧.

(٣) الفوائد المجموعة: ٢٩١.

فهو مناقض لقول الرسول ﷺ فى الحديث المتواتر: «من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[١].

٣ - أن يكون الحديث مخالفًا للإجماع:

لأنه من المحال أن ينعقد إجماع الأمة على ضلالة، لا سيما وأن الإجماع لابد وأن يكون مستندًا إلى أى شئ شرعى.

مثاله: حديث: «من قضى صلاة من الفرائض فى آخر جمعة من شهر رمضان كان ذلك جابراً لكل صلاة فاتته فى عمره إلى سبعين سنة».

قال القارى عن هذا الحديث: «باطل؛ لأنه مناقض للإجماع، على أن شيئًا من العبادات لا يقوم مقام فائتة سنوات، ثم لا عبرة بنقل النهاية، ولا ببقية شرح البداية؛ فإنهم ليسوا من المحدثين، ولا أسندوا الحديث إلى أحد من المخرجين»[٢].

٤ - أن يكذبه الحس، وتدفعه المشاهدة:

مثاله: حديث: «إنما الباذنجان شفاء من كل داء، ولا داء فيه».

قال عنه ابن الجوزى: «هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، فلا سقى الغيث قبر من وضعه؛ لأنه قصد شين الشريعة بنسبة رسول الله ﷺ إلى غير مقتضى الحكمة والطب، ثم نبه إلى ترك الأدب فى أكل باذنجانة فى لقمة!»، إلى أن يقول:

«والمتهم بهذا الحديث أحمد بن محمد بن حرب، قال ابن عدى:

«كان يتعمد الكذب، ويلقن فيتلقن، وهو مشهور بالكذب، ووضع الحديث»[٣].

---

(١) الدخيل لفضيلة أ. د/ عبد الوهاب فايد: ٢/ ٢٦، والحديث أخرجه مسلم فى صحيحه فى المقدمة: ١/ ٥٥ - ط. الشعب.

(٢) كشف الخفاء: ٢/ ٣٧٥.

(٣) الموضوعات: ٢/ ٣٠٩.

٥ - أن يكون الحديث مخالفًا للعقل:

ومثل له السيوطى بقوله: «ومن المخالف للعقل ما رواه ابن الجوزى من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه عن جده مرفوعًا: إن سفينة نوح طافت بالبيت سبعًا، وصلت عند المقام ركعتين، وأسند من طريق محمد بن شجاع البلخى عن حسان بن هلال عن حماد بن سلمة، عن أبى المهزم، عن أبى هريرة مرفوعًا: «إن الله خلق الفرس فأجراها فعرقت، فخلق نفسه منها»، هذا لا يضعه مسلم ولا عاقل، والمتهمك به محمد بن شجاع، كان زائغًا فى دينه، وفيه أبو المهزم، قال شعبة: رأيته ولو أعطى درهمًا وضع خمسين حديثًا»[١].

٦ - أن يكون الحديث مخالفًا لما ثبت من حقائق تاريخية:

وذلك كالحديث الذى رواه ابن الجوزى فى الموضوعات فى فضائل السيدة فاطمة الزهراء - رضى الله تعالى عنه - وأرضاها، حيث ورد من طريقين عن عمر - رضى الله عنه -، ومن أربعة طرق عن عائشة - رضى الله عنها.

وينص هذا الحديث على. . «أن النبى ﷺ كان كثيرًا ما يقبل نحر فاطمة فقالت له السيدة عائشة: يارسول الله أراك تفعل شيئًا لم تفعله، قال: أو ما علمت يا حميراء أن الله عز وجل لما أسرى بى إلى السماء أمر جبريل فأدخلنى الجنة، ووقفنى على شجرة، ما رأيت أطيب منها رائحة، ولا أطيب ثمرًا، فأقبل جبريل يفرك ويطعمنى، فخلق الله عز وجل فى صلبى منها نطفة، فلما صرت إلى الدنيا واقعت خديجة فحملت بفاطمة، كلما اشتقت إلى رائحة تلك الشجرة شممت نحر فاطمة، فوجدت رائحة تلك الشجرة منها، وأنها ليست من نساء أهل الدنيا، ولا تعتل كما يعتل أهل الدنيا».

---

(١) تدريب الراوى: ١/ ٢٧٨.

قال عنه ابن الجوزى:

«هذا حديث موضوع، لا يشك المبتدئ فى العلم فى وضعه، فكيف بالمتبحر؟، ولقد كان الذى وضعه أجهل الجهال بالنقل والتاريخ؛ فإن فاطمة ولدت قبل النبوة بخمس سنين، وقد تلقفه منه جماعة أجهل منه، فتعددت طرقه، وذكره الإسراء كان أشد لفضيحته؛ فإن الإسراء كان قبل الهجرة بسنة، بعد موت خديجة، فلما هاجر أقام بالمدينة عشر سنين، فعلى قول من وضع هذا الحديث يكون لفاطمة يوم مات النبى ﷺ عشر سنين وأشهر»[١].

وقال عنه الحافظ ابن حجر:

«فاطمة ولدت قبل ليلة الإسراء بالإجماع».

وقال الذهبى:

«فاطمة ولدت قبل النبوة، فضلاً عن الإسراء»[٢].

٧ - أن يكون الخبر مخالفًا لسنة الله فى كونه:

ومثل له أستاذنا الفاضل، فضيلة الأستاذ الدكتور/ إبراهيم خليفة بخبر:

«ابنتى فاطمة حوراء آدمية، لم تحض ولم تطمث، وإنما سماها الله تعالى فاطمة لأن الله تعالى فطمها ومحبيها عن النار».

وعنه قال ابن عراقى - رحمه الله تعالى -:

«أخرجه الخطيب من حديث ابن عباس، وقال: «ليس بثابت، وفيه غير واحد من المجهولين»[٣].

---

(١) الموضوعات: ١/٤٠٩ - ٤١٣.

(٢) الفوائد المجموعة: ٣٨٩.

(٣) الدخيل لفضيلة أ.د/ إبراهيم خليفة.

٨ - أن يكون الخبر ركيكا:

والمقصود بالركة هنا ركة المعنى، وإن لم يكن فيه ركة فى اللفظ، فإن انضمت إلى ركة المعنى ركة اللفظ كانت القرينة من القوة بمكان.

قال الربيع بن خُثَيم: «إن للحديث ضوءاً كضوء النهار تعرفه، وظلمة كظلمة الليل تنكره»(١).

ويقول السيوطى:

«وقال البلقينى: «وشاهد هذا أن إنسانًا لو خدم إنسانًا سنين، وعرف ما يحب ويكره، فادعى إنسان أنه كان يكره شيئًا يعلم ذلك أنه يحبه، فبمجرد سماعه يبادر إلى تكذيبه.

وقال شيخ الإسلام: المدار فى الركة - على ركة المعنى، فحيثما وجدت دلت على الوضع، وإن لم ينضم إليها ركة اللفظ؛ لأن هذا الدين كله محاسن، والركة ترجع إلى الرداءة.

وقال: أما ركاكة اللفظ فقط فلا تدل على ذلك؛ لاحتمال أن يكون رواه بالمعنى، فغير ألفاظه بغير فصيح، نعم إن صرح بأنه من لفظ النبى ﷺ فكاذب»(٢).

مثال ذلك: حديث..

«ركعتان من المتزوج أفضل من سبعين ركعة من الأعزب».

قال عنه الإمام الشوكانى:

«رواه العقيلى عن أنس مرفوعًا، وقال: «مجاشع حديثه منكر، غير محفوظ»، وقد رواه تمام فى فوائده من حديث أنس بلفظ: «ركعتان من المتأهل خير من اثنتين وثمانين ركعة من الأعزب».

---

(١) الموضوعات لابن الجوزى: ١/ ١٠٣.

(٢) تدريب الراوى: ١/ ٢٧٦.

وفى سنده مسعود بن عمرو، قال الذهبى فى الميزان: «لا أعرفه، وخبره باطل».

وأخرجه الضياء من طريق بقية.

وقد تعقبه ابن حجر فى أطرانه، وقال:

«هذا حديث منكر، ما لإخراجه معنى».

وقد روى من حديث أبى هريرة بمعنى اللفظ الأول، قال ابن عدى: «موضوع، آفته من يوسف بن السفر»[1].

ومن هذا القبيل أيضًا حديث: «عليكم بالوجوه الملاح، والحدق السود؛ فإن الله يستحيى أن يعذب وجهًا مليحًا».

رواه ابن عدى عن أنس مرفوعًا، وهو موضوع، فى إسناده وضاع، قاله الشوكانى[2].

٩ - الإفراط الشديد، والمجازفات المبالغ فيها ثوابًا وعقابًا:

فقد يتضمن الحديث وعدًا عظيمًا لا تحيط بكنهه العقول، على عمل يسير، أو يحتوى على وعيد شديد لا تتخيل قدره القلوب، على فعل صغائر الذنوب، وأكثر ما يكون ذلك فى أخبار القصاص، وحكايات المتصوفين.

مثال ذلك حديث:

«من سمع سورة يس عدلت له عشرين دينارًا فى سبيل الله، ومن قرأها عدلت له عشرين حجة، ومن كتبها وشربها أدخلت جوفه ألف يقين، وألف نور، وألف بركة، وألف رحمة، وألف رزق، ونزعت منه كل غل».

---

(١) الفوائد المجموعة: ١٢٠.

(٢) المصدر السابق: ٢١٨.

قال عنه الإمام الشوكانى:

«رواه الخطيب عن على رضى الله عنه مرفوعًا، وهو موضوع»[١].

ومن هذا القبيل الأحاديث الموضوعة فى ثواب من قال لا إله إلا الله، حيث اشتملت على مجازفات ومبالغات لم تصدر عن طريق معصوم.

١٠ - ومن هذه القرائن الخاصة بحال المروى:

التصريح بتكذيب رواة جمع المتواتر، أو يتضمن الخبر حديثًا عن أمر جسيم، تتوافر الدواعى على نقله بمحضر الجمع، ثم لا ينقله منهم إلا واحد[٢].

يقول ابن الجوزى:

«ما أحسن قول القائل: إذا رأيت الحديث يباين المعقول، أو يخالف المنقول، أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع».

قال: «ومعنى مناقضته للأصول أن يكون خارجًا عن دواوين الإسلام، من المسانيد، والكتب المشهورة»[٣].

١١ - أن يكون راوى الحديث ذا بدعة..

ويضع الحديث فى مدح بدعته، وتفضيل معتنقيها على من سواهم.

وذلك مشروط بأن لا يكون الراوى مشهودًا له بالثقة، معترفًا بالعدالة، وحسن الورع.

وقد برز الرافضة فى هذا النوع، فغالوا غلوًا شنيعًا فى وضع

---

(١) الفوائد المجموعة: ٣٠٠.

(٢) انظر فى ذلك: تدريب الراوى ١/ ٢٧٦، والباعث الحثيث: ٦٩.

(٣) تدريب الراوى: ١/ ٢٧٧.

الأحاديث فى حب سيدنا على رضى الله تعالى عنه وأرضاه.

مثال ذلك حديث:

«إذا كان يوم القيامة قال الله لى ولعلى بن أبى طالب: أدخلا الجنة من أحبكما، وأدخلا النار من أبغضكما»، فذلك قوله تعالى: ﴿ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد﴾(١).

قال عنه الشوكانى:

«فى إسناده يحيى بن عبد الحميد الحمانى، وهو كذاب، وإسحاق بن محمد بن أبان النخعى، وهو الواضع له»(٢).

ومثال ذلك أيضًا:

«يا علىّ: إن الله قد غفر لك، ولذريتك، ولوالديك ولشيعتك، ولمحبى شيعتك».

قال عنه الشوكانى: «فى إسناده وضاع»(٣).

* * *

القرائن الموجودة فى الراوى والمروى معًا

وهذه القرائن تدرك بسهولة إذا نظرنا إلى حال الراوى النفسية وشخصيته ومذهبه، وإلى متن الرواية.

ومن هذا القبيل ما ذكرناه عن سعيد بن طريف حينما جاء ابنه يبكى من ضرب المعلم، فوضع حديث: «معلموا صبيانكم شراركم».

وكذلك حديث: «يكون فى أمتى رجل يقال له محمد بن إدريس أضر على أمتى من إبليس، ويكون فى أمتى رجل يقال له أبو حنيفة،

---

(١) سورة ق: آية ٢٤.

(٢) الفوائد المجموعة: ٣٨٢.

(٣) المصدر السابق: ٣٨٤.

هو سراج أمتى»[١].

فالحالة النفسية للراوى فى الحديث الأول، وتعصبه الأعمى فى الحديث الثانى، ومتن الحديثين كل ذلك قرائن تدل على أنهما مكذوبان على رسول الله ﷺ .

* * *

حكم رواية الحديث الموضوع

إذا كنا قد عرفنا أن الحديث الموضوع هو الذى اختلق كذبًا وزورًا على رسول الله ﷺ فمن البدهى إذًا أن نقرر - بل نؤكد - خاصة بعد هذه الأحاديث المتواترة التى تحذر من الكذب على رسول الله ﷺ من البدهى إذًا أن نؤكد أنه لا يجوز رواية الحديث الموضوع، . إلا إذا جاء مقترنًا ببيان وضعه، والنص على كذبه، حتى لا يعتقد الناس صحته، ويعملوا بمقتضاه.

ويأخذ ابن الجوزى - رحمه الله - على بعض العلماء رواية الموضوع من غير تبيين لدرجته، ويعتبره من تلبيس إبليس عليهم.

يقول رحمه الله: «ومن تلبيس إبليس على علماء المحدثين رواية الحديث الموضوع، من غير أن يبينوا أنه موضوع، وهذه جناية منهم على الشرع، ومقصودهم ترويج أحاديثهم، وكثرة رواياتهم وقد قال ﷺ : «من روى عنى حديثًا يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»[٢].

بل لقد وصل الأمر ببعض الأئمة الكرام كالإمام أحمد بن حنبل، والحميدى شيخ البخارى، والصيرفى الشافعى، إلى أن رواية الكاذب على رسول الله ﷺ لا تقبل، حتى ولو تاب!!

---

(١) الباعث الحثيث: ٦٨.

(٢) تلبيس إبليس: ١٥٥ - ط. المنيرية.

ولقد مال الحافظ السيوطى - رحمه الله - إلى هذا الرأى حيث قال:

«ولقد وجدت فى الفقه فرعين يشهدان لما قاله الصيرفى والسمعانى، فذكروا فى باب اللعان: أن الزانى إذا تاب وحسنت توبته لا يعود محصنًا، ولا يحد قاذفه بعد ذلك، لبقاء ثلمة عرضه، فهذا نظير أن الكاذب لا يقبل خبره أبدًا.

وذكروا أنه لو قذف ثم زنى بعد القذف قبل أن يحد القاذف لم يحد؛ لأن الله تعالى أجرى العادة أنه أنه لا يفضح أحدًا من أول مرة، فالظاهر تقدم زناه قبل ذلك، فلم يحد له القاذف.

وكذلك نقول فيمن تبين كذبه، الظاهر تكرر ذلك منه حتى ظهر لنا، ولم يتعين لنا ذلك فيما روى من حديثه، فوجب إسقاط الكل، وهذا واضح بلا شك، ولم أر واحدًا تنبه لما حررته، ولله الحمد»[1].

* * *

---

(١) تدريب الراوى: ١/ ٣٣١.

مظان الأحاديث الموضوعة

في كتب التفسير والسنة

أما مظان الأحاديث الموضوعة فى كتب التفسير فأغلب ما تكون فى كتب التفسير بالمأثور، ويأتى فى مقدمتها تفسيرا مقاتل والثعلبى، ثم تفسير ابن مردويه ، وابن أبى حاتم ، والدر المنثور للسيوطى.

ويلى تلك التفاسير المتمحضة للمأثور ، تلك التفاسير التى جمعت بين المأثور والرأى ، ولكن معظمها كان بالمأثور كتفسير ابن جرير الطبرى والبغوى والخازن .

ثم يلى ذلك فى المرتبة الثالثة تلك التفاسير التى جمعت بين التفسير بالرأى والتفسير بالمأثور ، ولكن التفسير بالرأى كان هو الغالب فيها ، كتفسير الكشاف للزمخشرى ، ومفاتيح الغيب للفخر الرازى، والنسفى والبيضاوى .

أما مظان الأحاديث الموضوعة فى كتب السنة : فتلك الكتب المصنفة فى الضعفاء ، وفى العلل ، إضافة إلى ما خصص لهذا النوع بالذات من الأحاديث ، مثل كتاب " الموضوعات " لأبى الفرج بن الجوزى "وكتاب " العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية " له ايضا ، وكتاب " الأباطيل" للجوز قانى ، واللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة " للسيوطى وكتاب " تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ." لابن عراق الدمشقى.

والموضوعات الكبرى للشيخ على القارى ، وتحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة للشيخ ظافر الأزهرى ، وتحذير الخواص من أكاذيب القصاص للسيوطى ، والآثار المرفوعة فى الأحاديث

الموضوعة للشيخ اللكنوى ، ورسالة فى الأحاديث الموضوعة لابن تيمية ، وغير ذلك .

ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا المقام أن بعض العلماء قد حكم على بعض الأحاديث بالوضع ، بينما هى فى حقيقة الأمر ليست موضوعة والسبب فى ذلك هو قصور العقل البشرى وذهوله أثناء الحكم وسبحان من قد أحاط بكل شئ علما .

وإلى هذه الحقيقة يشير الحافظ السيوطى رحمه الله فى كتابه "تدريب الراوى" فيقول :

" قد أكثر جامع الموضوعات فى نحو مجلدين ــ أعنى أبا الفرج بن الجوزى ــ فذكر فى كتابه كثيرا مما لا دليل على وضعه ، بل هو ضعيف ، بل وفيه الحسن والصحيح ، وأغرب من ذلك أن فيه حديثا من صحيح مسلم كما سأبينه .

نماذج من الأحاديث الموضوعة فى التفسير

وإذا نحن أردنا ذكر الأحاديث الموضوعة فى مجال التفسير فذاك أمر يطول ، ولكن نشير إلى نماذج منها ، ودون تفصيل فى الحديث عنها ، فمن تلك الأحاديث :

١) الحديث الطويل فى فضائل السور ، سورة سورة ، المنسوب لأبى بن كعب يرفعه إلى رسول الله ﷺ.

وها هو مؤمل بن إسماعيل يجهد نفسه فى الوصول إلى حقيقة هذا الحديث فيقول :

"حدثنى شيخ بهذا الحديث ، فقلت له : من حدثك بهذا ؟ قال :رجل بالمدائن ، وهو حى ، فسرت إليه ، فقلت : من حدثك بهذا قال

حدثني شيخ بواسط ، فسرت إليه فقلت :من حدثك بهذا ؟ فقال : حدثني شيخ بعبادان ، فسرت إليه ، فأخذ بيدي ، فأدخلني بيتا ، فإذا فيه قوم من المتصوفة ، ومعهم شيخ ، فقال : هذا الشيخ الذي حدثني ، فقلت : يا شيخ ، من حدثك بهذا ؟ فقال لم يحدثني أحد ، ولكنا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن ، فوضعنا لهم هذا الحديث ، ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن [1]

وهذا الحديث قد روى بعدة طرق ، كل منها باطل موضوع ، وانظر في ذلك اللآلئ المصنوعة.

وقد أشرنا إلى ذلك سابقا في السبب الخامس من أسباب الوضع، وهو الترغيب والترهيب مع حسن الطوية وسلامة النية .

ومن المفسرين من جزأ هذا الحديث الطويل ، ووزعه في تفسيره على كل سور القرآن ، يذكر لكل سورة الفقرة الخاصة بها ، إما في بداية تفسير السورة ، وإما في نهاية تفسيرها .

ومن هؤلاء الذين ذكروه في كتبهم الزمخشري والثعلبي والواحدي وأبو السعود وغيرهم .

٢) ومن الأحاديث الموضوعة في فضل علي وآله رضي الله عنهم ما ورد في سبب نزول قوله تعالى (**ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا**) الإنسان :٨

وقد ذكره كثيرمن المفسرين في كتبهم ، وعلى رأسهم **الزمخشري في تفسيره** ، حيث يقول ما نصه:

"**عن** ابن عباس رضي الله عنهما أن الحسن والحسين مرضا ، فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس معه ، فقالوا يا أبا الحسن : لو

---

[1] – مقدمة ابن الصلاح ، بشرح الحافظ العراقي :١١١

نذرت على ولدك ، فنذر على وفاطمة وفضلة (جارية لهما) إن بـرآ مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام ، فشفيا وما معهم شئ، فاستقرض على من شمعون الخيبرى اليهودى ثلاثة أصوع من شعير ، فطحنت فاطمة صاعا ، واختبزت خمسة أقراص على عددهم ، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا ، فوقف عليهم سائل فقال : السلام عليكم أهل بيت محمد ، مسكين من مساكين المسلمين ،

أطعمونى أطعمكم الله من موائد الجنة ، فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء، وأصبحوا صياما ، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم ، فآثروه ، ووقف عليهم أسير فى الثالثة ، ففعلوا مثل ذلك ، فلما أصبحوا أخذ على رضى الله عنه بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله ﷺ، فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال : ما أشد ما يسوءنى ما أرى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة فى محرابها قد التصق ظهرها ببطنها ، وغارت عينها ، فساءه ذلك ، فنزل جبريل وقال خذها يا محمد ، هنأك الله فى أهل بيتك، فأقرأه السورة .

قال الحافظ ابن حجر فى تعقيبه على أحاديث الكشاف :

"أخرجه الثعلبى من رواية القاسم بن بهرام ، عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن ابن عباس ، ومن رواية الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، قال الحكيم الترمذى فى الرابع والأربعين : ومن الأحاديث التى تنكرها القلوب حديث رووه عن مجاهد عن ابن عباس فذكره بشعره ، ثم قال : هذا الحديث مزوق مفتعل لايروج إلا على أحمق

جاهل، ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات وقال عنه : هذا لا نشك فى وضعه[٢]

٣) ومن الأحاديث الموضوعة فى فضل على بن أبى طالب أيضا مـــا جاء فى سبب نزول قوله تعالى (**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**) [المـائدة :٥٥] حيث روى أنها نزلت فى على بن أبى طالب ، وتصدق وهو راكع وقد ذكره ابن كثير فى تفسيره بعدة طرق وحكم على كل طريق بالضعف ، أو الوضع ، حيث جاء عن طريق الكلبى مثله : " وليس يصح شئ منها بالكلية ، لضعف أسانيدها ، وجهالة رجالها[٣]

٤) ومن الأحاديث الموضوعة التى كانت العصبية السياسية سـببا فـى وضعها ما يذكره بعض المفسرين فى سبب نزول سورة القدر ، حيـث وضع الوضاعون فى ذلك حديثا يذم بنى أمية يقول الحافظ السيوطى فى كتابه " الدر المنثور" ما نصه :

" وأخرج الترمذي وضعفه وابن جرير الطبرى وابن مردويه والبيـهقى في الدلائل عن يوسف بن مازان الرؤاسى قال :

قام رجل إلى الحسن بن على بعدما بايع معاوية فقال : سـودت وجوه المؤمنين ، فقال : لا تؤنبنى رحمك الله ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم رأى بنى أمية يخطبون على منبره فســاءه ذلـك فـنزلت (**إنا أعطيناك الكوثر**) يا محمد ، يعنى نهرا فــى الجنــة ، ونزلـت (**إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألـف**

---

[٢] - الكشاف للزمخشري : هامش : ٦٧٠/٤ ط الريان .

[٣] - تفسير ابن كثير : ١٣٠/٢ ط الشعب.

شهر) يملكها بعدك بنو أمية ، يا محمد ، قال القاسم : فعددنا فإذا هي ألف شهر لاتزيد يوما ولاتنقص يوما[4]

ولابن كثير رحمه الله تعليق طيب على هذا الحديث الموضوع ، حيث يقول ما نصه :

"هذا الحديث على كل تقدير منكر جدا ، قال شيخنا الإمام الحافظ الحجة أبو الحجاج المزى : هو حديث منكر .

قلت ـ أى ابن كثير ـ : وقول القاسم بن الفضل الحدانى إنه حسب مدة بنى أمية فوجدها ألف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص ليس بصحيح ، فإن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه استقل بالملك حين سلم إليه الحسن بن على الإمرة ، سنة أربعين ، واجتمعت البيعة لمعاوية، وسمى ذلك عام الجماعة ، ثم استمروا فيها متتابعين بالشام وغيرها ، لم تخرج عنهم إلا مدة دولة عبدالله بن الزبير فى الحرمين والأهواز وبعض البلاد، قريبا من تسع سنين ، لكن لم تزل يدهم عن الإمرة بالكلية ، بل عن بعض البلاد ، إلى أن استلبهم بنو العباس الخلافة فى سنة اثنتين وتسعين ، وذلك أزيد من ألف شهر ، فإن الألف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر.

وكأن القاسم بن الفضل أسقط من مدتهم أيام ابن الزبير ، وعلى هذا فيقارب ما قاله الصحة فى الحساب والله أعلم .

ثم قال ابن كثير : ومما يدل على ضعف هذا الحديث أنه سيق لذم دولة بنى أمية ، ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق فإن تفضيل ليلة القدر على أيامهم لايدل على ذم أيامهم ، فإن ليلة القدر شريفة جدا،

---

[4] - الدر المنثور : ٥٦٩/٨ ط دار الفكر.

والسورة الكريمة إنما جاءت لمدح ليلة القدر ، فكيف تمدح بتفضيلها على أيام بنى أمية التى هى مذمومة بمقتضى هذا الحديث.

وهل هذا إلا كما قال القائل :

ألم تر أن السيف ينقص قدره	إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

و قال آخر :

إذا أنت فضلت امرءا ذا براعة	على ناقص كان المديح من النقص

ثم أضاف ابن كثير سببا آخر فى تضعيف هذا الحديث فقال :-

ثم الذى يفهمهم من الآية أن الألف شهر المذكورة فى الآية هى أيام بنى أمية ، والسورة مكية ، فكيف يحال على ألف شهر هى دولة بنى أمية ولايدل عليها لفظ الآية ولامعناها ، والمنبر إنما صنع بالمدينة بعد مدة من الهجرة .

فهذا كله يدل على ضعف الحديث ونكارته ، والله أعلم .(٠)

---

٠ - تفسير ابن كثير : ٥٣٠/٤ ط عيسى الحلبي.

الباب الثاني

الدخيل في الرأي

الفصل الأول : الدخيل عن طريق اللغة.

الفصل الثاني : الدخيل عن طريق الفرق المبتدعة.

المبحث الأول : الدخيل عن طريق الشيعة.

المبحث الثاني: الدخيل عن طريق الخوارج.

المبحث الثالث: الدخيل عن طريق المعتزلة.

الفصل الثالث: الدخيل عن طريق الإلحاد المتعمد من الفرق الزنديقة.

المبحث الأول : الدخيل عن طريق الباطنية.

المبحث الثاني : الدخيل عن طريق القاديانية.

المبحث الثالث : الدخيل عن طريق البهائية.

الفصل الرابع : الدخيل عن طريق الصوفية.

الفصل الخامس: الدخيل عن طريق التفسير العلمي.

الفصل الثالث : الدخيل عن طريق الصوفية.

الفصل الأول

الدخيــل عــن طريــق اللــغة

الفصل الأول

الدخيل عن طريق اللغة

فى مجال تفسير القـرآن الكريـم نجـد بعـض الأفـراد ، أو الجماعات، يخرجون عن المعنى المقصود من ألفاظ القرآن ، إلى معنى مردود ، مرفوض ، بسبب خروجهم على قواعد اللغة ، إما جاهلين غير عالمين وإما قاصدين متعمدين ، لابتداعهم بدعة ما جاءت فى شـرع ، أو لتقليدهم مذهباً ، تعصبوا له ، دونما دليل ، من دين الله ، فيتعسـفون فى تأويل الآيات تعسفاً ، ترفضه قواعد اللغة ، وتأباه روح الشرع .

يقول الحافظ الغمارى وهو يتحدث عن بدع التفاسير :

" إنها لا تخلو أن تكون مخالفة للفظ الآية ، أو منافية لإعرابها ، أو منافرة لسياق الكلام ، أو غير متلاقية ، مـع سـبب الـنزول ، أو مصادمة للدليل "[1]

ومن خلال تتبعنا لهذه البدع ، وجدنا منها بدعاً تتعلـق بقواعـد النحو ، وأخرى ترجع إلى المعنـى الموضـوع لـه وثالثـة تتعلـق بالقراءات،الواردة فى اللفظ القرآنى .

لذلك: فإن حديثنا هنا سـيتناول إن شـاء الله البـدع الثـلاث ، والصور الخاصة بكل نوع على النحو التالى.

---

[1] - بدع التفاسير للحافظ الغمارى:١٤٩

أولاً : ما يتعلق بقواعد النحو

والمقصود من الدخيل هنا ما حدث لبعض المفسرين من إعراب لبعض ألفاظ القرآن ، وتوجيهها توجيها خاطئا،شاذا لايتمشى مع القواعد المتعارف عليها ، مما أدى إلى خطإ فى المعنى ،واضطراب فى الفهم.

ومن ذلك: ما جاء فى تفسير قوله تعالى :(**إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين**)[٢]

حيث يقول صاحب البدع[٣]: ومن بدع التفاسير ما حكاه المرتضى بقوله: "وقد ذكر قوم فى الآية وجها آخر ، وهو أن يكون المراد إنى أريد زوال أن تبوء بإثمى وإثمك، لأنه لم يرد له إلا الخير والرشد ، فحذف زوال ، وأقام أن وما اتصل بها مقامه ، كما قال تعالى (**وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم**)[٤] أى حب العجل ، حذف حب وأقام العجل مقامه ، وكما قال تعالى (**واسأل القرية**)[٥]، أى أهلها.

قال : وهذا قول بعيد ، لأنه لا دلالة فى الكلام على محذوف، وإنما تستحسن العرب الحذف فى بعض المواضع لاقتضاء الكلام المحذوف.

ودلالته عليه . أ هـ ، أى كالآيتين المذكورتين ، فإن الحذف فيهما اقتضاه الكلام، ودل عليه لأن العجل لايشرب فى القلوب ، ولكن حبه يشرب فيها،ولاتسأل القرية، ولكن يسأل أهلها ، ومما يبعد ذلك التأويل قوله تعالى (**وذلك جزاء الظالمين**)[٦]

---

٢ ـ المائدة : ٢٩ .

٣ ـ الحافظ الغماري.

٤ ـ البقرة : ٩٣

٥ ـ يوسف : ٨٣

٦ ـ بدع التفاسير :٤١، ٤٢

ومن أمثلة هذا النوع أيضاً ما جاء في تفسير قوله تعالى :

(فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين)[7]

حيث ادعى بعضهم أن **(إن شاء الله)** موضعها بعد قوله تعالى **(سوف أستغفر لكم ربى)**[8] ، وهذا ظاهر الضعف والبطلان .

ولذلك يقول الزمخشرى:

"ومن بدع التفاسير أن قوله **(إن شاء الله)** من باب التقديم والتأخير ، وأن موضعها ما بعد قوله **(سوف أستغفر لكم ربى)** فى كلام يعقوب ، أى سوف أستغفر لكم ربى إن شاء الله ، ولا أدرى ما أقول فيه وفى نظائره. (9)

ومن البدع التى تتعلق بقواعد النحو أيضاً :

ما جاء فى تفسير قوله تعالى **(وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة)**.(10)

فمن البدهى أن " ما " فى قوله تعالى **(ما كان لهم الخيرة)** نافية نفى اختيار الناس فى أمر قد اختاره الله سبحانه وتعالى ، ولكنا رأينا قوماً قد شردوا فى ذلك شروداً عظيماً ، فبعضهم يجعلها موصولة ، وبعضهم يجعلها مصدرية ، وذلك غاية البطلان .

وفى ذلك يقول صاحب البدع : " ومن بدع التفاسير : جعل "ما" موصولة ، والمعنى : أن الله يختار لخلقه الأمر الذى لهم الخيرة فيه ،

---

[7] - يوسف:99

[8] - يوسف :98

[9] - بدع التفاسير :73

[10] - القصص:68

وهذا مع كونه مخالفاً لسبب النزول - يلزم عليه حذف العائد المجرور في موضع لايجوز حذفه فيه ، إذ المقرر فى علم العربية أن العائد لايحذف إلا إذا جر بحرف جر الموصول بمثله ، مع اتحاد المعنى ، نحو(**يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون**)[11] أى منه فالعائد هنا محذوف لوجود شرط حذفه .

ولا يجوز: جاءنى الذى مررت ، أي به، ورأيت الذى رغبت ، أى فيه ، لعدم توافر الشرط.

ويلزم عليه أيضاً نصب الخيرة،خبرا لكان ، واسمها ضمير عائد على الموصول ،ويكون المعنى : أن الله يختار لهم الأمر الذى كان هو الخيرة ، لكن لم يقرأ بنصب الخيرة أحد من القراء المشهورين.

ومن البدع أيضا : جعل ما مصدرية ، تسبك مع بعدها بمصدر ، والمعنى : يختار اختيارهم فيه ،وهو ظاهر البطلان . [12]

ثانياً: ما يتعلق بمدلول اللفظ

والبدع هنا لها صور متعددة ، وألوان شتى ... على النحو التالى :

١-أن تفسر الآية بلغة شاذة أو غريبة.

وذلك لأن القرآن نزل بأفصح اللغات، فوجب على المفسر أن يحمله على أفضل وجوه التأويل، أما أن يأتى بلغة شاذة أو غريبة ، ويجعلها متكأً له فى التفسير فهذا ما نأباه ، وذاك مانرفضه وننبذه.

ومن أمثلة ذلك:ما جاء فى تفسير قوله تعالى (**كيف وإن يظهروا عليكم لايرقبوا فيكم إلا ولا ذمة**) [13]

---

[11] - المؤمنون : ٣٣

[12] - بدع التفاسير : ١٠٠

[13] - التوبة : ٨

فالإل معناه القرابة ، وقيل العهد ، وقيل الحلف[14] ولكن قوما فسروا "الإل" هنا بمعنى: الله سبحانه وتعالى ، ولذلك فقد عده العلماء من البدع.

وفى ذلك يقول صاحب البدع :

ومن بدع التفاسير :(إلا) أى الله تعالى ، ومن لغات جبريل جبرئل ، بفتح الجيم ، وكسر الهمزة ، وتشديد اللام ، على أن "جبر" عبد ، و"إل" الله .

وفى المختار "الإل" بالكسر هو الله عز وجل.

قلت: لعله معرب عن اللغة السريانية ، أو العبرانية ، وهو فى الآية منكر ، فلايصح أن يكون معناه إليا ، أوربا.

ثم بعد هذا فأسماء الله توقيفية ، أى لايصح أن يسمى الله باسم إلا إذا جاء صريحا فى آية ، مثل الأسماء المذكورة فى خواتيم سورة الحشر ، أوجاء فى حديث صحيح.[15]

ومن أمثلة هذا النوع أيضا : ما جاء فى تفسير قوله تعالى : (واضمم إليك جناحك من الرهب).[16]

فالرهب هنا مقصود منه الخوف ، وفى ذلك يقول الإمام القرطبى رحمه الله : "وهو بمعنى الخوف" والمعنى : إذا هالك أمريدك وشعاعها فأدخلها فى جيبك ، واردها إليك تعد كما كانت. [17]

ولكن قوما فسروا الرهب بمعنى الكم ، وهو تفسير غريب .

لذلك عده الإمام الزمخشرى من بدع التفاسير ، حيث يقول رحمه الله.

---

[14] - انظر تفسير ابن كثير : ٥٨،٧٥/٤

[15] - بدع التفاسير : ٥٥ .

[16] - القصص : ٣٢ .

[17] - تفسير القرطبي : الجامع القرآن : ٢٨٤/١٢ .

ومن بدع التفاسير أن الرهب الكم ، بلغة حمير، وأنهم يقولون أعطني مما في رهبك ، وليت شعري ، كيف صحته في اللغة ؟

وهل سمع من الأثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم ؟

ثم ليت شعري ، كيف موقعه في الآية ؟ وكيف تطبيقه المفضل كسائر كلمات التنزيل ؟[18]

٢-أن تفسر الآية تفسيرا يصادم الشرع ، ويأباه العقل .

وذلك كما فسر بعضهم قوله تعالى:(وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد)[19] ، وقال : إن الخطاب هنا للرسول ﷺ !!

والإنسان يعجب من ذلك والله تعالى يقول لرسوله ﷺ (وللآخرة خير لك من الأولى)[20]

فهذا تفسير يصادم هذه الآية ، ويأبى العقل قبوله ، إذ كيف يفضل – صلى الله وعليه وسلم – الحياة الفانية على الآخرة الباقية ، ذات النعيم الدائم ، والمتاع المقيم ؟

يقول الحافظ الغماري – رحمه الله :

ومن بدع التفاسير : أن الخطاب للنبي ﷺ ، عن بعضهم أنه سأل زيد بن أسلم عن ذلك فقال : الخطاب لرسول الله ﷺ فحكاه لصالح بن كيسان، فقال : والله ما سن عالية ، ولا لسان فصيح ، ولا معرفة بكلام العرب، هو للكافر.

ثم حكاهما للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس فقال : أخالفهما جميعا ، هو للبر والفاجر.

---

١٨ - المصدر السابق : ٢٨٥/١٣ .

١٩ - سورة ق: ١٩.

٢٠ - الضحى : ٤ .

قلت لاشك أن تفسير زيد بن أسلم غير مقبول، ولا معقول، وهو بعيد من سياق الآية غاية البعد ، وكيف يحيد النبى ﷺ عن الموت ، وهو الذى خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله ، كما ثبت فى الصحيحين ؟

أما تفسير صالح بن كسيان فهو أقرب من تفسير الحسين بن عبد الله، لأن البر لا يحيد من الموت ، ولايهرب منه ، وإنما الذى يهرب منه ويحيد هو الفاجر الكافر. [٢١]

٣- ومن البدع الدخيلة التى تتعلق بمدلول اللفظ:

أن لا يراعى سياق الكلام أثناء التفسير

وذلك كما ورد فى تفسير قوله تعالى :

(ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت) [٢٢]

فالمعروف أن " ألوف" جمع ألف ، ولكن بعضاً من المفسرين فسروا الألوف بالألفة!!!

ولا نرى لهذا التفسير وجها يتناسب وسياق الكلام .

وعنه يقول صاحب البدع :

وقيل الوف: متألفون ، من الألفة ، وجمع آلف ، كقاعد وقعود . وهو من بدع التفاسير ، كما قال الزمخشرى ، وإن حكاه البيضاوى ، ولم يعترضه، وهو بعيد من سياق الكلام ، لأنه لامعنى لذكر الألفة هنا ، ولا مناسبة تقتضيها . [٢٣]

ومن أمثلة هذا النوع أيضا : ما جاء فى تفسير قوله تعالى :

---

[٢١] - بدع التفاسير : ١٢٩ ، ١٣٠ .

[٢٢] - البقرة : ٢٤٣

[٢٣] - بدع التفاسير ٢٥

(أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب)[٢٤] فقد فسر بعضهم قوله تعالى: (سريع الحساب) بأنه سريع العلم بكل محسوب ، وذلك على سبيل المجاز ، من إطلاق اسم المعلوم على العلم.

ولذلك رد صاحب البدع هذا التفسير بثلاثة أوجه ، من بينها أنه يتنافى مع سياق الآية ، إذ يقول :

"إنه لا يناسب سياق الآية ، وكثير من المفسرين يغفل عن ملاحظة السياق ، وهى ملاحظة واجبة الاعتبار ، لأن الآيات تترابط وتأتلف بسياقاتها المتناسبة ، ولولا ذلك لكانت متفككة غير مترابطة.[٢٥]

٤-ومن البدع الدخيلة التى تتعلق أيضا بمدلول اللفظ :

تغيير تركيبة اللفظ القرآنى، مما ينتج عنه تحريف الكلم عن مواضعه .

ومن أمثلة ذلك ما نقل عن بعضهم أنه فسر قوله تعالى :

(وإن الله لمع المحسنين)[٢٦] تفسيرا منحرفا .

فمن البدهى أن الآية تتحدث عن معية الله للمحسنين ، ولكن هؤلاء جعلوا (لمع) فعلاً ماضيا بمعنى أضاء ، وجعلوا (المحسنين) مفعوله، وهذا فى غاية النكران والبطلان .

ولذلك يقول فضيلة الدكتور محمد الذهبى – رحمه الله :

ولاشك أن هذا التفسير وأمثاله إلحاد فى آيات الله ، وقائلوه محرفون للكلم عن مواضعه، يقولون على الله الكذب وهم يعلمون[٢٧]

---

٢٤ ـ البقرة : ٢٠٢ .

٢٥ ـ بدع التفاسير : ٢٤.

٢٦ ـ العنكبوت : ٦٩.

٢٧ ـ الاتجاهات المنحرفة في التفسير : ٨٧

ومثاله أيضا: ما جاء في تفسير قوله تعالى :

(من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه)[28] فقد ذهب جهلة المتصوفة إلى تقطيع هذا اللفظ القرآني كما يلي :

(من ذل) من الذل ، (ذى) إشارة إلى النفس، أما (يشفع) فقد قطعوها هكذا ، (يشف) من الشفاء، (ع) من الوعي.

وهذ التفسير كما هو واضح في غاية البطلان ، بل لقد عده بعض العلماء إلحادا. !!!

يقول الحافظ السيوطي – رحمه الله –(وسئل شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني عن رجل فسر هذه الآية على هذا النحو فأفتى بأنه ملحد)[29]

ومن أمثلة هذا النوع أيضا : ما جاء في تفسير قوله تعالى :**(عينا فيها تسمى سلسبيلا)**[30]

فقد نسب بعضهم إلى على بن أبي طالب – رضى الله عنه– أنه قال : إن معناه : سل سبيلا إليها .

وهذ التفسير ونسبته إلى على – رضى الله عنه – مرفوضان ، لأنه – من حيث السند –غير ثابت ، ومن حيث المعنى فيه تكلف وابتداع.

يقول الحافظ الغماري – رحمه الله :

قال الزمخشري: وقد عزوا إلى على – ﷺ – أن معناه : سل سبيلا إليها وهذا غير مستقيم على ظاهره ، إلا أن يراد أن جملة قول القائل : سل سبيلا جعلت علما للعين ، كما قيل تأبط شرا ، وذرى حبك

---

[28] - البقرة : ٢٥٥

[29] - الإتقان : ١٨٤/٢

[30] - الإنسان : ١٨

وسميت بذلك لأنه لا يشرب منها إلا من سأل إليها سبيلا بالعمل الصالح.

وهو مع صحته فى العربية تكلف وابتداع ، وعزوه إلى مثل على عليه السلام أبدع .

وفى شعر بعض المحدثين:

"سل سبيلا منها إلى راحة النفس براح كأنها سلسبيل"

قلت : فى البيت جناس تام ، وهو من المحسنات اللفظية فى علم البديع، وما نقل عن على عليه السلام لم يصح عنه، ولاشك أنه من بدع التفاسير."[٣١]

٥- ومن البدع الدخيلة التى تتعلق بمدلول اللفظ أيضا :

أن يفسر اللفظ بمدلول لم يوضع له .

وذلك كماجاء فى تفسير قوله تعالى :(وما كان لنبى أن يغل).[٣٢]

فالمراد من قوله (يغل) يخون أصحابه فيما أفاءه الله عليهم من أموال أعدائهم ، بأن يأخذها لنفسه، كما ذكر ذلك المفسرون، وأيدوا تفسيرهم هذا بسبب نزول الآية.[٣٣] ولكن قوما فسروا الغلول هنا بالحرمان ، على معنى أنه أعطى قوما دون آخرين ؛ وهذا خطأ ، ولأكثر من سبب:

أولا : أنه لا يناسب سبب النزول ، كما ذكر المفسرون.

ثانيا: ثبت عن النبى ﷺ من عدة طرق أنه آثر قوما فى قسمة الفىء لسبب شرعي.

---

٣١ - بدع التفاسير : ١٤٢ ، ١٤٣ .

٣٢ - آل عمران : ١٦١ .

٣٣ - انظر على سبيل المثال تفسير الطبري ٣٤٨/٧ .

ثالثا: حمل الغلول على الحرمان فيه شطط من مدلول اللفظ .

ولذلك يقول صاحب البدع فيما يذكره عن الزمخشرى والبيضاوى فى تفسيرهما لهذه الآية أنهما قالا: إن فيها وجهين ، ثم ذكرا الوجه الأول، وهو الذى ذهبنا إليه، ثم قال :

والثانى أن يكون مبالغة فى النهى لرسول الله ﷺ على ماروى أنه بعث طلائع فغنمت غنائم ، فقسمها ، ولم يقسم للطلائع فنزلت ، يعنى: وما كان لنبى أن يعطى قوما ويمنع آخرين ، بل عليه أن يقسم بالسوية ، وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الأمر.

قلت : وهذا من بدع التفاسير ، ورواية بعث طلائع وعدم قسمته لها لا تصلح ، وحمل الغلول على الحرمان بعيد من مدلول اللفظ ، وتأييده بالتغليظ والتقبيح إساءة فى حق الجانب النبوى الكريم.[٣٤]

ومن أمثلة هذا النوع أيضا:

ما جاء فى تفسير قوله تعالى (**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت**)[٣٥] فالإبل هنا يراد بها الحيوان المعروف، كما هو ظاهر.

ولكن بعضهم فسر الإبل بمعنى آخر ، وقال : إن المراد بها السحاب[٣٦]، ولذلك فقد عد من بدع التفاسير ، لأن اللفظ لم يوضع لهذا المدلول.

٦-ومن البدع الدخيلة التى تتعلق بمدلول اللفظ أيضا:

أن تفسر الآية بمعنى ينبو عنه الذوق السليم .

---

٣٤ - بدع التفاسير : ٣٦ ، ٣٧.

٣٥ - الغاشية : ١٧ .

٣٦ - انظر في ذلك بدع التفاسير :١٤٥

مثال ذلك:

ماجاء فى تفسير قوله تعالى فى حق المرأة الناشز **(واهجروهن فى المضاجع)**[٣٧] حيث ذهب ابن جرير الطبرى إلى أن ذلك مأخوذ من "هجر البعير" إذا ربطه صاحبه بـ "الهجار" وهو حبل يربط فى حقويها ورسغيها [٣٨] وقال : إن تأويل الكلام : " واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن فى نشوزهن عليكم ، فإن اتعظن فلا سبيل لكم عليهن ، وإن أبين الأوبة من نشوزهن فاستوثقوا منهن رباطا فى مضاجعهن يعنى فى منازلهن ، وبيوتهن التى يضطجعن فيها ، ويضاجعهن فيها أزواجهن[٣٩]. وقد تعقب العلماء ابن جرير الطبرى ومن نحا نحوه فى هذا التفسير ، فها هو الزمخشرى يعلق على هذا التفسير بقوله:

"وقيل معناه : أكرهوهن على الجماع ، واربطوهن ، من هجر البعير إذا شده بالهجار، وهذا من تفسير الثقلاء" [٤٠]

ويعلق الإمام القرطبى على هذا التفسير بقوله:

وفى كلامه – فى هذا الموضع ـ نظر ، وقد رد عليه القاضى أبو بكر ابن العربى فى أحكامه فقال : يالها من هفوة ، من عالم بالقرآن والسنة، والذى حمله على هذا التأويل حديث غريب ، رواه ابن وهب عن مالك، أن أسماء بنت أبى بكر الصديق ، امرأة الزبير بن العوام كانت تخرج حتى عوتب فى ذلك ، قال وعتب عليها و على ضرتها فعقد شعر واحدة بالأخرى ثم ضربهما ضربا شديدا وكانت الضرة أحسن اتقاء ، وكانت أسماء لا تتقى، فكان الضرب بها أكثر ، فشكت إلى

---

٣٧ ـ النساء :٣٤

٣٨ ـ تفسير ابن جرير الطبري ، جامع البيان : ٣٠٧/٨ ط دار المعارف.

٣٩ ـ المصدر السابق : ٣٠٩/٨

٤٠ ـ الكشاف : ٥٢٤/١ ، ٥٢٥ .

أبيها، أبي بكر – رضي الله عنه – فقال لها : أي بنية : اصبري ، فإن الزبير رجل صالح ، ولعله أن يكون زوجك في الجنة ، ولقد بلغني أن الرجل إذا ابتكر بامرأة تزوجها في الجنة.

فرأى الربط والعقد مع احتمال اللفظ مع فعل الزبير فأقدم على هذا التفسير .[41]

ويقول صاحب البدع معلقا على عبارة الزمخشري " وهذا من تفسير الثقلاء" بقوله:

"وصدق فيما قال ، فإنها إذا كانت ناشزة عاصية لزوجها فكيف يليق به أن يكرهها على الجماع ، ويربطها لأجله إلا إذا كان سمجا ثقيلا؟

وهو أيضا من بدع التفاسير ، لأنه عدول عن اللغة المشهورة ، والمناسبة للسياق ، إلى لغة غير مشهورة. [42]

ومن هذا القبيل أيضا ماورد في تفسير قوله تعالى (وأرضا لم تطؤوها)[43]

فالآيات تتكلم عن بني قريظة، وما أنعم الله به على المسلمين من توريثهم أرضهم وأموالهم.

وكما هو معروف فإن اللفظ إذا أطلق يراد به حقيقته ، ولا يصرف عن ظاهره إلى معنى مجازي إلا إذا وجدت قرينة أو ضرورة تصرفه عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي ، وعلى ذلك فإن المراد من الأرض هنا هو المعنى الحقيقي لها ، وإن اختلف المفسرون في تعيينها .

---

[41] - تفسير القرطبي : الجامع لأحكام القرآن : ١٧٢/٥ .

[42] - بدع التفاسير : ٣٨ .

[43] - الأحزاب : ٢٧ .

فمن قائل إنها خيبر ، ومن قائل إنها فارس والروم ، ومن قائل إنها مكة ، ومن قائل إن المراد ما فتح على المسلمين من البلاد والأقطار فيما بعد.

ولكن قوما فسروا الأرض هنا بمعنى نساء الأعداء ، ولذلك يصف الزمخشرى هذا التفسير بأنه من البدع[٤٤].

ويقول عنه صاحب البدع:

"قلت : هذا تأويل بعث عليه الشبق[٤٥] ، وانتقل ذهن صاحبه من وطء الأرض إلى وطء الفرج[٤٦].

ثالثا: ما يتعلق بالقراءات

ومن البدع الخاصة باللغة تلك التى تتعلق بالقراءات .

وعنها يقول أستاذنا الدكتور عبد الوهاب فايد :

"وإنما صح لنا أن نعتبر ذلك من بدع التفاسير اللغوية لأن الأمر لم يقتصر على القراءات فى حد ذاتها ، بالاختلاق ، أو بالإنكار ، فحسب، بل تخطى هذا الجانب إلى محاولة حمل القرآن على معنى قراءة باطلة، أو محاولة تنزيه القرآن عن معنى قراءة صحيحة، وكلاهما من الخطورة بمكان[٤٧] .

ومن المعروف عند من لديه زاد قليل من علم القراءات أن القراءة المقبولة هى التى اجتمعت فيها شروط ثلاثة ، وهى:

١- صحة السند إلى رسول الله ، ﷺ .

---

٤٤ ـ الكشاف : ٢٥٨/٣

٤٥ ـ الشبق : شدة الشهوة ، يقال رجل شبق وامرأة شبقة إذا كانت شهوة كل منهما متوهجة .

٤٦ ـ بدع التفسير :١٠٢

٤٧ ـ الدخيل : لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الوهاب فايد :٩٢/٢ .

٢- أن تكون موافقة للرسم العثمانى .

٣- أن تكون موافقة للغة العرب ، ولوبوجه.

وعلى ذلك : فإن أية قراءة وردت بهذه الشروط يجب علينا قبولها، فإن اختل شرط منها ردت.

ولكن بالاطلاع على كتب التفاسير وجدنا أن بعضا من الناس أتوا بقراءة لم تثبت عن رسول الله ﷺ ، ووجدنا بعضا آخر رد قراءة ثابتة عنه ﷺ.

ومن هنا فإننا نستطيع أن نقول :إن البدع التى تتعلق بالقراءات صنفان:

١-استحداث قراءة ليس لها سند صحيح.

٢-رد قراءة نزل بها جبريل الأمين ، من عند الله تعالى على قلب رسول الله ﷺ :

ومن أمثلة النوع الأول:

ما قرئ في قوله تعالى :" فإذا فرغت فانصب" [٤٨]

فقد روى عن بعض الرافضية أنه قرأ (فانصِب) بكسر الصاد ، ويقصد بذلك عليا للإمامة.

ولا شك أن هذه القراءة – من الرافضة ، مرفوضة لعدم ورودها من طريق صحيح.

ثم لماذا لا تكون القراءة ضدهم ، لا لهم !!! حينما يأتي إنسان ما ويؤولها لصالحه، ويجعل فانصب أمرا بالنصب ، الذى هو عداوة على وكراهته ، ولذلك يقول الزمخشرى :

---

٤٨ - سورة الشرح : ٧

أن نقرأ هكذا ، ونجعله أمرا بالنصب

"من البدع ما روى عن بعض الرافضة أنه قرأ فانصب ، بكسر الصاد ، أى فانصب عليا للإمامة ولو صح هذا لرافضي لصح للناصبي، الذى هو بغض على وعداوته."[٤٩]

ومن أمثلة هذا النوع أيضا : ما قرأه بعض المعتزلة فى قوله تعالى **(من شرٍ ما خلق)**.[٥٠]

بتنوين شر، وجعل (ما) نافية، ويقصدون بذلك أنهم يستعيذون برب الفلق ، من شر لم يخلقه هو ، بل خلقه فاعله ، وذلك طبقا لمذهبهم الاعتزالى " العبد يخلق فعله " ، ولاشك أن هذا إلحاد فى القرآن الكريم، ولذلك يقول صاحب البدع عن هذا التفسير:

"وهذا تحريف آثم يهوى بصاحبه فى النار ، نسأل الله السلامة والعافية."[٥١]

ومن أمثلة هذا النوع أيضا: قراءة **(بل متعت هؤلاء وآباءهم)**[٥٢]

بفتح التاء ، ولقد حاول الزمخشرى أن يوجهها توجيها صحيحا فخالفه الصواب، حيث إنها قراءة شاذة، ثم إن توجيهه كان توجيها أقل ما يوصف به أنه توجيه باطل ، واستمع إليه وهو يقول:

" فإن قلت ما وجه قراءة من قرأ متعت بفتح التاء ؟

قلت : كأن الله تعالى اعترض، على ذاته فى قوله تعالى **(وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون)**[٥٣]

---

٤٩ - بدع التفاسير : ١٤٧ ، ١٤٨ .

٥٠ - الفلق : ٢.

٥١ - بدع التفاسير : ١٤٨ .

٥٢ - الزخرف : ٢٩.

٥٣ - الزخرف : ٢٨.

فقال : بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر ، والسعة في الرزق ، حتى شغلهم ذلك عن التوحيد ، وأراد بذلك الإطناب في تعييرهم.[54]

وعلى هذه القراءة الشاذة يعلق صاحب البدع فيقول : "القراءة المشار إليها شاذة ،وتوجيهها بما ذكره قبيح ، وكيف يعترض الله على ذاته ؟ وقد أغنانا الله بالقراءة المتواترة المعروفة عن هذا التوجيه الذى هو أقبح من بدع التفاسير."[55]

هذا بالنسبة للنوع الأول ، والخاص باستحداث قراءة لم ترد عن النبى ﷺ.

أما بالنسبة للنوع الثانى : وهو رد القراءة الصحيحة:

فمن أمثلته:

أن بعضهم رد قراءة حمزة – أحد القراء السبعة – لقوله تعالى:(**واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام**)[56] بجر الأرحام ، وكان أول من شنع على حمزة أبا العباس المبرد ، وسار فى ركابه جماعة ، منهم ابن عطية وغيره، وهذا الرد منهم مردود.

ويكفى فى رده أن هذه القراءة ثبتت بطريق التواتر عن النبى ﷺ ، وهذا وحده كاف فى الرد على من ردها ، أيا كان أمره ، وأيا بلغ قدره فى العربية، فالعربية تؤخذ من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة ، فالرسول ﷺ أفصح من نطق بالعربية – وإن كانت ألفاظ القرآن وقراءته لها ليست من تلقاء نفسه ، وإنما بتوقيف من الله تعالى.

---

٥٤ - بدع التفاسير :١٢٦/١٢٧.

٥٥ - المصدر الأسبق :١٢٧

٥٦ - النساء : ١

ثم إن الذى جعلهم يردون هـــذه القـــراءة مســايرتهم لمذهـــب البصريين ، فى قاعدة العطف ، حيث قالوا :

إن الضمير المجرور لا يعطف عليه إلا بإعادة الجار له ، نحـــو مررت بك وبزيد ، ولايجوز مررت بك وزيد [٥٧]، ولكن هذا ليس محل اتفاق بين النحاة ، فقد أجاز الكوفيون مثل هذا العطف .

ونظرا لوروده فى النثر والنظم فقد مال إليه ابن مالك حيث يقول:

وعود خافض لدى عطف على ضمـــير خفض لازما قد جعلا

وليس عندى لا زما إذ قد أتى فى النظم والنثر الصحيح مثبتا

ويشرح ابن عقيل هذين البيتين فيقول:

"أى جعل جمهور النحاة إعادة الخافض إذا عطف على ضمـــير الخفض لا زمة ، ولا أقول به، لورود السماع نثرا و نظما . بـــالعطف على الضمير المخفوض ، من غير إعادة الخافض .

فمن النثر قراءة حمزة(واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام)- بجر الأرحام – عطفا على الهاء المجرورة بالباء.

ومن النظم ما أنشده سيبويه – رحمه الله تعالى :-

فاليوم قد بت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والأيام من عجب

بجر الأيام ، عطفا على الكاف المجرورة بالباء.[٥٨]

ويرد الإمام القشيرى على هذا الرأى برد يقوم على دعامتين :

١-إحداهما أن القراءة جاءت عن الرسول ﷺ وهذه القراءة أخذت عـــن الرسول ﷺ بطريق التواتر .

٢-الدعامة الثانية: أن العربية تؤخذ عن الرسول ﷺ.

---

٥٧ - انظر شرح ابن عقيل : ٢٥٢ .

٥٨ - المصدر السابق ، نفس الصفحة.

واستمع إليه وهو يرد على من رد هذه القراءة المتواترة :

يقول رحمه الله :

" ومثل هذا الكلام مردود عند أئمة الدين ، لأن القراءات التـــي قرأ بها أئمة القراء ثبتت عن النبى ﷺ تواترا يعرفه أهل الصنعـــة ، وإذا ثبت شئ عن النبى ﷺ فمن رد ذلك فقد رد علـــى النبـي ﷺ واستقبح ما قرأ به ، وهذا مقام محذور، ولا يقلد فيه أئمة اللغة والنحـو، فإن العربية تتلقى من النبى -صلى الله عليه وسلم - ولايشك أحد فـــي فصاحته.(٥٩)

وللعلامة الآلوسى رحمه الله تعالى كلام طيب فى الرد على مـن رد قراءة حمزة ، يقول - رحمه الله :

" وأول من شنع على حمزة فى هذه القراءة أبو العباس المبرد ، حتى قال: لا تحل القراءة بها ، وتبعه فى ذلك جماعة منهم ابن عطية.

إلى أن يقول : وأنت تعلم أن حمزة لم يقرأ كذلك من نفسه ولكن أخـــذ ذلك - بل جميع القرآن - عن سليمان بن مهران الأعمش ، والإمام ابن أعين ، ومحمد بن أبى ليلى ، وجعفر بن محمد الصادق ، وكان صالحا، ورعا ، ثقة فى الحديث ، من الطبقة الثالثة.

وقد قال الإمام أبو حنيفة ، والثورى ، ويحيى بن آدم فى حقـــه: غلب حمزة الناس على القراءة والفرائض .

وأخذ عنه جماعة ، وتتلمذوا عليه ، منهم إمام الكوفة - قـــراءة وعربية - أبو الحسن الكسائى ، وهو أحد القراء السبع ، الذيـــن قـــال أساطين الدين : إن قراءتهم متواترة عن رسول الله ﷺ. ومع هذا لـــم يقرأ بذلك وحده ، بل قرأ به جماعة من غير السبعة ، كابن مســـعود ،

---

٥٩ - نقلا عن تفسير القرطبي :٤/٥.

وابن عباس ، وإبراهيم النخعي ، والحسن البصري ، وقتادة ، ومجاهد ، وغيرهم ، كما نقله ابن يعيش .

فالتشنيع على هذا الإمام فى غاية الشناعة ، ونهاية الجسارة والبشاعة ، وربما يخشى منه الكفر.

وما ذكر من امتناع العطف على الضمير المجرور هو مذهب البصريين ، ولسنا متعبدين باتباعهم.

وقد أطال أبو حيان فى البحر الكلام فى الرد عليهم ، وادعى أن ما ذهبوا إليه غير صحيح ، بل الصحيح ما ذهب إليه الكوفيون من الجواز ، وورد ذلك فى لسان العرب نثرا ، ونظما ، وقد ذكر بعضهم أن قول الشخص لآخر: " أسألك بالرحم أن تفعل كذا " ليس الغرض منه سوى الاستعطاف ، وليس هو كقول القائل " والرحم لأفعلن كذا، ولقد فعلت كذا " فلا يكون متعلق النهى فى شئ ، والقول بأن المراد هـهنا حكاية ما كانوا يفعلون فى الجاهلية لايخفى ما فيه ، فافهم !!!

وقد خرج ابن جنى هذه القراءة على تخريج آخر ، فقال فى الخصائص:

باب فى أن المحذوف إذا دلت الدلالة عليه كان فى حكم الملفوظ به.

من ذلك : *رسم دار وقفت فى طلله *

أى رب رسم دار ، وكان رؤبة إذا قيل له كيف أصبحت ؟

يقول : خير عافاك الله تعالى ، أى بخير ، ويحذف الباء ؛ لدلالة الحال عليها ، وعلى نحو من هذا تتوجه عندنا قراءة حمزة.

وفى شرح المفصل : أن الباء فى هذه القراءة محذوفة ؛ لتقدم ذكرها ، وقد مشى على ذلك أيضا الزمخشرى ، فى أحاجيه.

وذكر صاحب الكشف أنه أقرب من التخريج الأول عند أكثر البصرية ، ولثبوت إضمار الجار فى نحو: الله لأفعلن، وفى نحو: ما مثل عبد الله ولا أخيه يقولان ذلك . والحمل على ما ثبت هو الوجه [٦٠]

مثال آخر – ومن الأمثلة أيضا – والخاصة برد قراءة صحيحة: ما ارتكبه الزمخشرى بشأن قراءة ابن عامر فى قوله تعالى :

(وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم)[٦١]

برفع القتل، ونصب الأولاد ، وجر الشركاء ، على إضافة القتل إلى الشركاء، والفصل بين المضاف والمضاف إليه ، حيث قال :

"إن الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف لوكان فى مكان الضرورات– وهو الشعر – لكان سمجا مردودا ، كما سمج ورد:

*** زج القلوص أبى مزادة ***

فكيف به في الكلام المنثور ؟ فكيف به فى القرآن المعجز ، بحسن نظمه وجزالته ؟

ثم يقول عن ابن عامر :

"والذى حمله على ذلك : أنه رأى فى بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء، ولو قرئ بجر الأولاد والشركاء لأن الأولاد شركاؤهم فى أموالهم لوجد فى ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب.[٦٢]

ولاشك أن ما قاله الزمخشرى فى هذا المقام قد جانبه فيه التوفيق ، هذا أقل ما يوصف به كلامه ، فالمعروف – كما سبق أن قلنا – أن القراءات إنما تؤخذ عن الرسول ﷺ، وما دام الأمر كذلك فلا اجتهاد منا ، ولا اعتراض.

---

٦٠ - تفسير الألوسي : روح المعاني : ١٨٤/٤ - ١٨٥ .

٦١ - الأنعام : ١٣٧

٦٢ - الكشاف للزمخشري : ٥٢/٢ .

فالقراءات ليست محلا للاجتهاد ، ولا موطنا لإعمال أهل اللغة ، يدرك هذا من له أدنى دراية بعلم الأصول .

ومن ثم فقد شنع ابن المنير السكندرى على الزمخشرى واتهمه بالجهل بعلم القراءات ، والأصول ، وعليه فلا يجوز له الخوض فيما ليس له به علم .

واستمع إليه فى هذه المناقشة الهادئة، الهادفة ، المفحمة حيث يقول : "لقد ركب المصنف فى هذا الفصل متن عمياء ، وتاه فى تيهاء ، وأنا أبرأ إلى الله ، وأبرئ حملة كتابه وحفظة كلامه مما رماهم به ، فإنه تخيل أن القراء - أئمة الوجوه السبعة - اختار كل منهم حرفا قرأ به اجتهادا ، لانقلا وسماعا ، فلذلك غلط ابن عامر فى قراءته هذه ، وأخذ يبين أن وجه غلطه رؤيته الياء ثابتة فى شركائهم ، فاستدل بذلك على أنه مجرور ، وتعين عنده نصب أولادهم بالقياس ، إذ لا يضاف المصدر إلى أمرين معا ، فقرأه منصوبا.

قال المصنف: وكانت له مندوحة عن نصبه إلى جره بالإضافة ، وإبدال الشركاء منه ، وكان ذلك أولى مما ارتكبه- يعنى ابن عامر - من الفصل بين المضاف والمضاف إليه ، الذى يسمج فى الشعر فضلا عن النثر ، فضلا عن القرآن المعجز .

فهذا كله - كما ترى - ظن من الزمخشرى أن ابن عامر قرأ قراءته هذه رأيا منه ، وكان الصواب خلافه ، والفصيح سواه .

ولم يعلم الزمخشرى أن هذه القراءة - بنصب الأولاد ، والفصل بين المضاف والمضاف إليه - بها يعلم ضرورة أن النبى ﷺ قرأها على جبريل ، كما أنزلها عليه كذلك ، ثم تلاها النبى ﷺ على عدد التواتر ، من الأئمة ، ولم يزل عدد التواتر بيننا يتلونها ، ويقرءون بها،

خلفا عن سلف ، إلى أن انتهت إلى ابن عامر ، فقرأها أيضـــا ، كمـــا سمعها .

فهذا معتقد أهل الحق ، فى جميع الوجوه السبعة ، أنها متواترة ، جملة وتفصيلا ، عن أفصح من نطق بالضاد ﷺ

فإذا علمت العقيدة الصحيحة فلا مبالاة بعدها بقول الزمخشرى ، ولا بقول أمثاله ، ممن لحن ابن عامر ، فإن المنكر عليه إنما أنكر مـــا ثبت أنه براء منه قطعا وضرورة.

ولولا عذر أن المنكر ليس من أهل الشأنين – أعنى علم القراءة، وعلم الأصول ، ولا يعد من ذوى الفنيين المذكوريــــن لخيـــف عليـــه الخروج من ربقة الدين .

وإنه على هذا العذر لفى عهدة خطرة ، وزلة منكرة ، تزيد على زلة من ظن أن تفاصيل الوجوه السبعة فيها ماليس متواترا ، فإن هـــذا القائل لم يثبتها بغير النقل ، وغايته أنه ادعى أن نقلها لايشـــترط فيـــه التواتر ، وأما الزمخشرى فظن أنها تثبت بالرأى ، غير موقوفة علـــى النقل !! ، وهذا لم يقل به أحد من المسلمين .[٦٣]

---

٦٣ - الإنصاف على هامش الكاشف :٢/٥٥ .

الفصل الثانى

الدخيل عن طريق
الفرق المبتدعة

المبحث الأول : الدخيل عن طريق الشيعة.

المبحث الثانى: الدخيل عن طريق الخوارج.

المبحث الثالث: الدخيل عن طريق المعتزلة.

تمهـــــــيد

كان مقتل سيدنا عثمان ﷺ وأرضاه ، نقطة تحول فى تـاريخ الأمة الإسلامية ، فعلى أثر مقتله ظهرت على الساحة الإسلامية عدة فرق ، كل منها تدعى أنها على الحق ، وأن غيرها على الكفر .

ونتيجة لهذا المعتقد فسرت كل فرقة الآيات القرآنية بما يساير مبادئها ويخدمها ، أو على الأقل لا يتعارض معها .

فنتج عن هذا التفسير دخيل كثير ، ونحن فـى هـذا المقـام سنختار ثلاث فرق كان لها دور بارز فى تفسير القـرآن الكريـم ، وشيوع الدخيل بين المسلمين.

وهذه الفرق الثلاث هى :- ١- الشيعة

٢- الخوارج

٣- المعتزلة

وهذه كلمة قصيرة عن كل فرقة ، وبعض نماذج من الدخيـل عن طريقها .

المبحث الأول

الدخيل عن طريق الشيعة

المراد بالشيعة هم أولئك الذين شايعوا عليا وذريته وأهل بيته، وادعوا أن علي بن أبى طالب ﷺ هو الأحق بالخلافة بعد الرسول ﷺ مباشرة ، ولا تخرج عنه فى حياته ، ولا عن أبنائه بعد موته .

وقد ظهرت تلك الفرقة فى آخر عهد عثمان ﷺ ، فلما كان عهد على ﷺ ظهروا على الساحة بشكل واضح ، ونما عددهم واتسعت رقعتهم .

فلما كان العهد الأموى ، وكثر الظلم من الأمويين على العلويين ، وتحركت شفقة الناس على العلويين ، كان هذا الظلم سببا فى اتساع المذهب الشيعى .

ورغم أن الشيعة انقسموا على أنفسهم إلى عدد من الفوق إلا أنهم جميعا يكادون يتفقون على مبدأ واحد وهو - كما يقول ابن خلدون :-

" إن الإمامة ليست من مصالح العامة التى تفوض إلى نظر الأمة ، ويعين القائم بها بتعيينهم ، بل هى ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز للنبى إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة ، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ، ويكون معصوما من الكبائر والصغائر وأن عليا ﷺ هو الذى عينه رسول الله ﷺ (١)

ويأتى على رأس الفرق الشيعية فرقتان :-

---

١ - مقدمة ابن خلدون ٢١٨

١- الزيدية ٢-والإمامية (الاثنا عشرية والإسماعيلية)

أما الزيدية فهم أتباع زيد بن على بن الحسين رضى الله عنهم، الذى تمرد على الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك ، طمعاً فى استرداد الخلافة فخذله أتباعه، فقتل وصلب ، ثم أحرق جسده.

وكانت الزيدية ترى أن النبى ﷺ عرَّض بالإمامة لعلى ﷺ.

أما الإمامية فيرون أن النبى ﷺ قد نص على إمامة علىّ نصاً واضحاً ظاهراً ، لا معرضاً ، ويحصرون الإمامة بعد علىّ فى ولده من فاطمة رضى الله عنهم أجمعين .

وقد انقسم الإمامية إلى عدة فرق ، أبرزها :

أ-الإمامية الاثنا عشرية ب- والإمامية الإسماعيلية

أما الإمامية الاثنا عشرية فسموا بذلك نسبة إلى الإمام الثانى عشر محمد المهدى المنتظر ، الذين يدعون أنه دخل سرداباً فى دار أبيه ولم يعد بعد ، وإنما سيخرج آخر الزمان ، ليملأ الكون عدلاً وأمناً ، بدلا من الظلم والخوف .

أما الإسماعيلية فينسبون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق.

أمثلة من الدخيل فى التفسير
عن طريق المذهب الشيعى

قلنا إن الشيعة تفرقت فيما بينها شيعا و أحزابا ، وكل فرقة منها نظرت إلى القرآن نظرة تخدم مبادئها ، أو على الأقل لا تتصادم معها ، ومن أمثلة التفسير الذى تسلل إليه الدخيل عن طريق الإمامية الاثنى عشرية ما يلى:[٢]

---

[٢] - انظر فى ذلك : التفسير والمفسرون : ٢٨/٢ وما بعدها .

١- فى قوله تعالى (**لتركبن طبقاً عن طبق**) الانشقاق : ١٩

قالوا : فيه إشارة إلى أن هذه الأمة ستسلك سبيل من كان قبلها من الأمم فى الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء.

٢- فى قوله تعالى (**قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله**) يونس:١٥

قالوا : إن الضمير فى (أو بدله) لعلى بن أبى طالب ، رغم أن علياً لم يسبق له ذكر ، ولم يكن سياق الكلام فى شأن خلافته وولايته.

٣- بل إن الأمر وصل بهم إلى حد الزيادة فى الألفاظ القرآنية ، ومن أمثلة ذلك :

أنهم زادوا فى قوله تعالى (**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**) المائدة:٦٧ زادوا "فى شأن على" وهى زيادة باطلة موضوعة مكذوبة ، لم ترد إلا فى زعمهم.

٤- روى العياشى عن الباقر أنه قال : لما قال النبى ﷺ "اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب ، أو بعمرو بن هشام أنزل الله (**وما كنت متخذ المضلين عضداً**) الكهف:٥١

٥- جاء فى أصول الكافى : فى قوله تعالى : (**إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً**) النساء"١٣٧"

إن هذه الآية نزلت فى أبى بكر وعمر وعثمان ، آمنوا بالنبى أولاً، ثم كفروا ، حيث عرضت عليهم ولاية على ، ثم آمنوا بالبيعة لعلي، ثم كفروا بعد موت النبي، ثم ازدادوا كفراً بأخذ البيعة من كل الأمة.[٣]

---

[٣] - الوشيعة في نقد عقائد الشيعة لموسى جار الله ، نقلاً عنه ، نقلاً عن أصول الكافي : ٣/٣٢٥.

والحقيقة أنه لولا الإطالة لأتيت بأمثلة كثيرة ، لهذا التفسير المنحرف الذي ما دفع إليه إلا الاعتقاد الباطل في علي ﷺ ، ولكن الذي ينبغي الانتباه إليه أن الشيعة – لكي تروج مبادئها تلك – استخدمت عدة وسائل ، وكان على رأس هذه الوسائل ادعاء أن القرآن له ظهر وبطن ، وأحيانا يقولون بالظاهر والباطن معا ، وأحيانا ينفون الظاهر ، ويقولون إن المراد هو الباطن فقط لأنه يتمشى مع مبادئهم ومعتقداتهم .

وهم بهذا المبدأ فتحوا مجالات كثيرة للدخيل والفرق المنحرفة قديما وحديثا ، والتي سنتعرض لبعضها قريبا ، كالباطنية قديما ، والقاديانية والبهائية حديثا.

المبحث الثانى

الدخيل عن طريق الخوارج

نشأت هذه الفرقة بسبب التحكيم الذى كان بين على ومعاوية رضى الله عنهما ، بشأن من أحق بالخلافة منهما .

ذلك أنه قامت عدة حروب بين على ومعاوية ، وكان لكل منهما أنصاره ومشايعوه، وكانت الغلبة فيها دائما لعلى وجنده ، إلى أن جاءت موقعة صفين فكاد جيش معاوية يهزم هزيمة لا قائمة له بعدها ، فلجأ معاوية إلى دهائه ، فرفع المصاحف على أسنة الرماح، طالبا وقف القتال ، والتحكيم بين الحزبين.

حينئذ آثر على ﷺ - بعد مشورة وأخذ ورد - قبول التحكيم، رغبة منه في عدم إراقة الدماء ، لعل الله يجمع بهذا التحكيم كلمة الأمة ، ويوحد صفوفها.

ولكن جماعة من أصحاب على ﷺ رفضوا هذه الفكرة وخرجوا على على، ولم يقبلوا الرجوع إليه إلا إذا كفر نفسه ، ونقض الشروط التي بينه وبين معاوية .

ولما يئسوا من رجوع على إليهم خرجوا إلى "حروراء" قرية قريبة من الكوفة ، ووقعت بينهم وبين على عدة حروب ، هزمهم فيها كلها دون استئصال شأفتهم ، فدبروا له مؤامرة لقتله ، حيث قتله عبد الرحمن بن ملجم .

وكان لهم وجود قوي أيام الأمويين حيث كانوا يشكلون شوكة قوية في ظهرهم ، فحاربهم الأمويون ، حتى كادوا يقضون عليهم ، ثم كان عهد العباسيين ، فنشبت الحروب بين الفريقين حتى تفرقت

كلمة الخوارج ، وضعفت قوتــهم ، وخــار سـلطانهم ، وتعـددت جماعاتهم ، فصاروا شيعا وأحزابا ، حتى وصلوا إلى عشرين حزبا.

ورغم أن هذه الأحزاب العشرين كانت متباينة في العقيدة والمبـدأ إلا أنها كانت تتفق على أمرين:

الأمر الأول : تكفير علي وعثمان والحكمين ، وأصحـاب الجمـل ، وكل من رضي أو شارك في التحكيم.

الأمر الثاني : وجوب الخروج على السلطان الجائر .

وهناك أمر ثالث يعتقد به معظم هذه الأحزاب وهو تكفير مرتكـب الكبيرة.

ونحن هنا لا نريد ذكر مبادئ تلك الأحزاب ومناقشتها ولكـن نريد ذكر ما يتعلق بتفسيرهم للقرآن الكريم ، وذكر نماذج من الدخيل عن طريق معتقداتهم .

المذهب هو الأصل والتفسير هو الفرع

المتأمل في تاريخ الخوارج وكتبهم ، يرى حقيقة واضحة تمام الوضوح ألا وهي : أن هؤلاء الخـوارج – كالشـيعة والمعتزلـة وغيرهم – جعلوا عقيدتهم ومبادئهم نصب عينهم ، في المقام الأول ، أما التفسير فيأتي في المرتبة التالية ، وهو بمنزلة الفـرع أو التـابع للمذهب ، مع أن المفروض أن يكون المبدأ تبعا للتفسـير الصحيـح للنص القرآني .

وبناء على هذا الوضع المعكوس جاءت تفاسيرهم ، و من أمثلة التفاسير الدخيلة ، تلك التفاسير التي تدعي أن مرتكب الكبيرة كافر، ومنها ما يلي[4]

١-في قوله تعالى (**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين**) آل عمران :٩٧.

قالوا : إن الله تعالى جعل تارك الحج كافرا .

٢-في قوله تعالى (**يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون**) (آل عمران : ١٠٦) قالوا: الفاسق لا يجوز أن يكون ممن ابيضت وجوههم ، فوجب أن يكون ممن اسودت ، ووجب أن يسمى كافرا، لقوله تعالى (**بما كنتم تكفرون**)

٣-في قوله تعالى : (**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين**) (الحجر :٤٢) قالوا : إن الغاوي الذي يتبع الشيطان يكون مشركا ، بدليل قوله تعالى في سورة النحل الآية: ١٠٠ (**إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون**).

٤-في قوله تعالى (**هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن**) (التغابن:٢) قالوا : هذا يقتضي أن من لا يكون مؤمنا فهو كافر، والفاسق ليس بمؤمن ، فوجب أن يكون كافرا.

٥- في قوله تعالى (**وجوه يومئذ مسفرة ، ضاحكة مستبشرة ، ووجوه يومئذ عليها غبرة ، ترهقها قترة ، أولئك هم الكفرة**

---

[4] - انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٢/٣٠٧ ، ٣٠٨ .

الفجرة) (عبس:٣٨-٤٢) قالوا: الفاسق على وجهه غبرة ، فوجب أن يكون من الكفرة الفجرة .

وهكذا تأتي تفاسير الخوارج تكفر مرتكب الكبائر مع أن النصوص الشرعية تبين أن مرتكب الكبائر ليس بكافر ، وأنه مفوض إلى مشيئة الله تعالى إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عذبه ، وأن هذا العذاب لن يكون على سبيل التخليد ، وحديث الشفاعة مشهور ، وهو في الصحيحين ، فما الغرض من الشفاعة لصاحب الذنب إذا كان قد تاب في دنياه وقبل الله توبته.

وفي سورة الحجرات يصف الله المتقاتلين بالإيمان ، ولا يرفعه عنهم فيقول **(وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما)** .

ولما أرسل حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بقدوم رسول الله ﷺ أنزل الله سورة الممتحنة ، وفي صدرها يخاطبه الله بصفة الإيمان فيقول **(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء)** .

ولما أراد عمر بن الخطاب أن يقتله بحجة أنه منافق ، دافع عن نفسه أمام رسول الله ﷺ ، بأنه ما فعل ما فعل نفاقا منه أو تكذيبا بما جاء به النبي ﷺ ، ولكن لأنه أراد أن يكون له عند قريش يد يحمون بها قرابته التي تعيش في مكة لو أن أصحاب رسول الله ﷺ أرادوا بهم سوءا حين فتح مكة ، فصدقه رسول الله ﷺ ، وقال قولته المشهورة " لعل الله اطلع على أهل بدر وقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم" والحديث في الصحيحين.

المبحث الثالث

الدخيل عن طريق المعتزلة

يذهب أكثر العلماء إلى أن سبب نشأة هذه الفرقة ما حدث في مجلس الحسن البصري رحمه الله ، الذي كان يمثل سيد التابعين في زمانه.

حيث كان له مجلس زاخر بالعلم وطلابه ، ومن أبرزهم واصل بن عطاء ، فبينما الحسن منشغل بدرس العلم ، إذا برجل يدخل على الحسن ويخبره عن ظهور جماعتين ، إحداهما تكفر مرتكب الكبيرة (وهم أكثر الخوارج) والأخرى تتساهل في الكبائر تساهلا شديدا ، حيث تقول : لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة (وهم المرجئة) ثم سأله عن رأيه في تلك المسألة.

وقبل أن يجيب الحسن بادره واصل بن عطاء بالإجابة فقال: هو في منزلة بين المنزلتين ، أي ليس مؤمنا على الإطلاق ، ولا كافرا على الإطلاق ، ثم اعتزل المجلس بجوار اسطوانة من اسطواناته، فقال الحسن: اعتزلنا واصل .

ثم التف جماعة حول واصل ، مقتنعين برأيه ، فأطلق على واصل ومن معه اسم المعتزلة.

قال البغدادي : سموا معتزلة :" لاعتزالهم قول الأمة في دعواها أن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر".(*)

---

* – الفرق بين الفرق :١٨

وقال البغدادي أيضاً: " إن المعتزلة افترقت فيما بينها عشرين فرقة، كل فرقة منها تكفر سائرها " ثم ذكر أسماءها.

إلى أن قال: " يجمعها كلها في بدعتها أمور " ، ومن هذه الأمور التي ذكرها قولهم باستحالة رؤية الله عز وجل ، وقولهم إن الفاسق في منزلة بين المنزلتين ، وقولهم إن كل ما لم يأمر الله تعالى به أو نهى عنه من أعمال العباد لم يشأ الله شيئاً منها."[٦]

---

[٦] - المصدر السابق : ٦٧-٦٩.

نماذج من الدخيل عن طريق المعتزلة

ومن أمثلة الدخيل في تفسير المعتزلة الذي يساير معتقداتهم :

١- أعطى المعتزلة العقل البشري سلطانا رهيبا ، ومنزلة فوق منزلته ، بل إن الزمخشري عبر عن العقل بالسلطان ، حيث قال : "امش في دينك تحت راية السلطان ، ولا تقنع بالرواية عن فلان وفلان" فما الأسد المحتجب في عرينه أعز من الرجل المحتج على قرينه ، وما العنزاء الجرباء تحت الشمال البليل أذل من المقلد عند صاحب الدليل"[٧]

ومن أجل ذلك قالوا بمبدأ الحسن والقبح العقليين ، وأن العقل كاف عن إرسال الرسل ، أما الرسل فإنما جاؤوا كمنبهين للإنسان من غفلته .

واستمع إلى الزمخشري وهو يفسر - في ضوء هذا المبدأ - قوله تعالى **(رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)** (النساء: ١٦٥) حيث يقول :(فإن قلت : كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل، وهم محجوجون بما نصبه الله من الأدلة التي النظر فيها موصل إلى المعرفة ، والرسل في أنفسهم لم يتوصلوا إلى المعرفة إلا بالنظر في تلك الأدلة ، ولاعرف أنهم رسل الله إلا بالنظر فيها ؟

قلت : الرسل منبهون عن الغفلة ، وباعثون على النظر ، كما ترى علماء أهل العدل والتوحيد (يقصد المعتزلة) مع تبليغ ما

---

٧ - أطواق الذهب في المواعظ والخطب الزمخشري ، مقالة ٣٧ ص : ١١٠ بعنوان ذم التقليد ، ط دار الفضيلة.

حملوه من تفضيل أمور الدين ، وبيان أحوال التكليف ، وتعليم الشرائع ، فكان إرسالهم إزاحة للعلة ، وتتميما لإلزام الحجة ، لئلا يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة ، وينبهنا لما وجب الانتباه له)[8]

ولا شك أن المعتزلة في هذا المبدأ مخطئون ، ومحجوجون بصريح القرآن الكريم ، في مثل قوله تعالى (**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**) (الإسراء :١٥)

٢- و من مبادئ المعتزلة أيضا قولهم إن الجن لا تتسلط على الإنس مطلقا، وأن أقصى شئ يفعلونه معهم هو الوسوسة فقط .

وفي ضوء هذا المبدأ وجدناهم يفسرون الآيات التي تتعوض لمثل هذا ، ومن أمثلة ذلك:

(أ) ما ذكره الزمخشري في آية الربا ، (**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس**) (البقرة:٢٧٥)

حيث يقول : (لا يقومون) إذا بعثوا من قبورهم (**إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان**) أي المصروع ، وتخبط الشيطان من زعمات العرب ، يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع، فورد على ما كانوا يعتقدون، والمس الجنون ، ورجل ممسوس ، وهو أيضا من زعماتهم ، وأن الجني يمسه فيختلط عقله ، وكذلك جن الرجل ، معناه : ضربته الجن ، ورأيتهم لهم في الجن قصص وأخبار وعجائب ، وإنكار ذلك عندهم كإنكار المشاهدات.[9]

---

٨ - الكشاف : ٥٩١/١.

٩ - الكشاف : ٣٢٠/١

(ب) وفي تفسير قصة مريم في سورة آل عمران ، عند قوله تعالى (**وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم**) الآية:٣٦ يقول الزمخشري .

وما يروى من الحديث (ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد ، فيستهل صارخا من مس الشيطان إياه ، إلا مريم وابنها) فالله أعلم بصحته، فإن صح فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها ، فإنهما كانا معصومين ، وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله تعالى (**لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين**) واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه، كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ، ويقول : هذا ممن أغويه"[١٠]

وهذا التفسير من الزمخشري وأمثاله من المعتزلة ، تفسير خاطئ مصادم للنصوص القرآنية والنبوية ، وصرف للحقيقة إلى المجاز ، بدون قرينة صارفة.

والحديث الذي ذكره موجود في الصحيحين في البخاري ومسلم وهما صحيحان ، ولا داعي للقول بالتخييل فالقول بالتخييل وسيلة ظاهرة من وسائلهم المستخدمة في تأويل الآيات التي تتصادم مع مبادئهم كما فعل الزمخشري في آية الكرسي وغيرها من الآيات التي تثبت لله كرسيا ، ويمينا ونحو ذلك .

والأحاديث في تسلط الشياطين على الإنس كثيرة ، ولذلك حذرنا الرسول ﷺ منها .

ومن هذه الأحاديث قوله عليه الصلاة والسلام :

---

١٠ - الكشاف :١/٣٥٧

"إذا استجنح الليل - أو كان جنح الليل - فكفوا صبيانكم ، إن الشياطين تنتشر حينئذ ، فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم" أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب(١١) وإلا فما فائدة كف الصبيان في هذا الوقت ؟

٣- ومن مبادئ المعتزلة أيضا عدم العفو على من لم يتب من ذنبه.

وفي ضوء هذا المبدأ يفسر الزمخشري قوله تعالى **(ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما)** النساء : ٩٣

حيث يقول : والعجب من قوم (يقصد أهل السنة) يقرؤون هذه الآية ويرون ما فيها ، ويسمعون هذه الأحاديث العظيمة وقول ابن عباس يمنع التوبة ، ثم لا تدعهم أشعبيتهم[١١] وطماعيتهم الفارغة، واتباعهم هواهم وما يخيل إليهم مناهم ، أن يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة ، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ؟"[١٢]

وهذا التفسير من المعتزلة تفسير دخيل ، معارض لصريح القرآن الذي يقول : **(إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)** (النساء: ٤٨ ، ١١٦)

٤- كذلك من مبادئ المعتزلة أيضا قولهم بعدم رؤية الله عز وجل في الآخرة.

وفي ضوء هذا المعتقد جاءت تفاسيرهم .

واستمع إلى الزمخشري وهو يفسر سورة القيامة والمطففين حيث يقول :

---

١١ - أشعب اسم رجل كان طماعا ، ضرب به المثل في الطمع حيث قالوا "أطمع من أشعب"

١٢ - الكشاف : ١/٥٥١

(أ) في قوله تعالى (**وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة**)

تنظر إلى ربها خاصة ، لا تنظر إلى غيره ، وهذا معنى تقديم المفعول ، ألا ترى إلى قوله (**إلى ربك يومئذ المستقر**) (**إلى ربك يومئذ المساق**) (**وإلى الله تصير الأمور**) (**وإليه ترجعون**) (**عليه توكلت وإليه أنيب**) كيف دل فيها التقديم على الاختصاص ، ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر ، ولا تدخل تحت العدد ، في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم ، فإن المؤمنين نظارة ذلك اليوم ، لأنهم الآمنون ، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورا إليه محال ، فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص ، والذي يصح أن يكون من قول الناس ، أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي ، تريد معنى التوقع والرجاء .

إلى أن يقول : والمعنى : أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم ، كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه.[١٣]

وهكذا يحرف الزمخشري الكلم عن مواضعه ، ويفسر الرؤية هنا بمعنى التوقع والرجاء لكي لا تتصادم الآية مع مبدأ المعتزلة في نفي رؤية الله تعالى .

ولذلك علق ابن المنير على تفسيره هذا بقوله :

ما أقصر لسانه عند هذه الآية ، فكم له يدندن ويطبل في جحد الرؤية ، ويشقق القباء ، ويكثر ويتعمق ، فلما فغرت هذه الآية فاه صنع في مصادمتها بالاستدلال" إلى أن قال :

---

١٣ - الكشاف : ٦٦٢/٤

قوله (لو كان منظورا إليه) عدم كونه منظورا إليه تعالى مبني على مذهب المعتزلة ، وهو عدم جواز رؤيته تعالى . ومذهب أهل السنة جوازها ، ويجوز أن يكون تقديم المفعول هنا للاهتمام بذكر المنظور إليه ، الذي يقتضي النظر إليه نضرة وجوه الناظرين، لا للاختصاص.[14]

(ب) وفي قوله تعالى في سورة المطففين (**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**)

يتذرع الزمخشري بالتمثيل حتى ينفي رؤية الله تعالى ، فيقول:

"وكونهم محجوبين عنه تمثيل ، للاستخفاف بهم وإهانتهم ، لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للوجهاء المكرمين لديهم ، ولا يحجب عنهم إلا الأدنياء المهانون عندهم"[15]

فالزمخشري يفسر الآية هنا بأنها جاءت على سبيل التمثيل ، وأن المراد بالحجاب الاستخفاف بالكفار وإهانتهم ، وهذا - في نظره - لا يثبت الرؤية للمؤمنين ، وهذا منه تفسير باطل ، ما دفعه إليه إلا مسايرة معتقدة في نفى رؤية الله تعالى.

ولذلك عقب عليه ابن المنير السكندري بقوله :

هذا عند أهل السنة على ظاهره من أدلة الرؤية ، فإن الله تعالى لما خص الفجار بالحجاب ، دل على أن المؤمنين الأبرار مرفوع عنهم الحجاب ، و لا معنى لرفع الحجاب إلا الإدراك بالعين، وإلا فالحجاب على الله تعالى بغير هذا التفسير محال ، هذا هو الحق وما بعد الحق إلا الضلال".[16]

---

[14] - هامش الموضع السابق.

[15] - الكشاف : ٧٢٢/٤

[16] - هامش الموضع السابق .

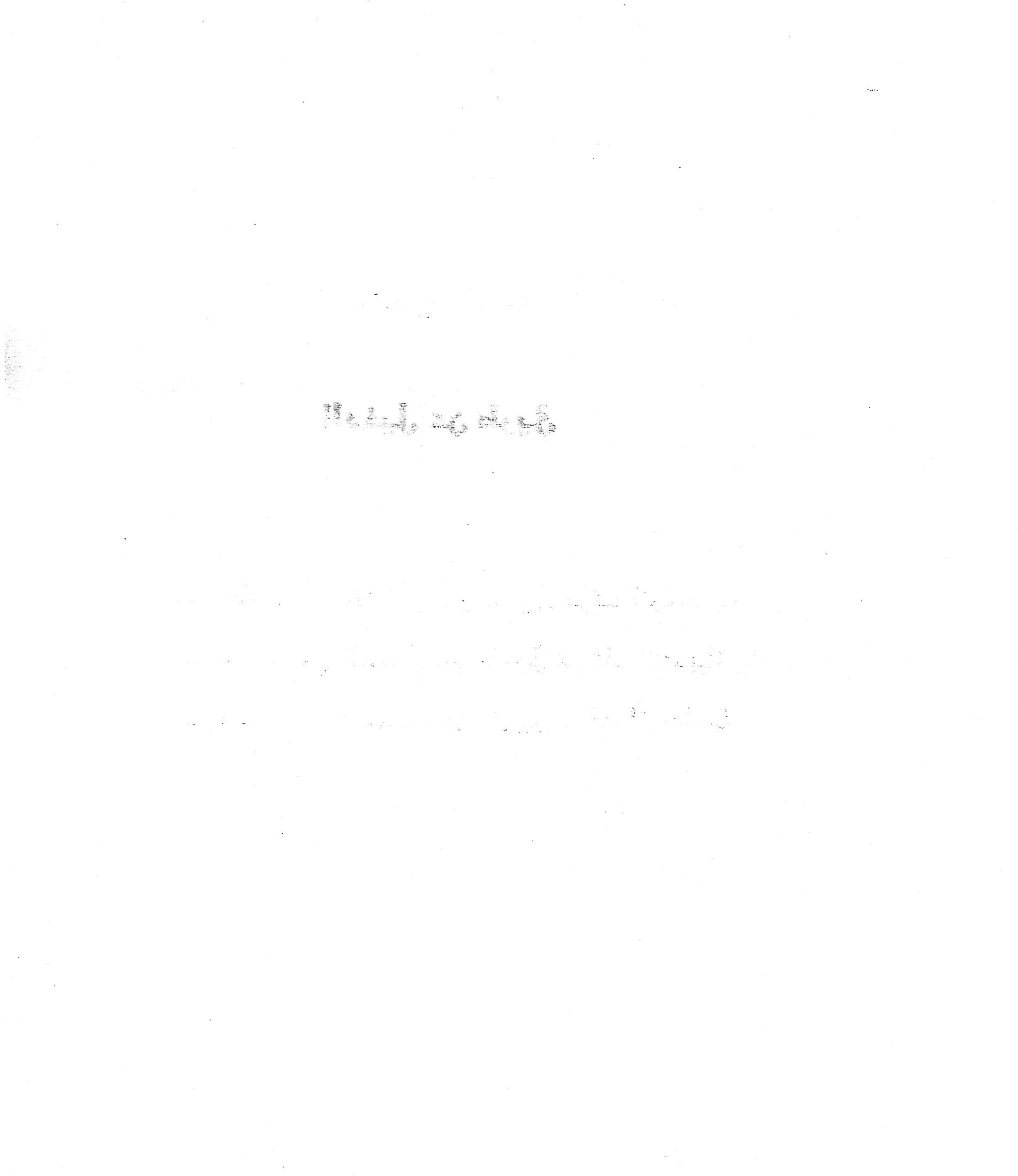
الفصل الثالث

الدخيل عن طريق
الإلحاد المتعمد في التفسير

المبحث الأول: الدخيل عن طريق فرقة الباطنية.

المبحث الثاني: الدخيل عن طريق فرقة القاديانية.

المبحث الثالث: الدخيل عن طريق فرقة البهائية.



تمهيد

النفاق سلاح بتار يستعمله الضعيف ضد القوي والجبان ضد الشجاع ، عرف هذا السلاح منذ العهد النبوي ضد الإسلام وأهله ، ولكن هؤلاء المنافقين ازدادت شراستهم ، ونما خبثهم بعد ذلك العهد النبوي ، ولا زال يزداد إلى يومنا هذا .

حيث تفتقت أذهان هؤلاء المنافقين عن تلك الحيلة الخبيثة ألا وهي ادعاء الإسلام ظاهراً ، واعتقاد الكفر باطناً .

وكان من وسائلهم الخبيثة ضد القرآن الكريم أنهم عمدوا إلى تفسيره تفسيراً يهدم العقيدة الإسلامية من أساسها ويفرغ الإسلام من روحه نهائياً.

وكان من أظهر هذه الفرق التي اتجهت هذا الاتجاه المنحرف في التفسير ، وأدخلت غي هذا المجال دخيلاً غاية في الخطورة فرقة الباطنية قديماً ، والقاديانية والبهائية حديثاً.

وسنتناول إن شاء الله تعالى كل فرقة من هذه الفرق الثلاث بإيجاز في مبحث مستقل لنقف على حقيقة تلك الفرق ، وكيفية تفسيرها للقرآن الكريم في ثلاثة مباحث على النحو التالي.

المبحث الأول

١ - تفسير الباطنية

والباطنية « اسم يطلق على جماعات متعددة من غلاة الشيعة ، كالاسماعيلية، والقرامطة، والخرمية، والرافضة »[١].

وإنما أطلق عليهم هذا الاسم : لاشتراكهم جميعا فى مبدأ التأويل الباطنى للنصوص الشرعية، ذلك أنهم «يدعون أن لظواهر القرآن والأحاديث بواطن تجرى من الظواهر مجرى اللب من القشر، وأنها بصورتها توهم الجهال صورا جلية، وهى عند العقلاء رموز وإشارات إلى حقائق خفية ، وأن من تقاعد عقله عن الغوص على الخفايا والأسرار، والبواطن، والأغوار، وقنع بظواهرها كان تحت الأغلال التى هى تكليفات الشرع، ومن ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف ، واستراح من أعبائه .

قالوا : وهم المرادون بقوله تعالى : ﴿ ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ﴾[٢].

ومرادهم أن ينزعوا من العقائد موجب الظواهر، ليقدروا بالتحكم بدعوى الباطل على إبطال الشرائع »[٣].

وإذا كانت هذه الجماعة قد اعتنقت ما اعتنقت، وأولت ما أولت فإن ذلك لم يكن بحسن نية، وإنما كان بسوء طوية، فقد كرهوا الإسلام، وحقدوا على رسول الله ﷺ ، فتظاهروا باعتناق الإسلام ليحاربوا

---

(١) الدخيل فى التفسير : د/ عبد الوهاب فايد ٢/ ٣٠-١ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ١٥٧ .

(٣) تلبيس إبليس : ٩٩ ط المنيرية .

الإسلام باسم الإسلام!!! مرتكبين فى ذلك أخبث الطرق، حتى يصل إلى ما أرادوا .

يحدثنا ابن الجوزى - رحمه الله - عن سبب اعتناقهم هذه البدعة الضالة المضلة، وعن مسلكهم الذى به يتحقق لهم ما ينشدون، فيقول :

« اعلم أن القوم أرادوا الانسلال من الدين، فشاوروا جماعة من المجوس، والمزدكية، والثنوية، وملحدة الفلاسفة فى استنباط تدبير يخفف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين عليهم، حتى أخرسوهم عن النطق بما يعتقدونه من إنكار الصانع، وتكذيب الرسل، وجحد البعث، وزعمهم أن الأنبياء ممخرقون[1] ومنمسون[2]، ورأوا أمر محمد ﷺ قد استطار في الأقطار، وأنهم قد عجزوا عن مقاومته فقالوا : سبيلنا أن ننتحل عقيدة طائفة من فرقهم، أذكاهم عقلا، وأسخفهم رأيا، وأقبلهم للمحالات، والتصديق بالأكاذيب، وهم الروافض، فنتحصن بالانتساب إليهم، ونتودد إليهم بالحزن على ما جرى على آل محمد من الظلم، والذل، ليمكننا شتم القدماء الذين نقلوا إليهم الشريعة.

فإذا هان أولئك عندهم لم يلتفتوا إلى ما نقلوا، فأمكن استدراجهم إلى الانخداع عن الدين.

فإن بقى منهم معتصما بظواهر القرآن، والأخبار، أوهمناه أن تلك الظواهر لها أسرار وبواطن، وأن المنخدع بظواهرها أحمق، وإنما الفطنة فى اعتقاد بواطنها.

ثم نبث إليهم عقائدنا، ونزعم أنها المراد بظواهرها عندكم. فإذا تكثرنا بهؤلاء سهل علينا استدراج باقى الفرق

---

(١) أي يكذبون ويموهون .

(٢) أى يلبسون الحق بالباطل.

ثم قالوا :

وطريقتنا أن نختار رجلا ممن يساعد على المذهب، ويزعم أنه من أهل البيت، وأنه يجب على كل الخلق كافة متابعته، ويتعين عليهم طاعته لكونه خليفة رسول الله ﷺ ، والمعصوم من الخطأ والزلل، من جهة الله عز وجل .

ثم لا نظهر هذه الدعوة على القرب من جوار هذا الخليفة، الذى وسمناه بالعصمة ؛ فإن قرب الدار يهتك الأستار، وإذا بعدت الشقة، وطالت المسافة فمتى يقدر المستجيب للدعوة أن يفتش عن حال الإمام أو يطلع على حقيقة أمره ؟

وقصدهم بهذا كله الملك، والاستيلاء على أموال الناس، والانتقام منهم، لما عاملوهم به من سفك دمائهم، ونهب أموالهم قديما.

فهذا غاية مقصودهم، ومبدأ أمرهم »[١].

متى ظهرت الباطنية؟ وكيف انتشرت؟

أما عن بدء ظهور هذه الفرقة : فيذكر أصحاب التواريخ أن دعوة الباطنية ظهرت أولا فى زمان المأمون، وانتشرت فى زمان المعتصم[٢].

ويحدثنا البغدادى عمن أسس هذه الفرقة، وعن كيفية انتشارها فيقول:

« إن الذين أسسوا دعوة الباطنية جماعة منهم «ميمون بن دَيْصان » المعروف بالقَدَّاح، وكان مولى لجعفر بن محمد الصادق، وكان من

---

(١) تلبيس إبليس : ١٠٢ ط المنيرية .

(٢) الفرق بين الفرق : ٢٨٤ ط دار المعرفة بيروت، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

الأهواز، ومنهم محمد بن الحسين الملقب بدندان.

اجتمعوا كلهم مع ميمون بن ديصان، فى سجن والى العراق، فأسسوا فى ذلك السجن مذاهب الباطنية.

ثم ظهرت دعوتهم بعد خلاصهم من السجن من جهة المعروف بدندان، وابتدأ بالدعوة فى ناحية تور، فدخل فى دينه جماعة من أكراد الجبل، المعروف بالبدين.

ثم رحل ميمون بن ديصان إلى ناحية المغرب، وانتسب فى تلك الناحية إلى عقيل بن أبى طالب، وزعم أنه من نسله. فلما دخل فى دعوته قوم من غلاة الرفض والحلولية منهم ادعى أنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق.

فقبل الأغبياء ذلك منهم، على جهل منهم بأن محمد بن إسماعيل بن جعفر مات ولم يعقب عند علماء الأنساب!!

ثم ظهر فى دعوته إلى دين الباطنية رجل يقال له «حَمْدان قِرْمِط» لقب بذلك لَقرْمطة فى خطه، أو فى خطوه[1] وإليه تنسب القرامطة.

ثم ظهر بعده فى الدعوة أبو سعيد الجنابى، وكان من مستجيبى حمدان، وتغلب على ناحية البحرين، ودخل فى دعوته بنو سنبر.

ثم ظهرت هذه الفتنة بالمغرب على يد سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان القداح.

وظهرت هذه الفتنة أيضا بأرض فارس، على يد مأمون، أخى حمدان قرمط.

ثم ظهرت الباطنية بأرض الديلم، على يد رجل يعرف بأبى حاتم، دخل أرض الديلم، واستجاب له جماعة من الديلم.

---

(١) قرمطة الخطا تابعها.

وظهر بنيسابور داعية لهم يعرف بالشعرانى. . »[1].

وهكذا لم تلبث هذه الفرقة منذ ظهورها حتى انتشرت فى كثير من البلاد، وإن كانت تتعرض بين الحين والحين إلى انكماش، وانحسار.

ومن أراد معرفة الخط البيانى لهذه الجماعة علوا وانخطاطا، قوة وضعفا، ظهورا وانكماشا فعليه بالكتب التى تتناول مثل هذه الفرق ككتاب تلبيس إبليس، والفرق بين الفرق، وفضائح الباطنية، ومشكاة الأنوار وغيرها.

صلة الباطنية بالمجوس

من ينظر فى تاريخ الباطنية، ويمعن النظر فى مبادئها وتعاليمها يدرك -دون عناء- أن هناك اتصالا قويا بينها وبين المجوسية.

فقد أول دعاتها أصول الدين، وأحكام الشريعة، تأويلا يؤدى فى النهاية إلى تفضيل المجوسية، ودفع الشريعة، أو جعل الشريعتين فى كفتى الميزان متساويتين!!!

ويوضح لنا الإمام البغدادى هذه الحقيقة بجلاء تام فيقول:

« إن الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس، وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم، ولم يجسروا على إظهاره؛ خوفا من سيوف المسلمين.

فوضع الأغمار منهم أسسا، من قبلها منهم صار -فى الباطن- إلى تفضيل أديان المجوس.

وتأولوا آيات القرآن، وسنن النبى -عليه السلام- على موافقة أسسهم.

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادى . ٢٨٢ وما بعدها باختصار قليل .

إلى أن يقول البغدادى :

ثم إن الباطنية لما تأولت أصول الدين على الشرك احتالت أيضا لتأويل أحكام الشريعة، على وجوه تؤدى إلى رفع الشريعة، أو إلى مثل أحكام المجوس!

والذى يدل على أن هذا مرادهم بتأويل الشريعة أنهم قد أباحوا لأتباعهم نكاح البنات، والأخوات، وأباحوا شرب الخمر، وجميع اللذات»[١].

ولم يقف أمر الباطنية عند هذا الحد، بل خلطوا كلامهم ببعض معتقدات الفلاسفة الخارجين عن دين الله تعالى .

وفى ذلك يقول الإمام الشهرستانى :

«ثم إن الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنفوا كتبهم على ذلك المنهاج، فقالوا فى البارى تعالى : إنا لا نقول هو موجود ولا موجود ، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، وكذلك فى جميع الصفات »[٢].

ولقد كان للباطنية هدف معين من أجله كانوا يعملون ، ويبدو لنا هذا الهدف من تلك الرسالة التى أرسلها القيروانى إلى سليمان بن الحسين. حيث يقول له فيها :

«إنى أوصيك بتشكيك الناس فى القرآن، والتوراة، والزبور، والإنجيل، وبدعوتهم إلى إبطال الشرائع »[٣].

وتبين لنا هذه الرسالة -أيضا- بعضا من الأساليب التى يجب أن تتبع

(١) الفرق بين الفرق : ٢٨٤-٢٨٦ .

(٢) الملل والنحل للشهرستانى ، هامش ص٢٦ من الجزء الثانى من كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم، مكتبة السلام العالمية.

(٣) الفرق بين الفرق : ٢٩٦ .

لتحقيق هدفهم المنشود، حيث يقول له فيها :

«ادع الناس بأن تتقرب إليهم بما يميلون إليه، وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم.

فمن آنست منه رشدا فاكشف له الغطاء.

وإذا ظفرت بالفلسفى فاحتفظ به، فعلى الفلاسفة مُعَوَّلُنا، وإنا وإياهم مجمعون على رد نواميس الأنبياء، على القول بقدم العالم، لولا ما يخالفنا فيه بعضهم، من أن للعالم مدبرا، لا نعرفه.

وذكر فى هذه الرسالة : إبطال القول بالمعاد، والعقاب، وذكر فيها : أن الجنة نعيم الدنيا، وأن العذاب إنما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة، والصيام، والحج، والجهاد.

وذكر أيضا : أن أهل الشرائع يعبدون إلها لا يعرفونه، ولا يحصلون منه إلا على اسم، بلا جسم.

وأوصاه فيها أيضا بقوله :

«أكرم الدهرية فإنهم منا، ونحن منهم»[1].

هذا بعض من مبادئهم، وتلك هى غايتهم، ومن أجل هذه الغاية أدخلوا كثير التأويلات الفاسدة فى تفسير القرآن الكريم، حتى يتمشى التفسير مع أهوائهم، ويحقق هدفهم المنشود، وغايتهم المرجوة.

---

(١) المصدر السابق : ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

نماذج من تأويلات الباطنية فى تفسير القرآن الكريم

لقد أول الباطنية النصوص تأويلا لا تنقضى على مر الزمان عجائبه، طبقا لمبدئهم وهدفهم- كما قلنا آنفا -

ومن هنا جاءت تأويلاتهم هذه بهذه الصورة المخزية، التى إن دلت فإنما تدل على: غباء ارتكز فى العقل، وكفر توغل فى القلب، وجرى فى العروق مجرى الدماء.. وهاك بعض الأمثلة:

«الوضوء عبارة عن موالاة الإمام، والتيمم هو الأخذ من المأذون، عند غيبة الإمام، الذى هو الحجة.

والصلاة عبارة عن الناطق، الذى هو الرسول، بدليل قوله تعالى فى الآية ٤٥ من سورة العنكبوت: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾.

والغسل: تجديد العهد، ممن أفشى سرا من أسرارهم، بغير قصد، وإفشاء السر عندهم على هذا النحو هو معنى الاحتلام.

والزكاة: عبارة عن تزكية النفس بمعرفة ما هم عليه من الدين.

والكعبة: النبى، والباب: على، والصفا: هو النبى، والمروة: على، والميقات: الإيناس، والتلبية: إجابة الدعوة، والطواف بالبيت سبعا: موالاة الأئمة السبعة.

والجنة: راحة الأبدان من التكاليف.

والنار: مشقتها بمزاولة التكاليف»[1].

ومن هذه التأويلات الفاسدة - التى يصفها ابن تيمية - رحمه الله - بأنها لا يقضى العالم منها عجبه:

---

(١) التفسير والمفسرون ٢/٢٤١ نقلا عن الموافق للشاطبى.

قولهم فى ﴿ تبت يدا أبى لهب ﴾[١]: هما ابو بكر وعمر .

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾[٢]: اى بين أبى بكر وعمر وعلى فى الخلافة .

وفى قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾[٣] هى عائشة .

وفى قوله تعالى : ﴿ فقاتلوا أئمة الكفر ﴾[٤] طلحة والزبير .

وفى قوله تعالى : ﴿ مرج البحرين يلتقيان ﴾[٥] على وفاطمة .

وفى قوله تعالى : ﴿ اللؤلؤ والمرجان ﴾[٦] الحسن والحسين .

وفى قوله تعالى : ﴿ وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين ﴾[٧]، فى على بن أبى طالب .

وفى قوله تعالى : ﴿ عم يتساءلون ، عن النبأ العظيم ﴾[٨]: على بن أبى طالب.

وفى قوله تعالى : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾[٩].

هو على ، ويذكرون الحديث الموضوع بإجماع أهل العلم، وهو تصدقه بخاتمه فى الصلاة .

وفى قوله تعالى : ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ﴾[١٠]: نزلت فى علىّ ، لما أصيب بحمزة[١١].

ومن هذه التأويلات أيضا : أنهم يتأولون :

---

(١) سورة المسد الآية : ١ .
(٢) سورة الزمر الآية : ٦٥ .
(٣) سورة البقرة الآية : ٦٧ .
(٤) سورة التوبة الآية : ١٢ .
(٥) سورة الرحمن الآية : ١٩ .
(٦) سورة الرحمن الآية : ٢٢ .
(٧) سورة يس الآية : ١٢ .
(٨) سورة النبأ الآية : ١ ، ٢ .
(٩) سورة المائدة الآية : ٥٥ .
(١٠) سورة البقرة الآية : ١٥٧ .
(١١) مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية : ٢٩ .

الملائكة على دعاتهم إلى بدعتهم، ويتأولون الشياطين : على مخالفيهم. ويزعمون أن الأنبياء قوم أحبوا الزعامة، فساسوا العامة بالنواميس والحيل، طلبا للزعامة، بدعوى النبوة والرسالة.

وكل واحد منهم صاحب دور سبع، إذا انقضى دور سبعة تبعهم فى دور آخر.

وإذا ذكروا النبى والوحى قالوا : إن النبى هو الناطق، والوحى أساسه الفاتق، وإلى الفاتق تأويل نطق الناطق، على ما تراه يميل إلى هواه.

فمن صار إلى تأويله الباطن فهو من الملائكة البررة.

ومن عمل بالظاهر فهو من الشياطين الكفرة.

ثم تأولوا لكل ركن من أركان الشريعة تأويلا، يورث تضليلا، فزعموا أن معنى الصلاة موالاة إمامهم، والحج زيارته وإدمان خدمته.

والمراد بالصوم : الإمساك عن إفشاء سر الإمام، دون الإمساك عن الطعام.

والزنا عندهم : إفشاء سرهم، بغير عهد وميثاق.

وزعموا أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها.

وتأولوا فى ذلك قوله تعالى : ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾[1]،

وحملوا (اليقين) على معرفة التأويل[2]!!!

ومن أراد المزيد من ذلك فعليه بكتاب «تأويل الدعائم» للقاضى الفاطمى: النعمان بن محمد التميمى، الذى نشرته دار المعارف بالقاهرة.

فهو خير ما يعطى الصورة الحقيقة لمسلك هذه الجماعة، فى التأويل الباطنى للنصوص ؛ لأنه صادر عنهم، وكما يقال : أهل مكة أدرى بشعَبِها.

---

(١) سورة الحجر الآية : الأخيرة .

(٢) الفرق بين الفرق : ٢٩٦ .

وهكذا يفسر الباطنية النصوص، ويصرفونها عن ظاهرها دون قيد، أو شرط، وذلك -منهم ومن غيرهم- أمر مرفوض، لمخالفته أصول الشرع، وقوانين اللغة.

«ولقد تكلم الشاطبى عن القرآن الكريم، على أنه الأصل الأول للتشريع، وبَيَّنَ أن له ظاهرا وباطنا، وأن المراد بالظاهر هو المفهوم العربى، والباطن هو مراد الله تعالى من كلامه وخطابه، فكل ما كان من المعانى العربية التى لا ينبنى فهم القرآن إلا عليها فهو داخل تحت الظاهر، كالمسائل البيانية، والمنازع البلاغية.

وكل ما كان من المعانى التى تقتضى تحقيق المخاطب، بوصف العبودية، والإقرار لله بالربوبية فذلك هو الباطن المراد والمقصود الذى أنزل القرآن لأجله»[1].

وبأسلوب هادئ: هادف رزين:

يتناول ابن الجوزى هذه التأويلات الرمزية للباطنية، ويناقشهم مناقشة موضوعية، تحليلية، فيقول رحمه الله:

: وإن تلتم عن إمام معصوم:

قلنا: فما الذى دعاكم إلى قبول قوله بلا معجزة، وترك قول محمد ﷺ مع المعجزات؟

ثم: ما يؤمنكم أن يكون ما سمع من الإمام المعصوم له باطن غير ظاهر؟

ثم يقال لهم: هذه البواطن والتأويلات يجب إخفاؤها أم إظهارها؟

فإن قالوا: يجب إظهارها.

---

(١) الدخيل فى تفسير القرآن الكريم. لأستاذنا الجليل د/ عبد الوهاب فايد ٢/١٣١ نقلا عن الموافقات للشاطبى.

قلنا : فلم كتمها محمد ﷺ ؟

وإن قالوا : يجب إخفاؤها.

قلنا : ما وجب على الرسول إخفاؤه كيف يحل لكم إفشاؤه ؟

قال ابن عقيل :

هلك الإسلام بين طائفتين ، بين الباطنية ، والظاهرية .

فأما أهل البواطن : فإنهم عطلوا ظواهر الشرع بما ادعوه من تفاسيرهم التى لا برهان لهم عليها، حتى لم يبق فى الشرع شىء إلا وقد وضعوا وراءه معنى، حتى أسقطوا إيجاب الواجب، والنهى عن المنكر .

وأما أهل الظاهر : فإنهم أخذوا بكل ما ظهر، مما لابد من تأويله، فحملوا الأسماء والصفات على ما عقلوه.

والحق بين المنزلتين، وهو أن نأخذ بالظاهر ، ما لم يصرفنا عنه دليل، ونرفض كل باطن، لا يشهد به دليل من أدلة الشرع »[١].

ولا نرى كلمة نختم بها هذه النبذة عن الباطنية، وتأويلاتها الفاسدة خيرا من هذه الكلمة لابن الجوزى -رحمه الله- فقد فند مذهبهم، وأقر الحق الذى عليه نسير فى فهم النصوص، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟ فجزاه الله خير ما جزى به إماما عن أمته، وحفظ الله لنا ولذريتنا ولكل المسلمين عقيدتنا بيضاء نقية، آمين .

---

(١) تلبيس إبليس : ١٠٥ .

المبحث الثانى

٢- تفسير القاديانية

وذاك نوع آخر من التفسير بالرأى المنحرف القائم على الهوى، ظهر على يد جماعة بلغت من الكفر قمته، ومن الضلال والإضلال ذروته، فحرفت الكلم عن مواضعه، وتقولت على الله بغير علم، وبسوء قصد، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون.

ظهرت هذه الجماعة على يد ميرزا غلام أحمد الذى ولد:

« عام ١٢٥٢ هـ - ١٨٣٩م فى آخر عهد حكومة السيخ، من أسرة نزحت قديما من سمرقند، واستوطنت قرية قاديان، وهذه الأسرة تنتمى إلى الترك، إلى السلالة المغولية، منهم سلالة تيمورلنك »[(١)].

ولما بلغ سن التعليم شرع فى قراءة القرآن، وبعض الكتب الفارسية ولما بلغ العاشرة من عمره تعلم اللغة العربية، ولما بلغ السابعة عشرة اتصل بأستاذ، فتلقى عنه النحو، والمنطق، والفلسفة، وقرأ على أبيه كتبا فى علم الطب، أما العلوم الدينية فلم يدرسها على أى معلم، وإنما كان له ولوع بمطالعتها، وعندما قطع مسافة فى التعليم كانت السلطة البريطانية قد امتدت على البنجاب، وكان الشباب يطمحون إلى المناصب، فاندفع غلام أحمد يبحث عن وظيفة، فذهب إلى «سيالكوت» ، وتقلد وظيفة فى إدارة نائب المندوب السامى، ثم استقال منها بعد أربعة أعوام، إجابة لرغبة أبيه الذى رأى نفسه فى حاجة إلى مساعدته له فى إدارة شئونه الخاصة[(٢)].

ويلاحظ أن أسرة غلام أحمد كانت من الغنى بمكان كبير، إذ كان

---

(١) القاديانية : نشأتها وتطورها . د/ حسن عيسى عبد الظاهر : ٣٩ .

(٢) القاديانية والبهائية للخضر حسين : ٩ .

جده «المرزا كل محمد» صاحب قرى وأملاك وصاحب إمارة فى بنجاب، تبلغ خمسا وثمانين قرية، فى عهد الحكومة المغولية، خسرتها هذه الأسرة فى حربها مع السكة، وطردوا منها، ثم عادوا إليها مرة أخرى عام ١٨١٨م.

ولقد قدمت هذه الأسرة خدمات جليلة للاحتلال البريطانى، وتفانت فى التعاون معها، والإخلاص لها، ولذلك فقد ردت الدولة البريطانية لوالد غلام أحمد بعض القرى التى كانوا فقدوها.

ويفخر غلام أحمد بذلك، حيث يقول :

لقد أقرت الحكومة بأن أسرتى فى مقدمة الأسر التى عرفت فى الهند بالنصح والإخلاص للحكومة الإنجليزية، ودلت الوثائق التاريخية أن والدى وأسرتى كانوا من كبار المخلصين لهذه الحكومة من أول عهدها، وصدق ذلك الموظفون الإنكليز الكبار[1].

ولقد ظهر فى حياة غلام أحمد رجل يدعى الحكيم نور الدين البهيروى، كان هذا الرجل بمثابة الذراع اليمنى له، والعمود الفقري لنحلته الضالة.

«ففى أثناء إقامة غلام أحمد القاديانى بسيالكوت، اتصل به هذ الرجل، ثم بعد ذلك توثقت بينهما الصداقة، فلما بدأ الغلام فى تأليف «براهين أحمدية» ألف الحكيم كتابا سماه «تصديق براهين أحمدية»، ثم أخذ الحكيم يغرى الغلام بدعوى النبوة.

فقد ذكر فى كتاب سيرة المهدى ص:٩٩ أنه قال آنذاك «لو ادعى هذا الرجل -يعنى الغلام- أنه نبى، صاحب شريعة ونسخ شريعة القرآن لما أنكرت عليه».

---

(١) القاديانية : نشأتها وتطورها : ٤٠ ، ٤١ .

وقد بدأ الغلام دعواه بأنه مجدد، ثم زعم للناس أنه المهدى المنتظر، ثم أوعز إليه الحكيم نور الدين أن يدعى أنه المسيح الموعود!!، فأعلن الغلام عام ١٨٩١م أنه المسيح الموعود، وقال للناس: «لقد أرسلت لكسر الصليب وقتل الخنازير، لقد نزلت من السماء مع الملائكة، الذين كانوا عن يمينى وشمالى».

وقد دس له نور الدين - كما صرح بذلك غلام أحمد فى «إزالة أوهام». أن دمشق التى ينزل فيها المسيح ليست هى دمشق المعروفة، ولكن المراد بدمشق أنها قرية يسكنها رجال طبيعتهم يزيدية، وأن كلمة دمشق استعارة»!!![1].

مبادئ القاديانية

اشتملت دعوة غلام أحمد على عدة مبادئ كافرة، ومعتقدات ضالة، بها ضل وأضل، فخرب العقول، وأفسد القلوب، وسمم الأفكار ونأى بمن اتبعه عن دعوة الرحمن وألقى بهم فى جحيم الشيطان.. من هذه الضلالات.

١- أنه ادعى النبوة لنفسه، وفى ذلك يقول:

«أنا نبى، حسب حكم الله ولو جحدته أكون آثما، وإذا سمانى الله نبيا فكيف يمكن لى جحوده؟ وأنا على هذه العقيدة حتى أرحل من الدنيا»[2].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل ادعى غلام أحمد أن باب النبوة مفتوح للآلاف!!، فقد جاء فى كتاب «أنوار خلافت» تأليف ميرزا بشير الدين محمود أحمد ص٦٢.

---

(١) الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، تأليف عبد القادر شيبة الحمد: ٨٨، ٨٩.

(٢) موقف الأمة الإسلامية من القاديانية، تأليف نخبة من علماء باكستان: ١٣.

«وقد زعموا -أى المسلمون- أن خزائن الله قد نفدت، وما زعمهم هذا إلا لأنهم لم يقدروا الله حق قدره، إلا فإنى أقول: إنه لا يأتى نبى واحد فقط، بل يأتى الوف من الأنبياء»[١].

ولقد بلغ من وقاحة هذه العقيدة أن جعلت أتباعها يعتقدون أنهم من الممكن أن يكونوا فى مرتبة أفضل من مرتبة صاحب المقام المحمود والدرجة العالية، سيد الأولين والآخرين محمد رسول الله ﷺ . . !!!

واستمع إلى الخليفة الثانى لغلام ميرزا بشير الدين محمود، وهو يقول -كما يحدثنا كتاب موقف الأمة الإسلامية من القاديانية :

« والحق أن لكل إنسان أن يترقى ويفوز بأعلى درجة، حتى يسبق محمدا ﷺ !!!

٢- ومن مبادئ القاديانية أيضا تكفير من لا يؤمن بمبادئها.

يقول غلام أحمد : «من لا يؤمن بى فإنه لا يؤمن بالله ورسوله لأن بشارة الله ورسوله بى موجودة»[٢].

٣- ومن مبادئ القاديانى أيضا :

مساواة الوحى القاديانى بالقرآن الكريم ، حيث يقول :

«إن الذى أسمعه من وحى الله تعالى أعتبره -والله- منزها من كل خطأ، أراه كالقرآن منزها من جميع الأخطاء، وهذا هو إيمانى»[٣].

٤- ومن هذه المبادئ اعتقاد القاديانى فى الله والأنبياء والصحابة اعتقادا وصل إلى قمة الكفر.

يقول غلام أحمد فيما يرويه عن الله عز وجل وهو يخاطبه:

«أنت منى بمنزلة بروزى»

---

(١) المسألة القاديانية .

(٢) موقف الأمة الإسلامية من القاديانية : ٢٧ .

(٣) المصدر السابق : ٥١ .

ويقول أيضا : « لقد رأيت فى إلهامى أنى أنا الله، فأيقنت أنى هو »[١].

ويقول مسيئا إلى الأنبياء :

«لقد ابتليت بمرض السكر منذ عدة سنوات، أبول يوميا من ١٥-٢٠ مرة، وأحيانا أبول مائة مرة يوميا، وقد أشار علىّ أحد أصدقائى أن الأفيون مفيد لمرضى السكر، فلا حرج للعلاج، فأجبته قائلا: لو تعودت على الأفيون لأجل المرض لخفت أن يستهزئ الناس قائلين: كان المسيح الأول شاربا، والثانى أفيونيا».

ويقول أيضا: «أنا أقول مدعيا إن آلاف أخبارى الواضحات قد صدقت بغاية الصفاء، وشهد لها مئات الآلاف من الناس، ولو بحثنا نظيرا فى الأنبياء السابقين لم نجد إلا فى محمد ﷺ»[٢].

وكما أساء القاديانى إلى الله ورسله فإن الصحابة لم يسلموا منه.

حيث يقول : «أنا المهدى الذى سئل عنه ابن سيرين هل هو على درجة أبى بكر؟ فقال : هو أفضل من بعض الأنبياء، فضلا عن أبى بكر».

ويقول أيضا: «بعض الجهلة من الصحابة الذين لم يكن لهم نصيب من الدراية كانوا غافلين عن هذه العقيدة».

٥- ومن مبادئ هذه الفرقة الضالة أنها جعلت القاديان مكانا مقدسا، وأصبحت أرض الحرم ؛ لازدحامها بالناس.

٦- ومن مبادئ القاديانى أيضا: أنه نهى أتباعه عن الصلاة خلف المسلمين أحياء، أو عليهم أمواتا[٣].

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) موقف الأمة الإسلامية من القاديانية : ٣١ ، والمسألة القاديانية : ٩ ، ١٠ .

٧- ومن مبادئ القاديانى أيضا نسخ فريضة الجهاد...

واستمع إليه وهو يقول :

«اليوم نسخ الجهاد بالسيف، بإذن الله تعالى، فمن حمل السيف على كافر بعد اليوم وسمى نفسه غازيا فقد عصى رسول الله ﷺ ، الذى قال قبل ألف وثلاثمائة سنة : « إن الجهاد بالسيف ينتهى بعد مجىء المسيح الموعود»، فلا جهاد الآن بعد ظهورى، وقد رفعنا العلم الأبيض للأمن والصلح»[(١)].

ويقول القاديانى أيضا فى رسالة قدمها إلى نائب حاكم المقاطعة:

«لقد ظللت منذ حداثة سنى- وقد ناهزت اليوم الستين- أجاهد بلسانى وقلمى، لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الإنجليزية، والنصح لها، والعطف عليها، والغى فكرة الجهاد التى يدين بها بعض جهالهم، والتى تمنعهم من الإخلاص لهذه الحكومة»[(٢)].

ومن هنا نفهم الحكمة فى نسخه لفريضة الجهاد، حتى لا يحارب المسلمون أسياده الإنجليز، بل حدث العكس من أولئك القاديانيين فقد أوجبوا الجهاد بالاشتراك مع الإنجليز، ضد المسلمين[(٣)].

أمثلة من تحريفات القاديانية فى تفسير النص القرآنى

من المتوقع جدا من إنسان ادعى -كذبا وزورا- النبوة وفضل نفسه على أنبياء الله أن يفسر القرآن- إن اعترف به- تفسيرا يخدم هواه، ولا يصادم دعوته، لا ويلوى عنق النص، محرفا الكلم عن مواضعه، غير مراع أصول الشرع، أو قواعد لغة الإسلام.

---

(١) موقف الأمة الإسلامية : ١٠٣ - ١٠٥ .

(٢) الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة : ٩٢ .

(٣) موقف الأمة الإسلامية : ١١١ .

ومن هنا جاءت تفاسير القاديانية على هذا النحو.

والأمثلة على ذلك كثيرة ، ويكفينا فى هذا المقام دليلا على صدق كلامنا «أن المرزا المتنبئ قد حرف فى القرآن الكريم تحريفات معنوية ولفظية يصعب حصرها، حتى بلغ من جرأته أن أثبت لنفسه كثيرا من الآيات التى نزلت صريحة فى حق نبينا محمد ﷺ ، وكذلك نسب إلى نفسه جميع الألقاب والمميزات التى وصف الله بها نبيه ﷺ وادعى أنه هو المراد بها وأن الله شرفه بهذه الألقاب.

ومن هذه الآيات التى زعم أنه هو المقصود بها قول الله تعالى :

١- ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾(١).

٢- ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ﴾(٢).

٣- ﴿ وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ﴾(٣).

٤- ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى.. الآية ﴾(٤).

٥- ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾(٥).

٦- ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ﴾(٦).

٧- ﴿ يس ، والقرآن الحكيم، إنك لمن المرسلين ﴾(٧).

٨- ﴿ إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا ﴾(٨).

٩- سورة الكوثر .

---

(١) سورة الأنبياء الآية : ١٠٧ .

(٢) سورة النجم الآية : ٣، ٤ .

(٣) سورة الأحزاب الآية : ٤٦ .

(٤) سورة آل عمران الآية : ٣١ .

(٥) سورة الفتح الآيات : ١ ، ٢ .

(٦) سورة الفتح الآية : ١٠ .

(٧) سورة يس الآيات : ١ ، ٢ ، ٣ .

(٨) سورة المزمل الآية : ١٥ .

١٠- نسب المرزا الإسراء والمعراج لنفسه.

وقال الميرزا -بكل وقاحة وجسارة- فى قوله تعالى : ﴿ ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ﴾[١].

« إن الآية تبشر بمجيئى، وإن المراد من أحمد هو أنا » والقاديانيون يؤمنون بأن المراد من «أحمد» فى هذه الآية الكريمة -معاذ الله- هو ميرزا غلام أحمد، وليس محمدا ﷺ !!!

ولقد ادعى أحد دعاتهم- وهو سيد زين العابدين ولى الله شاه- فى مؤتمر القاديان السنوى ١٩٣٤م أن المراد بقوله تعالى :

﴿ وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ﴾[٢] أن المراد بها القاديانيون، حيث يقول:

« فهذه الأخرى- يشير إلى آية وأخرى تحبونها - نعمة غالية، كان الصحابة يتمنونها، ولكنهم لم يستطيعوا أن يحصلوا عليها، وإنما تحصل لكم »[٣].

***

وهذه الأمثلة من تلك التحريفات. وذلك الهذيان لا تعقيب لنا عليها؛ لظاهر بطلانها، ووضوح فسادها لمن له أدنى دراية بالدين الإسلامى، ولكن لابد لنا من وقفة متأنية مع مبدأ من مبادئ هذه النحلة الضالة المضلة ، حيث قالوا إن محمدا ﷺ ليس بآخر نبى، واستدلوا على ذلك بقراءة فتح التاء من قوله تعالى : ﴿ وخاتم النبيين ﴾[٤] وقالوا إن خاتم النبيين بمعنى زينة النبيين .

---

(١) سورة الصف الآية : ٦ . (٢) سورة الصف الآية : ١٣ .

(٣) نقلا عن كتاب موقف الأمة الإسلامية من القاديانية .

(٤) سورة الأحزاب الآية : ٤٠ .

فما هو التفسير الصحيح لمعنى خاتم النبيين ؟

إن من يتصفح كتب التفاسير والأحاديث واللغة لن يخرج منها -فى هذا المعنى- إلا بمعنى واحد، مجمع عليه من علماء الأمة سلفها وخلفها، ذلك المعنى هو أن محمدا ﷺ هو آخر النبيين، لا نبى بعده، وهذا المعن تستوى فيه القراءتان- أعنى قراءة الفتح وقراءة الكسر- ولا يوجد هناك مصدر واحد يدل على غير ذلك المعنى.

وفى هذا المعنى يقول فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين -رحمه الله- أثناء حديثه عن القادياني معقبا على ما ذهب إليه من أن الختم فى الآية بمعنى الزينة:

«إنه لم يجد شاهدا على هذا من كلام العرب، أو أقوال اللغويين أو المفسرين، فتعلق بكلمة للشيخ محمد طريح النجفى أحد علماء الشيعة، اقتطعها اقتطاعا، فقال:

«يقول صاحب مجمع البحرين ما نصه: «ومحمد خاتم النبيين يجوز فيه فتح التاء وكسرها، فالفتح بمعنى الزينة، مأخوذ من الخاتم، الذى هو زينة للابسه».

والواقع أن الشيخ النجفى قد صرح بأن النبى ﷺ آخر النبيين، فقد قال قبل تلك الكلمة التى اقتطعها الداعية:

« قوله تعالى : ﴿ وخاتم النبيين ﴾ أي آخرهم ليس بعده نبى ».

ثم قال: «ومحمد خاتم النبيين يجوز فيه فتح التاء وكسرها، فالفتح بمعنى الزينة، مأخوذ من الخاتم، الذى هو زينة للابسه، وبالكسر اسم فاعل، بمعنى آخر».

ولما كان صاحب مجمع البحرين يعتقد أن محمدا ﷺ آخر الأنبياء ليس بعده نبى، فقصارى أمره أن يكون أخطأ فى تأويل «خاتم» على قراءة

الفتح، بمعنى الزينة، فإنه مخالف لأقوال من هم أدرى منه بتفسير كتاب الله تعالى، وبوجوه استعمال الألفاظ العربية، حقيقة أو مجازا.

وها نحن أولاء نسوق إليكم طائفة من أقوال علماء اللغة، الشاهدة بأن الخاتم بفتح التاء أو كسرها بمعنى الآخر.

قال صاحب اللسان: «وخاتمهم وخاتِمهم آخرهم، ومحمد ﷺ خاتم النبيين».

وقال ابن سيده فى كتاب المحكم: «وختام القوم، وخاتَمهم وخاتِمهم: آخرهم».

وقال: وفى التنزيل ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ أى آخرهم.

وقال الأزهرى فى كتاب التهذيب: «وخاتم كل شىء آخره، وقوله تعالى: ﴿رسول الله وخاتم النبيين﴾ معناه آخر النبيين».

ولم يذكر أحد من هؤلاء الأئمة أو غيرهم كصاحب الصحاح، وصاحب المصباح وصاحب القاموس، وصاحب أساس البلاغة أن الخاتم يكون بمعنى الزينة.

ولعل الناعية يعلم أن القرآن إنما يُستشهد فى تفسيره بكلام العرب، ويتيقن أن استشهاده بالعبارات التى ينقلها عن بعض الكتاب، أو أصحاب المطابع لا يتقبله أهل العلم، ولكنه يسوقها استهواء لقوم يجهلون آداب البحث، ولا يفرقون بين ما يصح أن يستشهد به فى تفسير كتاب الله تعالى، وما لا يصح الاستشهاد به»[1].

ولقد ألف فضيلة الشيخ السيد محمد الحافظ التجانى كتابا خاصا فى الرد على التفسير الباطل لهذه الآية بالذات، وفند هذا التفسير من أكثر من وجه، وبخاصة من ناحية القراءات، ومن ناحية اللغة.

---

(١) القاديانية والبهائية، للخضر حسين: ٥٣، ٥٤.

فمن ناحية القراءات يقول -ردا على أحد دعاة القاديانية- : «وخاتم في عصره ﷺ وبعده إلى زمن الاصطلاح على الشكل كانت مكتوبة خالية، وتلقاها أصحابه رضوان الله عليهم بالوجهين، وأنت تعلم أن القراءات السبع متواترة عن رسول الله ﷺ، فمن أنكر وجها منها فهو كافر بسائر الوجوه، لسريان إنكاره إلى الكل.

وخاتم بالفتح قراءة حفص من طريق عاصم وحده من السبعة، وخاتِم بالكسر قراءة نافع المدنى، وابن كثير المكى وأبى عمرو البصرى، وابن عامر الدمشقى، وحمزة الكوفى، وعلىّ الكوفى.

وقد احتججت بأن المصحف المطبوع هو خاتَم بالفتح، وقد أخبرتك أن هذه قراءة حفص عن طريق عاصم، والمصحف المطبوع برواية ورش خاتِم بالكسر، ومعلوم أن أهل المغرب والسودان الغربى يكتبون ويقرءون القرآن على قراءة ورش، ومصاحفهم من يوم أن وجدت المصاحف على هذه القراءة، ومن شاء أن يقتنى مصحفا من هذه القراءة فعليه أن يرسل للتازى بالصنادقية بمصر، أو ابن شقرون بالفحامين، أو مكاتب بلاد المغرب المشهورة، ومن أراد الإطلاع فعليه بالمكاتب، قديمها وحديثها.

فإما أن تدعوا أن الصحابة كذبوا على رسول الله ﷺ أو تقولوا إن النبى ﷺ زادها من عنده على الله عز وجل، فقد قال تعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك ﴾(١)، وقد بلغ الوجهين، فمنكر وجه منها كافر بالله عز وجل والرسول، بإجماع الأمة.

فإما أن تكون قد أنكرت ذلك وأنت تعلم هذا الذى ذكرته لك أو لا تعلم.

ولا أدرى هل من الوحى الذى أنزل على غلام أحمد أن خاتم ليست

---

(١) سورة المائدة الآية : ٦٧ .

من القرآن؟ ولماذا تخشون من خاتِم بالكسر ؟ هل تأذنون لنا أن نخشى أن يكون فيكم من يريد إثبات مذهبه ولو أدى به ذلك لإنكار الثابت من كتاب الله عز وجل إذا كان ينقض دعواه؟

ثم أخذ الحافظ التجانى يسوق إليه معنى خاتم فى اللغة التى أنزل الله بها كتابه، ويتحداه أن يأتى بكتاب معتمد من كتب اللغة، لمسلمين أو غيرهم يقول: إن خاتم النبيين لا يصح أن يكون معناها آخر النبيين.

يقول التجانى رحمه الله :

«ختمت الشىء ختما فهو مختوم، ومُخَتَّم شدد للمبالغة، وختم الله له بخير، وختمت القرآن بلغت آخره، واختتمت الشىء نقيض افتتحته، والخاتِم بكسر التاء وفتحها، والخيتام والخاتام كله بمعنى واحد، والجمع الخواتم. وتختمت إذا لبسته، وخاتمة الشىء آخره.

ومحمد ﷺ خاتم النبيين عليهم الصلاة والسلام، والختام الطين الذى يختم به، وقوله تعالى : ﴿ ختامه مسك ﴾[1] أى آخر ما يجدونه رائحة المسك.

وفى تاج العروس : (و) الخاتم (من كل شىء عاقبته وآخرته كخاتمته، و) الخاتم (آخر القوم)، ومنه قوله تعالى : ﴿ وخاتم النبيين ﴾ أى آخرهم.

وفى مجمع بحار الأنوار : أستودع الله أمانتك وخواتيم عملك أى أواخره، جمع خاتمة، فنظرت إلى خاتم النبوة بكسر التاء أى فاعل الختم، وهو الإتمام، وبفتحها بمعنى الطابع، أى شىء يدل على أنه لا نبى بعده.

وفيه: والقراءة بالخواتيم، أى أواخر السور، وبالخواتم بحذف الياء.

وفيه: ثم قرأ العشر الآيات الخواتم، صفة العشر.

---

(١) سورة المطففين الآية : ٢٦ .

وفيه : ختامه مسك، وهو طين يختم به، أى آخره طعم المسك، أو مزاجه مسك، إنما الأعمال بخواتيمها.

وفيه: الخاتم والخاتم من أسمائه ﷺ ، بالفتح أى آخرهم، وبالكسر فاعل.

ولا يخفى عليك -هكذا يحاور الحافظ التجانى أحد دعاة القاديانية- أن مجمع بحار الأنوار من الكتب التى نقلت عنها، وكانت حجتك.

وفى أقرب الموارد: الخاتم والخاتم والخاتام آخر القوم.

وفى لسان العرب: وختم فلان القرآن إذا قرأه إلى آخره.

ابن سيده : ختم الشيء يختمه ختما بلغ آخره، وختم الله له بخير، وخاتم كل شيء وخاتمته عاقبته وآخره، واختتمت الشيء نقيض افتتحته، وخاتمة السورة آخرها.

وقوله أنشده الزجاج :

إن الخليفة إن الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم

إنما جمع خاتما على خواتيم اضطرارا.

وختام كل مشروب آخره ، وفى التنزيل العزيز : ﴿ ختامه مسك ﴾ أى آخره، لأن آخر ما يجدونه رائحة المسك، وقال علقمة: أى خلطه مسك، ألم تر إلى المرأة تقول للطيب خلطه مسك، خلطه كذا؟

وقال مجاهد : «معناه مزاجه مسك » قال: وهو قريب من قول علقمة، وقال ابن مسعود : عاقبته طعم المسك .

وقال الفراء : قرأ علىّ عليه السلام خاتمه مسك، وقال: أما رأيت المرأة تقول للعطار: اجعل لى خاتمه مسكا، تريد آخره.

قال الفراء: والخاتم والختام متقاربان فى المعنى، إلا أن الخاتم الاسم، والختام المصدر، قال الفرزدق:

فبتن جنابتى مصرعات ... وبت أفض أغلاق الختام

وقال : ومثل الخاتم والختام قولك للرجل : هو كريم الطابع والطباع .

قال: وتفسيره أن أحدهم إذا شرب وجد آخر كأسه ريح المسك .

وختام الوادى أقصاه، وختام القوم وخاتمهم وخاتمهم آخرهم .

عن اللحيانى : ومحمد ﷺ خاتم الأنبياء عليهم السلام .

التهذيب : والخاتم من أسماء النبى ﷺ ، وفى التنزيل ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ أى آخرهم .

قال : وقد قرئ وخاتَم، وقول العجاج مبارك للأنبياء خاتم إنما حمله على القراءة المشهورة فكسر .

ومن أسمائه ﷺ العاقب أيضا، ومعناه آخر الأنبياء وأعطانى ختمى أى حسبى .

قال دريد بن الصُّمة :

وإنى دعوت الله لما كفرتنى ... دعاء فأعطانى على ما قط ختمى

وهو من ذلك ، لأن حسب الرجل آخر طلبه .

وبعد إيراد هذه المعانى من كتب اللغة ومن أقوال العلماء تحدى الحافظ التجانى داعية القاديانية قائلا له :

«وهل يمكنك أن تأتى بكتاب معتمد من كتب اللغة لمسلمين، أو ليهود، أو لنصارى، أو لمجوس، أو لأهل أى ملة كانت من علماء العربية يقول: إن خاتم النبيين لا يصح أن يكون معناها آخر النبيين؟ سواء كان مدحا أم غير مدح؟»(١).

(١) رد أوهام القاديانية ، للحافظ التجانى : ٧٧-٨٠ .

وهكذا فند العلماء -رحمهم الله، وطيب ثراهم- ادعاءات القاديانيين في تفسيرهم لمعنى خاتم النبيين.

وإني أرى أنه من الواجب علينا -في هذا المقام- أن نستمع لمن نزل فيه قوله تعالى: ﴿ وخاتم النبيين ﴾ نستمع إليه وهو يوضح لنا ما معنى خاتم النبيين، فهو المبين لنا كلام الله عز وجل القائل له: ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾[١].

لقد جاءت الأحاديث تترا لتبين لنا أن رسول الله ﷺ هو خاتم النبيين بمعنى آخرهم، وليس بعده نبي إلى يوم القيامة.

١- أخرج الإمام أحمد والترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال:

« إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي »[٢].

٢- وروى الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي في سننه أن رسول الله ﷺ قال:

« إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين »[٣].

٣- روى الإمام مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: « مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها، ويقولون: لولا موضع اللبنة!

---

(١) سورة النحل الآية: ٤٤.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٣/٢٦٧، والترمذي في سننه في كتاب الرؤيا، باب ذهبت النبوة وبقيت المبشرات ٤/٤٦٢، وقال حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ. فتح الباري ٦/٦٤٥، ومسلم في كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين ٤/١٧٩١ والترمذي في كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل النبي ﷺ والأنبياء قبله.

قال رسول الله ﷺ :

« فأنا موضع اللبنة، جئت فختمت الأنبياء »(١).

٤- جاء فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال :

« إن لى خمسة أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحى، الذى يمحو الله بى الكفر، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى، وأنا العاقب الذى ليس بعده أحد »(٢).

٥- وأخرج البخارى فى صحيحه فى كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بنى إسرائيل عن رسول الله ﷺ أنه قال : « .. وإنه لا نبى بعدى ».

وغير ذلك -من الأحاديث- كثير وكثير..

وكلها تبين لنا بما لا يدع مجالا للشك أنه لا نبى بعد رسول الله ﷺ ، ومن قال بغير ذلك فهو كافر ؛ لإنكاره معلوما من الدين بالضرورة.

وفى ذلك يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله :

«والأحاديث فى هذا كثيرة، فمن رحمة الله بالعباد إرسال محمد ﷺ إليهم، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له، وقد أخبر الله فى كتابه، ورسوله فى السنة المتواترة عنه ، أنه لا نبى بعده، ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك، دجال، ضال ، مضل، ولو تخرق وشعبذ، وأتى بأنواع السحر، والطلاسم، والنيرجيات، فكلها ضلال عند أولى الألباب، كما أجرى الله

---

(١) مسلم فى كتاب الفضائل باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبين ١٧٩١/٤ .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب المناقب، باب ما جاء فى أسماء رسول الله ﷺ . فتح البارى ٦٤١/٦، ومسلم فى كتاب الفضائل باب فى أسمائه ﷺ ١٨٢٨/٤ .

سبحانه وتعالى على يد الأسود العنسى باليمن، ومسيلمة الكذاب باليمامة، من الأحوال الفاسدة، والأقوال الباردة، ما علم كل ذى لب وفهم وحجى أنهما كاذبان ضالان، لعنهما الله ، وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة -حتى يختموا بالمسيح الدجال، يخلق الله معه من الأ[illegible] ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها »[1].

من هذا يتبين لنا أن تفسير القاديانيين للقرآن الكريم [illegible] للكلم عن مواضعه، وهم فى منطقهم هذا لا ينطقون [illegible] الشيطان، وأسيادهم من دول الكفر والبهتان، التى تحرك[illegible] قطع شطرنج، لا يتحركون إلا بأوامرهم، ولا [illegible] حسبما يرون أن الظروف متاحة للهجوم [illegible] وهم -بذلك- يخادعون الله والذين آمنوا [illegible] وما يشعرون.

وكعادة الله وسنته فى كونه [illegible] كل عصر ومصر، فقام [illegible] النحلة الضالة، وقدوا تعال[illegible] معاملة الكفار [illegible]

يقول الدكتور محمد [illegible]

«إن أحسن طريق [illegible] واحدة، وهذا هو ما [illegible] معهم كتعاملهم مع [illegible]

---

(١) تفسير ابن ك[illegible]

(٢) موقف الأ[illegible]

وها هى رابطة العالم الإسلامى التى عقدت مؤتمرا كبيرا فى مكة المكرمة، مثل جميع المسلمين، من المغرب إلى أندونيسيا، فى ربيع الأول عام ١٣٩٤هـ الموافق ابريل ١٩٧٤م، تجمع هذه الرابطة على تكفير القاديانيين، وأصدرت قرارا بذلك.

وهذا نص قرارها :

« القاديانية نحلة هدامة، تتخذ من اسم الإسلام شعارا لستر أغراضها الخبيثة، وأبرز مخالفتها للإسلام ادعاء زعيمها النبوة، وتحريف النصوص القرآنية، وإبطالهم للجهاد.

القاديانية ربيبة الاستعمار البريطانى، ولا تظهر إلا فى ظل حمايته، تخون القاديانية قضايا الأمة الإسلامية، وتقف موالية للاستعمار والصهيونية، تتعاون مع القوى الناهضة للإسلام، وتتخذ هذه القوى واجهة لتحطيم العقيدة الإسلامية وتحريفها، وذلك بما يأتى :

(أ) إنشاء معابد تمولها القوى المعادية، ويتم فيها التضليل بالفكر القاديانى المنحرف.

(ب) فتح مدارس ومعاهد وملاجى للأيتام، وفيها جميعا تمارس القاديانية نشاطها التخريبى، لحساب القوى المعادية للإسلام، وتقوم القاديانية بنشر ترجمات محرفة لمعانى القرآن الكريم ، بمختلف اللغات العالمية.

ولمقاومة خطرها قرر المؤتمر عدة اشياء، منها إعلان كفر هذه الطائفة، وخروجها على الإسلام، وعدم التزوج منهم، وعدم دفنهم فى مقابر المسلمين، ومعاملتهم باعتبارهم كفارا»[١].

---

(١) موقف الأمة الإسلامية من القاديانية : ٦٩ ، ٧٠ .

هذا أقل ما يفعل بشأن هؤلاء الضالين المضلين، الذين يكيدون للإسلام، من خلال الصف الإسلامى.

فحرى بكل مسلم أن يتنبه لمثل هذه التفاسير الدخيلة المنحرفة حتى لا يخدع بها، فينقلب على عقبيه بعد إذ هداه الله، وعليه بما أجمعت عليه الأمة ؛ فهى لا تجتمع على ضلالة والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

المبحث الثالث

٣- تفسير البابية - والبهائية

وهذا نوع آخر من التفاسير المنحرفة، الفاسدة، ظهر على أيدى جماعة عرفت بالبابية والبهائية.

والبابية نسبة إلى المؤسس الأول للجماعة، حيث كان يلقب بالباب.

والبهائية نسبة إلى المؤسس الثانى، حيث كان يلقب ببهاء الله.

وإليك نبذة سريعة عن نشأتها، كما يحدثنا عنها تاريخها:

« قامت هذه النحلة على يد ميرزا على محمد، الملقب بالباب، الذى نشأ فى شيراز، بجنوب إيران، وأخذ شيئا من مبادئ العلوم، ثم اشتغل بالتجارة، ولما بلغ من العمر الخامسة والعشرين ادعى أنه المهدى المنتظر.

وكان إعلانه بهذه الدعوة سنة ١٢٦٠هـ، فأخذها بالتسليم طائفة من الجاهلين، وأرسل بعض هؤلاء إلى نواح مختلفة من إيران، للإعلام بظهوره، وبث شىء من مزاعمه»[١].

ولم يكتف الباب بادعائه أنه المهدى المنتظر، بل انتهى أمره إلى أن ادعى النبوة!!

وأعلن دينه بأن معنى قيام الساعة هو نسخ الشريعة المحمدية بشريعته المخترعة، وقيام أمته بعد الأمة الإسلامية.

وادعى أن هذا هو المعنى فى كل ما ورد فى الشريعة، من قيام الساعة، والبعث، والنشور، ودخول الجنة والنار.

---

(١) البابية أو البهائية، فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين: ٧ ط مجمع البحوث الإسلامية.

فمن كان معه فهو فى الجنة، وإلا فهو فى النار!!

وزعم أنه هو الذى وكل إليه بيان القرآن، وأن الرسول ﷺ لم يبينه!!![١].

ولقد تنبه العلماء لهذه الجماعة، فقاموا فى وجهها، وعقد بعض الولاة بينهم وبين ميرزا على هذا مجالس للمناظرة.

فرأى بعضهم ما فى أقواله من غواية، وخروج عن الدين، فأفتى بكفره، ورأى آخرون ما فيها من لغو وسخافة فنسبه إلى الجنون، واختلال الفكر.

واعتقل فى شيراز، ثم بأصبهان، وساقته الحكومة الإيرانية فى عهد الملك ناصر الدين شاه إلى تبريز.

وثارت بين أشياعه وبين المسلمين فتن وحروب، سفكت فيها الدماء، وكانت عاقبته أن أعدمته الحكومة، فى تبريز صلبا عام ١٢٦٥هـ.

ثم وقعت بعد قتله فترة كان أتباعه فيها على اختلاف فى شأن من ينوب عنه، إلى أن دبروا اغتيال الملك ناصر الدين، انتقاما لزعيمهم، فهجم عليه اثنان منهم، فخاب سعيهم، وأخذت الحكومة تتقصى أثر البابيين، وتسوق زعماءهم إلى مجلس التحقيق.

وكان الميرزا حسين على الذى لقبوه ببهاء الله من شيعة الباب، ودعاة نحلته، فقبض عليه، وسجن بطهران بضعة أشهر، ثم أبعد إلى بغداد سنة ١٢٦٩هـ. ولما أدركت الحكومة الإيرانية خطر هذه الفئة، وما يبيتونه من فتن جعلت ترقبهم بحذر واحتراس، فالتحق طوائف منهم ببغداد، واجتمعوا حول ميرزا حسين، الملقب ببهاء الله، ثم حدث بينهم وبين

---

(١) رد أوهام القاديانية: ٨٨، للحافظ التجانى.

الشيعة ببغداد شقاق، وكاد يفضي إلى قتال، فقررت الحكومة العثمانية وقتئذ إبعاد البابيين من العراق، فنقلتهم إلى الآستانة، ونفتهم إلى أدرنة.
وفي هذه الفترة قام المسمى «بهاء الله» يدعو إلى نفسه، ويزعم أنه هو الموعود به، الذي أخبر عنه الباب، وقبل دعوته أكثر البابيين، وتسموا حينئذ بالبهائيين.

وممن رفض دعوته أخوه ميرزا يحيى، الملقب «صبح أزل» ثم إن الحكومة العثمانية أمرت بإبعاد الفريقين من أدرنة، فنفت الميرزا يحيى وأتباعه إلى قبرص، ونفت البهاء وأتباعه إلى «عكة» بفلسطين.

ويقى بهاء بعكة إلى أن هلك عام ١٣٠٩هـ.

فتولى رئاسة الطائفة ابنه عباس، الذي لقبوه بـ «عبد البهاء» فأخذ يدعو إلى هذا المذهب ويتصرف فيه كما يشاء، ولم يرض عن صنيعه هذا أصحاب البهاء، فانشقوا عنه، والتفوا حول أخيه الميرزا علي، وألفوا كتبا بالفارسية والعربية وطبعوها في الهند، يطعنون بها في سيرة عباس، ويصفونه بالمروق من دين البهاء[١].

والغريب في الأمر أن البهائية وجدت في مصر بعض أتباع لها في أوائل هذا القرن، حتى صدر قرار جمهوري في عام ١٩٦٠م بحل محافلهم، حتى قام المسمى بالفنان حسين بيكار، بإعادة تكوين الطائفة في مصر، وتولى رعاية أمور الطائفة بشكل مكثف، رغم حظر نشاطها، إلى أن قبض عليه مع عدد كبير في شهر فبراير ١٩٨٥م[٢]، ولكنه أفرج عنه بزعم سوء حالته الصحية.

---

(١) البابية أو البهائية: ٧-١٠.

(٢) جريدة الجمهورية المصرية، الصادرة أول مارس ١٩٨٥م.

مقارنة بين الباطنية والبهائية

من يقرأ تاريخ الفرق المبتدعة فى دين الله تعالى فيدرك- دونما جهد أو عناء- أن البابية والبهائية على الرغم من ظهورها على مسرح الحياة حديثا، إلا أنها فى حقيقة الأمر ليست وليدة العصر بل هى الوليد غير الشرعى للباطنية القديمة والامتداد التاريخي، والعقدى، والسياسى لها، بما حوته من مبادئ فلسفية هدامة، ومعتقدات دينية وسياسية فاسدة.

ولذلك فقد سارت على درب الباطنية، ونهجت نهجها فى تأويل النصوص تأويلا، أشبه بالهذيان حتى يفسدوا على المسلمين دينهم، ويصدوا غيرهم عن الدخول فى دين الله الحنيف..

وهذه بعض أوجه الشبه بين الباطنية والبهائية[1]:

١- الباطنية يستدلون بكلام النبوة، ويحرفون كلم القرآن والحديث عن مواضعه، كما فسروا حج البيت العتيق بزيارة شيوخهم، والبابية أو البهائية يستدلون بالقرآن والحديث ويذهبون فى تأويلهما إلى مثل هذا الهذيان نفسه.

وللميرزا على المسمى بالباب تفسير لسورة يوسف، مشى فيه على هذا النمط فقال فى قوله تعالى: ﴿ **إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين** ﴾:

المراد من يوسف: حسين بن على، والمراد بالشمس فاطمة، وبالقمر محمد، وبالنجوم أئمة الحق، فهم الذين يكون على يوسف سجدا.

٢- الإمام المعصوم الذى يدعيه الباطنية هو ما يسميه البابية والبهائية

---

(١) انظر فى ذلك البابية أو البهائية من ص ١٤-٣٠.

بـ «من يظهره الله »، ويزعمون أنه هو الذى يعرف تأويل ما جاء به الرسل عليهم السلام.

٣- فى الباطنية من يدعى أنه نبى، أو يعتقد فى آخر أنه نبى يوحى إليه.

وميرزا على الملقب بالباب يدعى أنه رسول من الله ووضع كتابا ادعى أن ما فيه شريعة منزلة، وسماه البيان، وأرسل رسالة إلى الإمام الآلوسى، صاحب تفسير روح المعانى، يدعوه فيها إلى مذهبه «إننى أنا عبد الله ، قد بعثنى الله بالهدى من عنده».

وسمى مذهبه فى هذه الرسالة دين الله، فقال:

« ومن لم يدخل فى دين الله مثله كمثل الذين لم يدخلوا فى الإسلام ». وكذلك يدعى زعيمهم المسمى بهاء الله.

وزعم الباب أن شريعته ناسخة للشريعة الإسلامية فابتدع لأتباعه أحكاما خالف بها أحكام الإسلام وقواعده فجعل الصوم تسعة عشر يوما، من شروق الشمس إلى غروبها، وعين لهذه الأوقات وقت الاعتدال الربيعى، بحيث يكون عيد الفطر عندهم يوم النيروز على الدوام، وجعل ميرزا حسين الملقب ببهاء الله الصلاة تسع ركعات فى اليوم والليلة، وقبلة البهائيين فى صلاتهم التوجه أين يكون ميرزا حسين، فإنه يقول لهم: إذا أردتم الصلاة فولوا وجوهكم شطرى الأقدس.

أما الحج فقد أبطله البهاء، وأوصى بهدم بيت الله الحرام، عند ظهور رجل مقتدر من أشياعه.

٤- من الباطنية من منع العوام من مدارسة العلوم، والخواص من النظر فى الكتب المتقدمة، حتى يبقوا فى عماية، وهو الحسن بن محمد الصباح، ونجد ميرزا على المسمى الباب قد حرم فى كتابه «البيان» التعلم،

وقراءة كتب غير كتبه، فكان كل من يؤمن بالباب يحرق القرآن الكريم، وما وقع في يده من كتب العلم، ولكن الميرزا حسين المسمى بهاء الله أدرك ما في هذا التحجير من خطأ مكشوف، وأنه مما يصرف عنهم ذوى العقول النابهة، فأتى في كتابه الذى سماه «الأقدس» بما ينسخه، فقال:

«قد عفا الله عنكم ما نزل في البيان، من محو الكتب، وأذناكم بأن تقرأوا من العلوم ما ينفعكم».

٥- في الباطنية من يدعى حلول الإله في بعض الأشخاص، كما قال القرامطة بإلهية محمد بن إسماعيل بن جعفر، وهذه الدعوى- دعوى الحلول- تظهر في بعض مقالات البهائية.

٦- وقلد البهائية الفلاسفة فيما يدعونه من قدم العالم !! ففى كتاب «بهاء الله العصر الجديد» ما نصه:

«علم بهاء الله أن الكون بلا مبدأ زمنى، فهو صادر أبدى من العلة الأولى، وكان الخلق دائما مع خالقهم وهو دائما معهم».

٧- يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أن الباطنية دائما مع كل عدو للمسلمين، وقال: «إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك الإسلام إلا بمعاونتهم».

وكذلك نجد في البهائية تحيزا إلى أعداء المسلمين واضحا، وبخاصة اليهود..

وهكذا نرى أن البابية والبهائية لم تكن بالنحلة المحدثة، ولكنها الباطنية العصرية وإن أسموها باسم آخر.

العلاقة بين البهائية والصهيونية

اليهود قوم بهت، جبلوا على المكر، وطبعوا على الخديعة، فما أن يخطر ببالهم شيء يضر بالإسلام وأهله إلا فتحوا له قلوبهم، وأعملوا من أجله عقولهم، حتى يقع موقع التنفيذ، بكل ما يرون من وسائل، وبكل ما يتاح لهم من سبل.

ولذلك فقد رأى اليهود فى البهائية الوسيلة العظمى لتشويه عقيدة الإسلام، فتفتقت عقولهم الماكرة، وسولت لهم أنفسهم الخبيثة الدخول فى البهائية، واتخاذها مطية تبلغهم ما يريدون من دسائس، وما يشاءون من مكائد، ويجعلون منها ساترا قبيحا وحصنا حصينا، يكيدون من خلفه، ويحيكون من ورائه المؤامرات. ويذكر التاريخ أن عددا هائلا من اليهود قد اعتنقوا البهائية..

ويرى البهائيون أن هذا يعد انتصارا عظيما لهذه النحلة القائمة- فى نظرهم- على التسامح، فلذلك دخلها اليهود عن حب واقتناع، دون ضغط أو إرهاب، عكس ما حدث لليهود الذين أسلموا من طريق غير البهائية، فإسلامهم- كما يرون- كان تحت تأثير السيف، وخوف السياط، وقتل النفس، وتشريد الذرية.

ولقد تلاعبت الصهيونية بالبهائية تلاعبا خبيثا، لدرجة أنهم أوّلوا نصوص التوارة بما يتفق وهوى البهائيين.

«فقد لقبت الصهيونية عبدها الجديد الميرزا حسين على ببهاء الله، وزعمت أنه المقصود بما ورد فى أسفار اليهود عن بهاء الله، كسفر أشعياء، «يدفع إليه مجد لبنان، بهاء كرمل وشارون، وهم يرون مجد الرب إلهنا بهاء إلهنا» لقد اعتادت البهائية التعبير بالرموز والطلسمات عن أصول

دينها، ولكنها فى التعبير عن صهيونيتها الخبيثة لا ترضى بغير الكلمات الواضحة، والدلائل الجلية، ويلوك الغَمُّ وجهها إن ظننت بها أنها ليست نجسا صهيونيا»[١].

وفى مقابل ما تقدمه الصهيونية للبهائيين فقد تعبد لها البهائيون أيما تعبد، وأسموها بأسماء لم تسم هى نفسها بها!!!

فقد زعم أحد زعمائهم- وهو ما يسمى «بابى الفضل» أن الصهيونية فى عصره قد تحقق فيهم وعد الله المذكور فى القرآن: ﴿ ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾[٢]، تحقق فيهم ما جاء فى سفر زكريا: «يمسك عشرة رجال من جميع ألسنة الأمم بذيل رجل يهودى قائلين: نذهب معكم لأننا سمعنا أن الله معكم».

واليهود أنفسهم لا يزعمون هذا الزعم، لأن الواقع يكذبهم[٣].

وتصور جريدة الجمهورية -القاهرية- هذه الصلة الوطيدة بين البهائية والصهيونية وغرضها الرئيسى بقولها:

« إن إسرائيل وجدت فى البهائية فكرة تساعد الصهيونية على الانتشار، وهى التوحيد بين الأديان، وهدم الإسلام، وإلغاء فكرة وفريضة الجهاد، وتحريفها، فتبنت البهائية، وجعلت من حيفا مقرا لبيت زعيمهم العدل الأعظم، وقبلة لهم، وبنت لهم مقرا، بعدما وجدت فيها تمييعا للولاء للوطن وربطتهم بالصهيونية العالمية، وهدم الأديان، بتأويل القرآن، والكتب المقدسة»[٤].

---

(١) البهائية: تاريخها، وعقيدتها، وصلتها بالباطنية والصهيونية: ٣٢٤.

(٢) سورة القصص الآية: ٥.

(٣) المصدر قبل السابق: ٣٢٥، ٣٢٦.

(٤) جريدة الجمهورية القاهرية الصادرة أول مارس ١٩٨٥م.

أمثلة من تحريفات البابية والبهائية

سبق أن ذكرنا أن «الباب» فسر سورة يوسف تفسيرا خاصا يخدم هواه، وأنه قال: المراد من يوسف حسين بن على، والمراد بالشمس فاطمة، وبالقمر محمد، وبالنجوم أئمة الحق. ونزيدك هنا ما هو غاية فى الغرابة والتلاعب بالنصوص.

يقول «الباب» فى تفسير سورة يوسف عند تفسير قوله تعالى ﴿ إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفى ضلال مبين ﴾ يقول ما نصه:

«... إذ قالوا حروف لا إله إلا الله، وإن يوسف أحب إلى أبينا مما بما قد سبق من علم الله حرفا مترا بالسر، مقنعا على السر، محتجبا فى سطر، غائبا فى سر السر، مرتفعا عما فى الدنيا وأيدى العالمين جميعا، وإنا نحن عصبة فيما أراد الله فى شأن يوسف النبى محمد العربى، حول السطر مسطورا، وإن الله قد فضل أبانا بفضل نفسه، وقدر الله سر المستر من سر أمره بما فى أيدى العالمين، بالكشف المبين على أهل النار، من سر (الباء) ضلالا.. الخ»[1]

وبعد الباب جاء بهاء الله، وكانت له تأويلاته الخاصه، فهو يرى أن ما ورد فى القرآن من الصراط والزكاة والصيام والحج والكعبة والبلد الحرام، وما إلى ذلك لا يراد به ظاهره، وإنما يراد به الأئمة.

وفى هذا يقول: «قال أبو جعفر الطوسى: قلت لأبى عبد الله أنتم الصراط فى كتاب الله، وأنتم الزكاة وأنتم الحج؟ قال: يا فلان نحن الصراط فى كتاب الله عز وجل، ونحن الزكاة، ونحن الصيام ونحن

---

(١) التفسير المقرون ٢/٢٦٦ نقلا عن كتاب مفتاح باب الأبواب.

الحج، ونحن الشهر الحرام، ونحن البلد الحرام، ونحن كعبة الله، ونحن قبلة الله، ونحن وجه الله!!!

وفى كتاب بهاء الله والعصر الجديد ما يدل على أن البهائيين لا يعترفون بالبعث، ولا بالجنة والنار؛ حيث يفسرون يوم الجزاء ويوم القيامة بمجئ ميرزا حسين، الملقب ببهاء الله..

جاء فى هذا الكتاب: «وطبقا للتفاسير البهائية يكون مجئ كل مظهر إلهى عبارة عن يوم الجزاء، إلا أن مجئ المظهر الأعظم بهاء الله: هو يوم الجزاء الأعظم، للدورة الدنيوية التى نعيش فيها».

وقال: «ليس يوم القيامة أحد الأيام العادية، بل هو يوم يبتدئ بظهور المظهر، ويبقى ببقاء الدورة العالمية»[(١)].

وهذه هى بعض النصوص الخاصة بتعاليم البهائية دون تدخل فيها ليقف الإنسان بنفسه على مدى ما وصل إليه البهائيون من كفر وزندقة:

فتحت عنوان «المظهر الأعلى» جاء ما نصه:

«قد أعلن بهاء الله دعوته كجميع الرسل السابقين، بعبارة لا يتطرق إليها الخطأ، ففى اللوح الذى نزل إلى أحد المسيحيين يقول مترجما عن الإنجليزية:

قد أتى الآب، وتم ما وعدتم به فى الملكوت، وهذه هى الكلمة التى سترها الابن، إذ قال لمن حوله: إنكم لن تحتملوها، فلما جاء الميقات، وأتت الساعة أشرقت الكلمة من أفق الإرادة.

إياكم يا ملأ الابن أن تطرحوها وراء ظهوركم، بل تمسكوا بها إنها أحسن لكم عن كل ما هو عندكم، قد أتى روح الحق ليرشدكم إلى كل

---

(١) التفسير المفسرون ٢/٢١٦، ٢٦٧.

الحق، إنه لا يتكلم من نفسه، بل من لدن عليم حكيم، وهو الذى مجده الابن، اتركوا ما عندكم يا ملأ الأرض، وخذوا ما أمرتم به من لدن قوى أمين»[١].

وعن نظام البهاء فى الوصية والميراث جاء ما نصه:

«قرر بهاء الله أن يكون لكل شخص الحق فى التصرف فى أملاكه، فى حال حياته بأى طريقة يختارها، وأوجب على كل شخص وصيته، ويعين فيها كيف يكون تقسيم ميراثه بعد وفاته. فإذا توفى شخص بدون وصية يقسم ما تركه على نسب معينة، على سبعة أصناف من الوراث، وهم الأولاد والزوجة، أو الزوج والأب والأم، والإخوة والأخوات والمعلمين»[٢].

وعن الصيام

يقول المؤلف: «إن شهر الصيام عند البهائيين هو الشهر التاسع عشر الذى يلى الأيام الزائدة المخصصة للضيافة، ويجب الامتناع عن تناول الطعام من الشروق للغروب، مدة تسعة عشر يوما، وبما أن فصل الصيام ينتهى عند الاعتدال الربيعى فإنه يقع دائما فى فصل واحد، أى فى الربيع فى الجزء الشمالى، وفى الخريف فى الجزء الجنوبى، من الكرة الأرضية، ولا يقع مطلقا فى حر الصيف الشديد، أو برد الشتاء القارس».

---

(١) بهاء الله والعصر الجديد ص١٢٩ ، تاليف البروفيسور ج.أ. اسلمنت.

(٢) المصدر السابق: ١٤٧.

وعن قصة آدم وحواء يقول عبد البهاء

«إذا صرفنا القصة على ظاهرها وعلى مقتضى مصالح العوام فإنها تكون فى نهاية الغرابة، ويكون العقل معذورا فى عدم تصديقها وتصورها، لأن مثل هذا الترتيب فى التفصيل والخطاب والعقاب يستبعد حصوله من شخص عاقل، فكيف من الله تعالى، الذى رتب هذا الكون اللامتناهى على أكمل صورة، ويزين هذه الكائنات اللامتناهية بنهاية الاتقان والكمال، ولهذا فإن قصة آدم وحواء والتناول من الشجرة، والخروج من الجنة جميعها رموز، ولها معان كلية، وأسرار إلهية، وتأويل بديع»(٢).

وعن الجنة والنار جاء ما نصه:

«إن بهاء الله وعبد البهاء يعتبران الأخبار الواردة عن الجنة والنار فى الكتب المقدسة حقائق مرموزة، كحكايات آدم، والخليقة المعلومة، والتى لم تقع حرفيا، فعندهما الجنة هى حال الكمال، والنار حالة النقص، والجنة هى الانقياد لإرادة الله والوفاق مع الناس، والنار هى عكس ذلك.

فالجنة هى الحياة الروحانية، والنار هى الموت الروحانى، والإنسان إما أن يكون فى الجنة أو النار قبل مفارقة البدن.

فسرور الجنة ونعيمها روحانى، وآلام الجحيم عبارة عن الحرمان من هذا النعيم»(٣).

وهكذا تفصح البهائية عن نفسها، وتعلن مبادئ كفرها، تحت دعوى

---

(١) المصدر السابق : ١٨٠ .

(٢) المصدر السابق : .

(٣) المصدر السابق : ١٨٥ ، ١٨٦ .

التفسير الباطنى، والرموز بما يتنافى تماما مع أبسط قواعد الإسلام.

ولقد أصدر الأزهر الشريف عدة فتاوى بكفر هذه النحلة، لاعتناقها هذه المبادئ الضالة المضلة..

وكان آخر ما صدر عن الأوساط الدينية فى مصر بشأن هذه النحلة هذا التقرير المبدئى، الذى قدمه فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد الحسينى هاشم، وكيل الأزهر، وأمين مجمع البحوث الإسلامية لنيابة أمن الدولة العليا، بعد القبض على جماعة منهم فى مصر ، فى شهر فبراير ١٩٨٥م.

قال فضيلته فى هذا التقرير:

«إن جميع الفتاوى التى صدرت من الأزهر منذ الشيخ الخضر حسين أفتت بتكفير هذه الطائفة، وخروجها عن الدين الإسلامى لما يأتى :

١- بالقول إن محمداً رسول الله ﷺ ليس خاتم الأنبياء، وهذا يخالف صريح نص القرآن والسنة، وما علم من الدين بالضرورة.

٢- إنكار ما جاء بالقرآن، بل القول بإلغائه، وهذا كفر صريح.

٣- البهائية مذهب يحاول صياغة دين جديد، بالخلط بين اليهودية والمسيحية والإسلام، لإيهام السذج بانه الدين الذى يجمع بين جميع الديانات، وهذا خروج على اليهودية والمسيحية والإسلام.

٤- عندما ظهرت هذه الدعوة فى إيران حاربها العلماء، وأعدموا زعيمهم، بعد محاكمته وظهور كفره.

٥- اعتبارهم حيفا قبلة لهم، بدلا من الكعبة!!!، وهذا كفر وضلال للقرآن والسنة، وما أجمعت عليه الأمة[1].

---

(١) جريدة الجمهورية - المصرية - الصادرة فى أول مارس ١٩٨٥م.

وهكذا رأينا أن البهائية تمثل ثغرا خطيرا للدخيل فى التفسير، لأنها وإن اعترفت بالقرآن الكريم إلا أنها تفسره تفسيرا يتمشى مع هواها، بحيث تهدم قواعد الإسلام وما بنى عليها **﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾**[١].

(١) سورة التوبة الآية : ٣٢ .

الفصل الرابع

الدخيل عن طريق التفسير الصوفي

تفاسير بعض الصوفيين

ومن التفاسير المنحرفة، تلك التفاسير التى ظهرت على أيدى جماعة من المتصوفين.

وكلمة صوفى اختلف العلماء فى اشتقاقها ، وتعددت عباراتهم ، وأقرب ما قيل فى ذلك ما ذكره العلامة ابن خلدون فى مقدمته، حيث يقول رحمه الله :

«لا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ، ولا قياس، والظاهر أنه لقب، ومن قال اشتقاقه من الصفا، أو من الصُّفَّة فبعيد من جهة القياس اللغوى، قال : وكذلك من الصوف ؛ لأنهم لم يختصوا بلبسه.

قلت : والأظهر -إن قيل بالاشتقاق- أنه من الصوف، وهم فى الغالب مختصون بلبسه ؛ لما كانوا عليه من مخالفة الناس، فى لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف »[١].

وهذه الكلمة- كلمة صوفى - لم تطلق على هذه الجماعة التى انتهجت فى حياتها منهج الزهد إلا فى منتصف القرن الثانى الهجرى، وفى هذا القرن تولدت بعض الأبحاث الصوفية، وظهرت تعاليم القوم، ونظرياتهم التى تواضعوا عليها، وأخذت هذه الأبحاث والتعاليم تنمو، وتزداد، كلما تقادم العهد عليها، وبمقدار ما يستفيده القوم ممن يتصلون بهم من الفلاسفة، وغيرهم[٢].

---

(١) مقدمة ابن خلدون : ٤٦٧ ط : المكتبة التجارية الكبرى .

(٢) انظر الاتجاهات المنحرفة فى التفسير : ٧٧ .

ولقد تأثر المتصوفة منذ نشأتهم بجهات متعددة إلا أن الفلاسفة كان لهم نصيب الأسد من هذا التأثير فيهم، وقد بدا ذلك واضحا على بعض منهم. لدرجة أنهم اعتنقوا مسائل فلسفية، فيها مجافاة للشريعة الإسلامية، مما جعل جمهور أهل السنة يثور عليهم.

وفي ذلك يقول فضيلة الدكتور محمد الذهبي -رحمه الله- :

ولقد استفاد المتصوفة من الفلاسفة والمتكلمين، والفقهاء ما كان له الأثر الأكبر في هذا التطور الصوفي، غير أنهم أخذوا من الفلسفة بحظ وافر، بل وكونوا فلسفة خاصة بهم، حتى أصبحنا نرى بينهم رجالا أشبه بالفلاسفة منهم بالمتصوفة ، وأصبحنا نرى بعضهم يدين بمسائل فلسفية، لا تتفق ومبادئ الشريعة، مما أثار عليهم جمهور أهل السنة، وجعلهم يحاربون التصوف الفلسفي، ويؤيدون التصوف الذي يدور حول الزهد، والتقشف، وتربية النفس واصلاحها.

ومازل أهل السنة يحاربون التصوف الفلسفي، حتى كادوا يقضون عليه في نهاية القرن السابع الهجري.

ومن ذلك الوقت دخل في التصوف رجال من غير أهله، تظاهروا بالورع والطاعة، وتحلوا بالزهد الكاذب، والتقشف المصطنع، فأصبحنا نرى بعض الجهلاء الأميين يشرفون على الطريق، ويتولون تربية الأتباع والمريدين، ووقفت التعاليم الصوفية عند دائرة محددة، هي دائرة الأوراد، والأذكار، وإن تعدتها فلا أكثر من بعض الأبحاث الضيقة، في الفقه، والتفسير، والحديث»[1].

---

(١) التفسير والمفسرون : ٣٢٨/٢ ، ٣٣٩ .

«مسلك الصوفية فى تفسير القرآن الكريم»

استنادا لما روى عن الحسن مرسلا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لكل آية ظهر وبطن» جاءت تفاسير الصوفية على هذا النحو، فقالوا إن لكل آية ظاهرا معلوما، وباطنا يختص بعلمه أهل الطريق. ولكن الإمام الغزالى لم يترك علم هذا الباطن والتكلم فيه هكذا بدون ضوابط وبدون حدود، بل كان له مقياس خاص فى ذلك، فقد عقد بابا خاصا فى كتابه «الإحياء» عن الكلام فى فهم القرآن، وتفسيره بالرأى من غير نقل، واستمع إليه وهو يقعد هذه القاعدة فيقول:

«فمن لم يحكم بظاهر التفسير، وبادر إلى استنباط المعانى بمجرد فهم العربية كثر غلطه، ودخل فى زمرة من يفسر بالرأى، فالنقل والسماع لابد منه فى ظاهر التفسير أولا؛ ليتقى به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم.

والغرائب التى لا تفهم إلا بالسماع كثيرة، ونحن نرمز إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها، ويعلم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولا، ولا مطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر.

ومن ادعى فهم أسرار القرآن، ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعى البلوغ إلى صدر البيت، قبل مجاوزة الباب، أو يدعى فهم مقاصد الأتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك!!، فإن ظاهر التفسير يجرى مجرى تعليم اللغة، التى لابد منها للفهم»[1].

وحول هذا المعنى -من اشتراط الأخذ بالمعنى الظاهر أولا- تدور

---

(١) إحياء علوم الدين: ١/٢٩١ ط دار التراث العربى.

عبارة العلامة الآلوسى، يقول رحمه الله :

« وأما كلام السادة الصوفية فى القرآن فهو من باب الإشارات إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة ، وذلك من كمال الإيمان، ومحض العرفان. لا أنهم اعتقدوا أن الظاهر غير مراد أصلا، وإنما المراد الباطن فقط؛ إذ ذاك اعتقاد الباطنية الملاحدة، توصلوا به إلى نفى الشريعة بالكلية، وحاشا سادتنا من ذلك!! ، كيف وقد حضوا على حفظ التفسير الظاهر، وقالوا لابد منه أولا إذ لا يطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، ومن ادعى فهم أسرار القرآن قبل إحكام التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب »[1].

وإذا كان الإمام الغزالى، والعلامة الآلوسى قد قررا أنه لابد من الأخذ بالظاهر إلا أن تفاسير السادة الصوفية قد تفاوتت فى مدى تطبيق هذه القاعدة!!

«فبعضهم جمع فى تفسيره بين ظاهر القرآن وباطنه مثل الإمام الآلوسى، فى كتابه (روح المعانى)، فإنه يولى عنايته أولا للمعانى الظاهرة، ثم يتبع ذلك بذكر الباطن؛ فيقول: ومن البطون كذا، أو من باب الإشارات كذا، بيد أن تفسير الآلوسى أقرب إلى أهل الظاهر منه إلى أهل الباطن.

ومنهم من غلبت عليه ناحية التفسير الباطنى مع تعرضه قليلا للتفسير الظاهر، وذلك كما فعل سهل التسترى فى تفسيره.

ومنهم من وجه همته كلها للتفسير الباطنى، ولم يحم

---

(١) تفسير الآلوسى (روح المعانى) : ٧/١ .

حول المعانى الظاهرة للقرآن الكريم، مثلما فعل أبو عبد الرحمن السلمى فى كتابه (حقائق التفسير) ،ومحيى الدين بن عربى فى مواضع من (الفتوحات المكية)، و (فصوص الحكم)، وفى التفسير المنسوب إليه»[1].

وإذا نظرنا إلى تفاسير السادة الصوفية وجدناها تنقسم إلى قسمين:

١- صوفى نظرى ينبنى على مقدمات علمية، تنقدح فى ذهن الصوفى أولا، ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك.

٢- وصوفى إشارى، لا يرتكز على مقدمات علمية، بل يرتكز على رياضة روحية، يأخذ بها الصوفى نفسه، حتى يصل إلى درجة تنكشف له فيها من سجف العبارات هذه الإشارات القدسية، وتنهل على قلبه، من سحب الغيب ما تحمله الآيات ، من المعارف السبحانية[2].

« وإذا ما ذهبنا نستعرض ما للقوم من تفسير صوفى نظرى ومالهم من تفسير إشارى فيضى وجدنا فى هذا أو ذاك اتجاها منحرفا عن النهج القويم، لتفسير القرآن الحكيم.

فالتفسير الصوفى النظرى تفسير يخرج بالقرآن -فى الغالب- عن هدفه، الذى يرمى إليه، يقصد القرآن هدفا معينا، بنصوصه وآياته، ويقصد الصوفى هدفا معينا، بأبحاثه ونظرياته، وقد يكون بين الهدفين تنافر وتضاد، فيأبى الصوفى إلا أن يحول القرآن عن هدفه ومقصده، إلى ما يقصده هو، ويرمى إليه، وغرضه بهذا كله: أن يروج لتصوفه، على حساب القرآن، وأن يقيم نظرياته، وآراءه ، على أساس، من كتاب الله،

---

(١) الدخيل فى التفسير، لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الوهاب فايد ٢/١٥٩ .

(٢) التفسير والمفسرون : ٢/٣٥٢ .

وبهذا الصنيع يكون الصوفى قد خدم فلسفته، ونظرياته، التصوفية، ولم يقدم للقرآن شيئاً، إلا هذا التأويل، الذى كله شر على الدين، وإلحاد فى آيات الله»[1].

« أما الاتجاه الإشارى الفيضى: فللقوم فيه جولات وشطحات، وإذا بحثنا عن مستند لهذا الاتجاه فى التفسير وجدنا مستندهم الأول والأهم ما ينسب إلى رسول الله ﷺ من أن القرآن له ظاهر وباطن، وعلماء الرسوم -فى زعم القوم- يفهمون الظاهر فقط، أما الباطن فلا يدركه إلا من صفت نفسه، وتعلق بالله قلبه، حتى أصبح يدرك بعين اليقين ما لا يدركه أهل الرسوم بعلم اليقين.

ولا نريد أن نناقش القوم فى صحة ما ينسب إلى رسول الله ﷺ من أن القرآن له ظاهر وباطن، ولكن نناقشهم فى معنى الظاهر والباطن، فهل الظاهر ما يظهر من معنى النص القرآنى بادىء الرأى، والباطن ألغاز، وأحاجى، ومعميات، لا يفهمها إلا هُمْ؟ لا.. فالقرآن فوق هذا، لأن الله تعالى يقول فى شأنه: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾[2]، ويقول: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾[3]، ويقول: ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات﴾[4].

والذى أدين الله عليه أن ظاهر القرآن -وهو المنزل بلسان عربى مبين- هو المفهوم العربى المجرد، وباطنه هو مراد الله تعالى، وغرضه الذى يقصد إليه من وراء الألفاظ، والتراكيب»[5].

---

(١) الاتجاهات المنحرفة فى التفسير: ٧٨.

(٢) سورة القمر الآيات: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

(٣) سورة المائدة الآية: ١٥.

(٤) سورة البقرة الآية: ٩٩.

(٥) الاتجاهات المنحرفة: ٨١، ٨٢.

نماذج من شطحات الصوفية*

نقصد بالشطحات هنا تلك العبارات التى صدرت عن بعض الصوفية، حاملة فى طياتها بعداً عن الحق، ومجافاة للصواب بصورة لاتمت إلى الدين بصلة، من قريب أو من بعيد، مثلما حكى عن أبى يزيد البسطامى أنه قال : «أنا الحق»!!، وفى بعض الأحيان تصل تلك الشطحات إلى درجة هى للكفر أقرب منها للإيمان..

وإذا أردنا أن نضرب لتلك الشطحات الصوفية أمثلة، فإننا نكتفى -للتصوف النظرى بثلاثة أمثلة :

المثال الأول : تفسير ابن عربى لقوله تعالى :

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾(1).

حيث يقول : «فعلماء الرسوم يحملون لفظ (قضى) على الأمر، ونحن نحمله على الحكم كشفا، وهو الصحيح، فإنهم اعترفوا أنهم ما يعبدون هذه الأشياء إلا لتقربهم إلى الله زلفى، فأنزلهم منزلة النواب الظاهرة بصورة من استنابهم، وما ثم صورة إلا الألوهية، فنسبوها إليهم، ولهذا يقضى الحق حوائجهم إذا توسلوا بها إليه، غيرة منه على المقام أن يهتضم، وإن أخطأوا فى النسبة فما أخطأوا فى المقام» (من الفتوحات المكية جـ٣ ص١١٧)..

المثال الثانى : تفسير ابن عربى -أيضا- لقوله تعالى :

﴿وإلهكم إله واحد﴾(2).

---

* هذه النماذج مأخوذة عن كتاب : الاتجاهات المنحرفة د/ محمد اللهبى.

(1) سورة الإسراء الآية : ٢٣ . (2) سورة البقرة الآية : ١٦٣ .

حيث يقول : إن الله -تعالى- خاطب فى هذه الآية المسلمين، والذين عبدوا غير الله قربة إلى الله ، فما عبدوا إلا الله، فلما قالوا : ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، فأكدوا ذكر العلة، فقال الله : إن إلهكم ، والإله الذى يطلب المشرك القربة إليه، بعبادة هذا الذى أشرك به واحد، كأنكم ما اختلفتم فى أحديته[١].

المثال الثالث: تفسير ابن عربى -أيضا- لقوله تعالى :

﴿ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا، رب المشرق والمغرب ﴾[٢].

حيث يقول : « واذكر ربك الذى هو أنت، أى اعرف نفسك، واذكرها، ولا تنسها ؛ فينسك الله، واجتهد لتحصيل كمالها، بعد معرفة حقيقتها ».

﴿ رب المشرق والمغرب ﴾ أى الذى ظهر عليك نوره، فطلع من أفق وجودك بإيجادك، والمغرب: الذى اختفى بوجودك، وغرب نوره فيك، واحتجب بك»[٣].

وواضح من هذا التفسير لهذه الآيات القرآنية أن ابن عربى لم يقصد به خدمة النص القرآنى، وإنما أراد بالنص القرآنى أن يخدم نظريته فى عقيدته القائمة على وحدة الوجود.

إن أقل ما يوصف به مثل هذا الشطح أنه إلحاد فى آيات الله تعالى، وتحريف الكلم عن موضعه، بدعوى التفسير، وتحت ستار الإلهامات الإلهية، والفيوضات الربانية .

---

(١) الفتوحات المكية : ٤/ ١٦٠ وما بعدها.

(٢) سورة المزمل الآيات : ٨ ، ٩ .

(٣) الاتجاهات المنحرفة : ٧٩ ، ٨٠ .

هذا عن النماذج الخاصة بشطحات القوم فى تفسيرهم الصوفى النظرى، فإذا ما جئنا إلى شطحاتهم فى تفسيرهم الإشارى وقفنا مدهوشين حائرين عاجزين، عن محمل نحمل عليه هذه التفاسير.

ولذلك يقول عنها فضيلة الأستاذ الدكتور محمد الذهبى -رحمه الله-:

«ولكن هناك أقوال لبعض الصوفية فى التفسير الإشارى، يقف أمامها العقل حائرا، وعاجزا عن تلمس محمل لها تحمل عليه، حتى تبدو صحيحة، وتصبح مقبولة».

فمن ذلك -وهو كثير- ما ذكره أبو عبد الرحمن السلمى فى تفسيره (الم) فاتحة البقرة . قال :

«الم» : قيل إن الألف ألف الوحدانية ، واللام لام اللطف، والميم ميم الملك.

معناه : من وجدنى على الحقيقة بإسقاط العلائق والأغراض تلطفت له، فأخرجته من رق العبودية إلى الملأ الأعلى، وهو الاتصال بمالك الملك، دون الاشتغال بشىء من الملك.

وقيل (الم) معنى الألف : أى افرد سرك، واللام : لين جوارحك لعبادتى ، والميم : أقم معى بمحو رسومك وصفاتك، أزينك بصفات الأنس بى، والمشاهدة إياى، والقرب منى»[1].

معان ما شهد لها قرآن ، وما شد من أزرها من السنة برهان، وهى -وإن قالوا عنها : إنها تفسير- فما هى بتفسير ، ولكنها ألغاز، ومشكلات، ومعميات وإن وصفوها بأنها إنكشافات وإلهامات.

---

(١) الاتجاهات المنحرفة فى التفسير : ٨٥ ، ٨٦ نقلا عن حقائق التفسير للسلمى : ص٩.

ولذلك يعقب عليها فضيلة الدكتور محمد الذهبى - بقوله :

« ولا شك أن مثل هذا التفسير الذى ذكره أبو عبد الرحمن السلمى تفسير مشكل، وأعظم منه إشكالا ما زعمه بعض القوم من أن هذه الحروف المقطعة فى أوائل السور ترمز إلى أسرار غيبية مكنية ، بل ويدعون -أحيانا- أن هذه الحروف هى أصل العلوم، ومنبع المكاشفات على أحوال الدنيا والآخرة، وينسبون ذلك إلى أنه مراد الله تعالى، فى خطابه العرب الأمية، التى لا تعرف شيئا من ذلك.

وهذه كلها دعاوى يدعونها على القرآن، ولا أحسب أنهم استندوا فيها إلى دليل مقنع.

وكل ما أقوله فيها: إنها دعاوى محالة على الكشف والاطلاع لا تصلح أن تكون دليلا شرعيا بحال من الأحوال »[1].

وصفوة القول فى التفسير الصوفى

أن هذه المعانى الباطنية الباطلة القائمة على دعوى الإلهامات والمكاشفات لا يمكن لنا -بحال من الأحوال- أن نقبلها مهما قيل عنها، ومهما وصفت به من صفات، مادامت قد خالفت قوانين الشريعة، أو تصادمت مع قواعد اللغة ، فهذان الشرطان لابد من توافرهما فى أى تفسير، سواء أكان ظاهريا أم كان باطنيا، وإلا رددناه على قائله، وضربنا بتفسيره عرض الحائط. وما أبدع ما يقوله أستاذنا الجليل، فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الوهاب فايد، فى هذا الشأن .

يقول - بارك الله فيه - :

(١) المصدر السابق : ٨٦ .

« فإنه ليس من الصواب فى شىء أن نقبل ونسلم بكل ما قاله الصوفية، فى تفسير القرآن الكريم، من إشارات ولو كانت من قبيل الشطحات، بدعوى أنهم تلقوا هذه الإشارات عن الله تعالى، بطريق الإلهام، كما يقول ابن عربى فى كلمته سالفة الذكر.

كما أنه ليس من الإنصاف فى شىء أن نلغى عقولنا ومسلمات ديننا لكى نسلم للصوفية بكل ما صدر عنهم من شطحات، لا يقبلها عقل، ولا يقرها شرع.

ولست أرى ما يراه الإمام الآلوسى -فى هذا الصدد- من أن الإنصاف كل الإنصاف هو التسليم للسادة الصوفية، الذين هم مركز للدائرة المحمدية ما هم عليه، واتهام ذهنك السقيم فيما لم يصل -لكثرة العوائق والعلائق- إليه.

ولكنى أرى ما يراه الإمام الشاطبى فى كتابه (الموافقات) من أن التأويل الباطنى للقرآن لابد فى قبوله من شرطين، هما موافقة اللغة، وشهادة الشرع، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم »[1].

(١) الدخيل فى تفسير القرآن ، أ.د/ عبد الوهاب فايد ٢/ ١٧١ ، ١٧٢ .

الفصل الخامس

الدخيل
عن طريق التفسير العلمي

الدخـــيل

عن طريق التفسير العلمى

ومن المصادر التى تسلل إليها الدخيل فى التفسير ، ما يعرف بالتفســير العلمى .

فما المقصود بالتفسير العلمى ؟

ومتى اتجهت أفكار العلماء وجهودهم إلى هذا الاتجاه ؟

ومن أبرز المؤيدين لهذا الاتجاه ؟

ومن أبرز المعارضين كذلك ؟

وما موقفنا من هذا الاتجاه ؟

وهل من نماذج للدخيل بسبب هذا الاتجاه ؟

ذلك مانجيب عنه فى الصفحات التالية ، بتوفيق من الله عزوجل ، علــى النحو التالى :

التفســير العلـمي

يقصد بالتفسير العلمي عند أصحابه :

بيان الآيات القرآنية الواردة في شأن الآفاق والأنفس وشرحها بمكتشفات العلم الحديث.[(١)]

---

(١) لم أجد لأصحاب هذا الاتجاه ـ فيما قرأت ـ تعريفاً محدداً للتفسير العلمي، وربما كان هذا الإهمال منهم لظهور مقصدهم منه، وهذا التعريف اجتهاد مني، بناء على قراءتي لمنهج هذا الاتجاه، وأعتقد أنه ينطبق تماماً ـ والله أعلم ـ على ما يقصده أصحاب هذا الاتجاه .
وكان الأستاذ أمين الخولي عرفه في كتابه «التفسير: نشأته ـ تدرجه ـ تطوره» صفحة ٤٩ بقوله :
«هو التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارة القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها» .
وقد تأثر بهذا التعريف بعض العلماء، كشيخ مشايخنا الأستاذ الدكتور محمد الذهبي رحمه الله في كتابه القيم «التفسير والمفسرون». والأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين في كتابه «اللآلئ الحسان في علوم القرآن»، وغيرهما .
ولنا على هذا التعريف ملاحظتان :
(أ) الأولى على كلمة «تحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن» فهذا يفهم منه أن كل تفسير علمي مبني على ليّ عبارة القرآن ليّاً، لتوافق معطيات العلم الحديث، إن طوعاً أو كرهاً .
وهذا شيء غير واقعي، لأن بعض الآيات يمكن حملها بسهولة على تلك المعطيات، وبهذا لا يكون في التفسير أي تحكم .
والذي دفع هؤلاء إلى التعبير بهذه الصيغة إنكارهم لهذا النوع من التفسير، واعتباره نوعاً من أنواع التحكم في العبارة القرآنية .
فأصحاب هذا التعريف جميعاً من المنكرين للتفسير العلمي، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .
(ب) ـ الملاحظة الثانية: أن الآراء الفلسفية ـ فيما أرى ـ لا تدخل ضمن التفسير العلمي فهو ـ فيما أعلم ـ خاص بالأسرار التي وقف عليها العلماء، في الآفاق والأنفس، دون ما يراه أهل الفلسفة من أفكار وآراء .

قدم الاهتمام بالتفسير العلمى

إن اهتمام العلماء بهذا الاتجاه ليس وليد العصر الحديث، صاحب الاكتشافات العجيبة، وإنما يضرب بجذوره فى أعماق تاريخ المسلمين .

فلقد ظهر هذا الاتجاه أثناء النهضة العلمية فى العصر العباسى، كما تدل على ذلك سلسلة البحوث التى اعتنت بالتفسير واتجاهاته منذ نشأته .

ولكنه كان أوضح ظهوراً حينما جاء أبو حامد الغزالى رحمه الله، حيث كان أبرز وأنشط من روج لهذا الاتجاه .

ثم نما هذا الاتجاه، على مر الأيام، مروراً بالفخر الرازى، وابن العربى، وابن أبى الفضل المرسى، وجلال الدين السيوطى، إلى يومنا هذا، حتى أصبحت الأبحاث والمؤلفات من الكثرة بما لا يحصى عدداً .

ولكن هذا الاتجاه على رغم علو أصوات أصحابه وكثرتهم، فإنه قد لقى معارضة غاية فى القوة من آخرين .

اختلاف العلماء تجاه التفسير العلمى

وعلى ذلك: فإن العلماء لم تتفق كلمتهم حول قبول هذه النزعة التفسيرية، فكما وجدنا لها أنصاراً ومؤيدين، وجدنا لها أيضاً منكرين ومعارضين ..

ولكل من الفريقين وجهة نظره، التى دعمها بما يراه من أدلة قوية فى نظره .

ونحن فى هذا المقام نتحدث عن أبرز زعماء كل فريق، مع بيان حجته .

أبرز المؤيدين

لو نظرنا إلى مؤيدى هذا الاتجاه منذ ظهوره إلى الآن لوجدناهم من الكثرة بحيث لا يحصون، والذى يهمنا هنا الآن الإشارة إلى أبرز العلماء الأقدمين، الذين روجوا لهذا الاتجاه، وكذلك أبرز المعاصرين على النحو التالى :

«الغزالى»

أما العلماء الأقدمون: فيأتى على رأسهم الإمام أبو حامد الغزالى - رحمه الله - فقد روج لهذا الاتجاه بصورة لم يسبق بها . ويعتبر كتاباه (إحياء علوم الدين، وجواهر القرآن) أهم الكتب التى روج فيها لهذا الاتجاه .

أما كتابه الإحياء فقد خصص الباب الرابع من أبواب آداب تلاوة القرآن فى «فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل» وقد ذهب فيه إلى القول بأن فى القرآن إشارة إلى مجامع العلوم التى لا نهاية لها .

قال رحمه الله: «فاعلم أن من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه، وهو مصيب فى الإخبار عن نفسه. ولكنه مخطئ فى الحكم برد الخلق كافة إلى درجته التى هى حده ومحطه، بل الأخبار والآثار تدل على أن فى معانى القرآن متسعاً لأرباب الفهم، قال على رضى الله عنه «إلا أن يؤتى الله عبداً فهما فى القرآن»، فإن لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم؟» .

إلى أن قال: «وقد قال بعض العلماء: لكل آية ستون ألف فهم، وما بقى من فهمها أكثر، وقال آخرون: القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم، ومائتى علم، إذ كل كلمة علم، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف، إذ لكل كلمة ظاهر وباطن، وحد ومطلع» .

إلى أن قال: «وقال ابن مسعود رضى الله عنه: «من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن» وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره، وبالجملة فالعلوم كلها داخلة فى أفعال الله عز وجل وصفاته وفى القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها، وفى القرآن إشارة إلى مجامعها» .

ثم قال «بل كل ما أشكل فيه على النظار، واختلف فيه الخلائق فى النظريات والمعقولات، ففى القرآن إليه رموز ودلالات عليه، يختص أهل الفهم بدركها، فكيف يفى بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره؟»[1] .

---

(١) إحياء علوم الدين ١/ ٢٩٠ ط عيسى

أما كتابه «جواهر القرآن» فقد جاء أحسن تفسيرا وأوفى تفصيلا من الإحياء، لهذا النوع من التفسير وكان سبب ذلك تأخر هذا الكتاب عن الإحياء، كما هو ظاهر من كلامه في الفصل الرابع، حيث ذكر اسم كتاب الإحياء أكثر من مرة، وأنه تحدث فيه عن علم كذا وعلم كذا[١].

وفى هذا الكتاب: يخصص الفصل الرابع منه لكيفية انشعاب العلوم الدينية كلها، وما يتصل بها من القرآن.

كما يخصص الفصل الخامس منه لكيفية انشعاب سائر العلوم من القرآن، كعلم الطب والنجوم، والهيئة، والتشريح والسحر والطلسمات وغير ذلك.

ثم يقول: «فتفكر فى القرآن والتمس غرائبه، لتصادف فيه مجامع علم الأولين والآخرين، وجملة أوائله، و إنما التفكر فيه للتوصل من جملته إلى تفصيله، وهو البحر الذى لا شاطئ له»[٢].

الفخر الرازى

رغم أن الغزالى روج لهذا الاتجاه التفسيرى، فإن هذا منه كان بمثابة وضع حجر الأساس لهذا النوع من التفسير، دون أن يبنى شيئا على ما أسس، حيث لم نجد لكلامه تطبيقا عمليا فى التفسير.

إلى أن جاء الفخر الرازى فرفع القواعد، وشيد البناء، وأظهر هذا الاتجاه بزى واضح المعالم، ظاهر السمات.

فنجده لا يترك آية تتحدث عن السموات والأرض والبحار والأنهار والجبال وغير ذلك من آيات الآفاق والأنفس إلا أعمل فيها عقله، وفسرها بما وصل إليه العلم فى عصره.

---

(١) انظر على سبيل المثال ص: ٢٣، ٢٤ من كتاب الجواهر ط دار الآفاق الجديدة بيروت.

(٢) جواهر القرآن: ٢٨.

وقد أحس الرازى بأن بعض الناس قد يعترض على اتساعه فى هذا الاتجاه، فقال فى تفسير سورة الأعراف عند قوله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام﴾.

«ربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال: إنك أكثرت فى تفسير كتاب الله تعالى من علم الهيئة والنجوم، وذلك على خلاف المعتاد.

فيقال لهذا المسكين: إنك لو تأملت فى كتاب الله عز وجل حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته، وتقريره من وجوه.

ثم مضى الفخر فى سرد هذه الوجوه.

تأثر الزركشى والسيوطى

فى البرهان والإتقان بأبى حامد الغزالى

ولقد تأثر كل من الزركشى والسيوطى بأبى حامد الغزالى رحمه الله، أما الزركشى فإنه وإن لم ينص على ذلك صراحة فإن حديثه فى هذا المجال جاء متطابق العبارة مع عبارة الغزالى أو قريباً منها.

فقد ذكر فى البرهان مرتين نصاً واحداً بحروفه، المرة الأولى فى صفحة ٨٧ من الجزء الثانى، والمرة الثانية فى صفحة ٢٩٠ من الجزء نفسه، حيث قال:

قال أبو الدرداء رضى الله عنه: «لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها» وقال ابن مسعود رضى الله عنه: «من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن»[1].

ثم قال: قال ابن سبع فى كتاب «شفاء الصدر» هذا الذى قال أبو الدرداء وابن مسعود لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر.

وقد قال بعض العلماء: لكل آية ستون ألف فهم، وما بقى فهمه أكثر.

وقال آخرون: القرآن يحتوى على سبعة وسبعين ألف علم، إذ لكل

(١) معنى فليثور القرآن: اى لينقر ويفكر فى معانيه (ابن الأثير النهاية ١/٢٢٩)

كلمة علم، ثم يتضاعف ذلك أربعاً، إذ لكل كلمة ظاهر وباطن، وحد ومطلع .

وبالجملة فالعلوم كلها داخلة فى أفعال الله وصفاته، وفى القرآن شرح ذاته وصفاته وأفعاله» .

هذا ما ذكره بنصه فى الموضعين، ثم زاد على ذلك فى الموضع الثانى ما نصه :

«فهذه الأمور تدل على أن فى فهم معانى القرآن مجالاً رحباً، ومتسعاً بالغاً، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس ينتهى الإدراك فيه بالنقل، والسماع لابد منه فى ظاهر التفسير ليتقى به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط، والغرائب التى لا تفهم إلا باستماع فنون كثيرة .

إلى أن قال:

«على أن فهم كلام الله تعالى لا غاية له، كما لا نهاية للمتكلم به، فأما الاستقصاء فلا مطمع فيه للبشر» .

وفى النوع الحادى والأربعين، يعقد لذلك فصلاً خاصاً، فيقول:

(فصل)

وفى القرآن علم الأولين والآخرين، وما من شئ إلا ويمكن استخراجه منه، لمن فَهَّمَه الله تعالى، حتى إن بعضهم استنبط عمر النبى ﷺ ثلاثاً وستين، من قوله تعالى فى سورة المنافقين ﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها﴾ فإنها راس ثلاث وستين سورة، وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن فى فقده .

وقوله تعالى مخبراً عن عيسى ﴿قال إنى عبدالله آتانى الكتاب﴾ إلى قوله ﴿أبعث حيا﴾ مريم ٣٠ ـ ٣٣ ثلاث وثلاثون كلمة، وعمره ثلاث وثلاثون سنة»[١] .

---

(١) البرهان: ٢/ ٢٢٠ ط دار المعرفة .

أما السيوطي فقد ذكر اسم الغزالي صريحاً أثناء حديثه عن هذا النوع، حيث خصص النوع الخامس والستين للعلوم المستنبطة من القرآن، وقال أثناء ذلك :

(فصل) قال الغزالي: .. الخ[١] .

وقبل ذلك ذكر أدلة الغزالي والزركشي وزاد عليها أدلة كثيرة .

ثم نقل عن ابن أبي الفضل المرسي، وعن ابن العربي ما يدل على تأييدهما لهذا الاتجاه .

فمما نقله عن ابن أبي الفضل المرسي قوله :

«جمع القرآن علوم الأولين والآخرين، بحيث لم يحط بها علماً حقيقة إلا المتكلم بها» .

ثم تحدث عن اختلاف اتجاهات العلماء نحو القرآن، فذكر أن منهم من اهتم بعلم القراءات وما يتصل به، وذكر ما اهتم به المفسرون، والأصوليون، والفقهاء، ومن اهتم بالتاريخ والقصص، والحكم والمواعظ والأمثال، والتعبير، والفرائض، والمواقيت وغير ذلك، ثم قال: ـ أي ابن أبي الفضل المرسي ـ

«وقد احتوى على علوم أخرى من علوم الأوائل، مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك» ثم أخذ يبين ذلك من خلال آيات من القرآن إلى أن قال:

«وجميع ما وقع ويقع في الكائنات ما يحقق معنى قوله ﴿ما فرطنا في الكتاب من شئ﴾[٢] .

وبعد أن نقل السيوطي ذلك عن ابن أبي الفضل المرسي، نقل عن القاضي أبي بكر بن العربي قوله :

«وقال القاضي أبو بكر بن العربي في «قانون التأويل» :

---

(١) الإتقان: ٢/ ١٣٠ .

(٢) الإتقان: ٢/ ١٢٦ ـ ١٢٨ ، الآية من سورة الأنعام .

«علوم القرآن خمسون علماً، وأربعمائة علم، وسبعة آلاف علم، وسبعون ألف علم، على عدد كلم القرآن، مضروبة فى أربعة، إذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومطلع، وهذا مطلق دون اعتبار تركيب، وما بينها من روابط وهذا ما لا يحصى ولا يعلمه إلا الله».

وبعد ذلك قال السيوطى :

«وأنا أقول: قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شئ، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هى أصل إلا وفى القرآن ما يدل عليها، وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والأرض، وما فى الأفق الأعلى وتحت الثرى، وبدء الخلق، وأسماء مشاهير الرسل والملائكة، وعيون أخبار الأمم السالفة».

إلى أن قال: «إلى غير ذلك مما يحتاج شرحه إلى مجلدات».

ثم ذكر بعضاً مما ألفه العلماء فى ذلك، وأنه ألف كتاب «الإكليل فى استنباط التنزيل» ذكر فيه كثيراً مما استنبطه من القرآن، يجرى مجرى الشرح لما أجمله هنا فى هذا النوع»[١].

ثم جاء العصر الحديث باكتشافاته، ووقوف العلماء على كثير من أسرار الكون، فوجد أصحاب هذا الاتجاه من الروابط الكثيرة التى تربط بين هذه الأسرار، وبين كثير من الآيات القرآنية ما به علت أصواتهم، واستطاعوا جذب كثير من العلماء وأنصاف المثقفين للوقوف فى صفهم.

وكان من هؤلاء المهتمين بهذا النوع من كان جل اهتمامه بالدراسات الشرعية، كما كان منهم من كان جل اهتمامه بالدراسات العلمية الحديثة.

ويحسن بنا هنا أن نذكر بعض الأقوال لبعض من الصنفين وسأختار من الصنف الأول نماذج لكل من جمال الدين القاسمى، والشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ محمد عبدالله دراز، والشيخ محمد متولى الشعراوى.

(١) الإتقان: ٢/١٢٩، ١٣٠.

أما الشيخ جمال الدين القاسمى فقد خصص فى مقدمة تفسيره «محاسن التأويل» فصلاً فى «بيان دقائق المسائل العلمية الفلكية الواردة فى القرآن الكريم»، صدره بقوله:

«قال بعض علماء الفلك ما مثاله: إن القرآن الكريم قد أتى فى هذا الباب بمسائل علمية دقيقة لم تكن معروفة فى زمن النبى ﷺ، وهذه المسائل تعتبر من معجزات القرآن العلمية الخالدة، وهاكها ملخصة.».

ثم نقل عن علماء الفلك عشرة نماذج لتفسير القرآن بهذه العلوم الحديثة، ثم ذكر قول من نقل عنه هذه النماذج، حيث قال:

«فكان هذه الآيات جعلت فى القرآن معجزات للمتأخرين، تظهر لهم كلما تقدمت علومهم، وأما المعاصرون للنبى ﷺ فمعجزته لهم إتيانه بأخبار الأولين وبالشرائع التى أتى بها وبالمغيبات التى تحققت فى زمنه، وغير ذلك»[1].

أما الشيخ محمد رشيد رضا فقد ذكر بعض أنواع إعجاز القرآن:

وقال فى الوجه السابع:

«الوجه السابع: اشتمال القرآن على تحقيق كثير من المسائل العلمية والتاريخية التى لم تكن معروفة فى عصر نزوله، ثم عرفت بعد ذلك بما انكشف للباحثين والمحققين من طبيعة الكون، وتاريخ البشر، وسنن الله فى الخلق، وهذه مرتبة فوق ما ذكرناه فى الوجه السادس، من عدم نقض تقدم العلوم لشئ مما فيه»[2].

(محمد عبدالله دراز)

أما الدكتور محمد عبدالله دراز، فإنه وإن كان من المؤيدين لهذا الاتجاه، فإن تأييده هذا كان بقدر، ولم يكن مطلقاً دون ضوابط.

---

(١) محاسن التأويل للقاسمى: ١/ ٣٢٢ - ٣٢٧ ط عيسى الحلبى.

(٢) المنار: ١/ ٢١٠.

فمن قوله فى تأييد هذا الاتجاه، ما قاله فى كتابه مدخل إلى القرآن تحت عنوان «حقائق علمية» :

«ولكن القرآن فى دعوته إلى الإيمان والفضيلة لا يسوق الدروس من التعاليم الدينية والأحداث الجارية وحدها، وإنما يستخدم فى هذا الشأن الحقائق الكونية الدائمة، ويدعو عقولنا إلى تأمل قوانينها الثابتة، لا بغرض دراستها وفهمها فى ذاتها فحسب، وإنما لأنها تذكر بالخالق الحكيم القدير.

ونلاحظ أن هذه الحقائق التى يقدمها تتفق تماماً مع آخر ما توصل إليه العلم الحديث»[1] .

ومما قاله فى تحذيره من المبالغة فى هذا الاتجاه ما نصه:

«ولكن الحماس دفع بعض المفسرين المحدثين إلى المبالغة فى استخدام هذه الطريقة التوفيقية لصالح القرآن بحيث أصبحت خطرا على الإيمان ذاته، لأنها إما أن تقلل من الاعتماد على معنى النص باستنطاقه ما لا تحتمله ألفاظه وجمله، وإما أن تعول أكثر مما يجب على آراء العلماء، وحتى على افتراضاتهم المتناقضة، أو التى يصعب التحقق من صحتها .

وبعد أن نستبعد هذه المبالغات عن البحث نرى أن من مقتضيات الإيمان التى لا غنى عنها أن نضاهى الحقائق الفورية، التى نجدها فى القرآن مع نتائج العلماء المنهجية البطيئة، والقرآن ذاته يدعونا إلى البحث والكشف عن مصدره الربانى، وذلك بتدبره، وبتأمل آيات الخالق التى أودعها فى الكون وفى أنفسنا، لنصل إلى الدليل القاطع على صدقها المطلق»[2]

---

(١) ثم ذكر الدكتور دراز بعد ذلك فى هذه الصفحة عدة أمثلة لهذه الحقائق، وأورد فى الهامش الآيات التى تؤيدها هذه الحقائق. انظر ص ١٧٥، ١٧٦ من كتابه «مدخل إلى القرآن الكريم» ط دار القلم بالكويت .

(٢) مدخل إلى القرآن الكريم، للدكتور محمد عبدالله دراز ١٧٦، ١٧٧ (هامش ١٢)

الشيخ الشعراوى.

أما الشيخ محمد متولى الشعراوى، فقد ألف كتاباً فى إعجاز القرآن أسماه «معجزة القرآن»، تحدث فيه عن أبرز أوجه الإعجاز ومنها الإعجاز العلمى .

ومما قاله فيما يخص هذا الوجه ما يلى :

١ـ إن القرآن الكريم له عطاء متجدد، وهذا العطاء المتجدد هو استمرار لمعنى إعجاز القرآن، ولو أفرغ القرآن عطاءه كله أو إعجازه كله فى عدد من السنوات، أو فى قرن من الزمان، لاستقبل القرون الأخرى دون إعجاز أو عطاء .

وبذلك يكون قد جمد، والقرآن لا يجمد أبداً، وإنما يعطى لكل جيل بقدر طاقته ولكل فرد بقدر فهمه، ويعطى للجيل القادم شيئاً جديداً لم يعطه للجيل الذى سبقه، وهكذا .

ولهذا ندرك ـ كما ذكرت من قبل ـ أن رسول الله ﷺ حين تنزل عليه القرآن لم يتعرض بالتفسير إلا لما تقتضيه أحكام هذا الدين فى «أفعل ولا تفعل»، الأشياء التى إذا فعلتها نجوت، وإذا لم أفعلها عوقبت .

أما ما هو متصل بقوانين هذا الكون مما سيكشفه الله من علم البشر فى المستقبل، وما سيظهر بعد ذلك للعالم، فلم يتعرض له التفسير، لماذا؟

لأن العقل فى ساعة نزول القرآن لم يكن عنده الاستعداد العلمى ليفهم حقائق الكون، ولذلك أخذ منها قدر حجمه، وأعطاه القرآن ما يعجبه ويرضيه ثم مرت السنوات أو القرون ، وظهرت حقائق علمية حديثة فتبين لنا أن عطاء القرآن فيها كان عطاء متجدداً» .

٢ـ ويقول أيضا :

«إن القرآن الكريم لا يتصادم مع قوانين الكون، أو مع خلق الكون، ولكن هذا التصادم المزعوم يأتى أحياناً عن حقيقة قرآنية أسئ تفسيرها لتبدو

فى غير معناها الحقيقى، أو حقيقة علمية كاذبة يحاول الناس استغلالها ضد القرآن»[١] .

٣ـ ويقول أيضاً :

«إن الله سبحانه وتعالى علم أنه بعد عدة قرون من نزول هذا الكتاب الكريم، سيأتى عدد من الناس ويقولون : «انتهى عصر الإيمان، وبدأ عصر العلم»، ولذلك وضع فى قرآنه ما يعجز هؤلاء الناس، ويثبت أن عصر العلم الذى يتحدثون عنه قد بينه القرآن فى صورة حقائق الكون، بينه كحقائق كونية منذ أربعة عشر قرناً، ولم يكشف العقل البشرى معناها إلا فى السنوات الماضية .

ولقد قلت إن عطاء القرآن الكريم متجدد، مصداقاً للآية الكريمة :

﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾[٢] .

٤ـ وقال أيضاً محذراً من ربط القرآن بهذه العلوم :

«إن الله سبحانه وتعالى قد أعلمنا أن هناك حقائق وآيات سيكشف عنها لكل جيل، ولكن ليس معنى هذا أن نحمل معانى القرآن أكثر مما تحتمل، وان نتعامل معه على أساس أنه كتاب جاء ينبئنا بعلوم الدنيا .

فالقرآن لم يأت ليعطينا أسرار علم الهندسة، أو علم الفلك، أو علم الفضاء، إلى آخر هذا، ولكن القرآن يبدأ من أول سورة بعد الفاتحة، وهى سورة البقرة ﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ أى أنه كتاب هدى»[٣] .

ومن أشهر المؤيدين من الصنف الثانى ـ أى من الذين كان جل اهتمامهم بالدراسات العلمية الحديثة ـ الشيخ طنطاوى جوهرى، والدكتور محمد أحمد الغمراوى والأستاذ حنفى أحمد، والدكتور عبدالعزيز إسماعيل،

---

(١) معجزة القرآن : ٨٦ .

(٢) المصدر السابق : ٨٩، والآية من سورة فصلت : ٥٣ .

(٣) معجزة القرآن : ٨٩ ط مكتبة التراث الإسلامى .

وعبدالرزاق نوفل وسأكتفى بالحديث عن الشيخ طنطاوى جوهرى، والدكتور الغمراوى .

أما الشيخ طنطاوى جوهرى فرغم أنه درس فى الأزهر وفى دار العلوم، التى عين مدرساً فيها، وكان له نشاط علمى إسلامى عظيم، فإن معظم اهتمامه ومؤلفاته كانت تدور فى فلك التفسير العلمى، وله مؤلفات كثيرة فى هذه الناحية، أشهرها تفسيره المعروف باسم «الجواهر فى تفسير القرآن»، وهو أول تفسير علمي كامل لكل القرآن الكريم، يقع فى خمسة وعشرين جزءاً وقد بلغ اهتمام الشيخ طنطاوى بهذه الناحية أن فضّلها على علم الفرائض وعلم الفقه، لأن علم الفرائض فرض كفاية أما هذه العلوم التى تهدى إلى معرفة الله تعالى فهى فرض عين وأما الفقه فآياته قليلة إذا قورنت بآيات هذه العلوم فليس أولي، بالتأليف والاهتمام منها .

يقول فى علم الفرائض:

«يا أمة الإسلام، آيات معدودات فى الفرائض، اجتذبت فرعاً من علم الرياضيات، فما بالكم أيها الناس بسبعمائة آية، فيها عجائب الدنيا كلها، هذا زمان العلوم، هذا زمان ظهور نور الإسلام، هذا زمان رقيه .

ياليت شعرى، لماذا لا نعمل فى آيات العلوم الكونية ما فعله آباؤنا فى آيات الميراث ؟

ولكنى أقول: الحمد لله ، الحمد لله، إنك تقرأ فى هذا التفسير، خلاصات من العلوم، ودراستها أفضل من دراسة علم الفرائض، لأنه فرض كفاية، فأما هذه فإنها للإزدياد فى معرفة الله، وهى فرض عين على كل قادر، كما هو مقرر فى باب الشكر للإمام الغزالى، وهى نفس علم التوحيد الحقيقى، والمعرفة والشكر يكونان على كل امرئ بقدر طاقته .

إن هذه العلوم التى أدخلناها فى تفسير القرآن، هى التى أغفلها الجهلاء المغرورون، من صغار الفقهاء فى الإسلام .

فهذا زمان الانقلاب، وظهور الحقائق، والله يهدى من يشاء إلى سواء الصراط»(١) .

أما عن علم الفقه فيقول:

«لماذا ألف علماء الإسلام عشرات الألوف من الكتب الإسلامية فى علم الفقه، وعلم الفقه ليس له فى القرآن إلا آيات قلائل لا تصل مائة وخمسين آية؟ .

فلماذا كثر التأليف فى علم الفقه، وقل جداً فى علوم الكائنات التى لا تخلو منها سورة؟ بل هى تبلغ سبعمائة وخمسين آية صريحة، وهناك آيات أخرى دلالتها تقرب من الصراحة..

فهل يجوز فى عقل أو شرع أن يبرع المسلمون فى علم آياته قليلة، ويجهلوا علماً آياته كثيرة جداً ؟

إن آباءنا برعوا فى الفقه، فلنبرع نحن الآن فى علم الكائنات، لنقم به، لترقى الأمة»(٢) .

وقد اعتبر الشيخ طنطاوى هذه العلوم الحديثة هى علوم الدين الحقة، وهى مقدمة فى نظره على علم الفقه، حيث قال مردفا ما سبق :

«أفلا ينظر المسلمون اليوم إلى علوم الدين الحقة، وهى علوم الكائنات، علوم معرفة الله ! ! !

إن علم الفقه لحفظ الأمم، وعلم الكائنات لمعرفة الله وحياة الأمم، وما به الحياة مقدم على ما به حفظ الحياة، إذ لا حفظ للحياة ولا عبادة لله إلا بعد ثبوت الحياة»(٣) .

وهكذا جاوز الشيخ طنطاوى حد التأييد لهذا الاتجاه التفسيرى إلى حد اعتباره فرض عين، يفوق علم الفقه والفرائض، وكثيراً من العلوم

---

(١) الجواهر: ٢/ ١٩، ٢٠ ط مصطفى الحلبى .

(٢) الجواهر: ٢٥/ ٥٣ .

(٣) الجواهر: ٢٥/ ٥٤ .

الشرعية، وكان أبلغ شئ يستدل به على ذلك أن قدم لنا مجموعة من الكتب الخاصة بذلك، على رأسها تفسيره المعروف بـ «الجواهر»، بصرف النظر عن عدم ارتياح معظم العلماء له، لتعسفه فيه، وتكلفه فى لىّ عبارة القرآن لتتوافق مع بعض ما اكتشفه العلم الحديث .

أما الدكتور محمد أحمد الغمراوى، فهو من أبرز رجال العصر الحديث فى هذه الناحية، وكان له جولات وصولات فى مدرجات كلية أصول الدين بالقاهرة، حينما كان يدرس مادة سنن الله الكونية وله فى ذلك عدة مؤلفات، أشهرها «الإسلام فى عصر العلم» فى مجلد واحد، مطبوع متداول .

وفى هذا الكتاب ذكر نماذج كثيرة للدلالة على إعجاز القرآن العلمى، كما ذكر بعض القواعد التى لابد من مراعاتها فى هذه الناحية: كعدم قصر اللفظ على معنى واحد ورد بقية المعانى الصحيحة، دون مرجح .

قال رحمه الله: «فكل معنى يفيده اللفظ، أو التعبير من غير خروج على قواعد اللغة هو معنى مقبول، وإن لم يكن معلوماً للبشرية من قبل .

وإفادة الآية القرآنية إياه إرهاص بأن الله سيكشف للبشر عنه ليكون معجزة علمية جديدة للقرآن تثبت من جديد أنه من عند الله»[(١)] .

وعن ضرورة اهتمام المسلمين بما جاء فى القرآن من نواح نفسية وتشريعية وتاريخية وكونية يقول فى الفصل الأول من الباب الرابع:

«هذه النواحى هى التى ينبغى أن يشمر المسلمون للكشف عنها، وإظهارها للناس فى هذا العصر الحديث، ولن يستطيعوا ذلك على وجهه حتى يطلبوا العلوم كلها ليستعينوا بكل علم على تفهم ما اتصل به من آيات القرآن، ويستعينوا بها جميعاً على استظهار أسرار آيات القرآن التى اتصلت بالعلوم جميعاً .

---

(١) انظر: الإسلام فى عصر العلم: ٢٥٩ .

ولا غرابة فى أن يتصل القرآن بالعلوم جميعاً، فما العلوم إلا نتاج نطلب الإنسانية أسرار الفطرة، والقرآن ما هو إلا كتاب الله فاطر الفطرة، فلا غرو أن يتطابق القرآن والفطرة، وتتجاوب كلماتها وكلماته، وإن كانت كلماتها وقائع وسنناً، وكلماته عبارات، وإشارات تتضح وتتبهم طبق ما تقتضيه حكمة الله فى مخاطبة خلقه، ليأخذ منها كل عصر على قدر ما أوتى من العلم والفهم، وكذا دواليك على مر العصور.

هذا التدرج فى إدراك تمام التطابق بين القرآن والفطرة أمر لا مفر منه فى الواقع، ثم هو مطابق لحكمة الله سبحانه فى جعل الإسلام آخر الأديان، وجعله القرآن معجزة الدهر، أى معجزة خالدة متجددة، يتبين للناس منها على مر الدهور وجه لم يكن تبين، وناحية لم يكن أحد يعرفها أو يحلم بها من قبل[1].

المعارضون لهذا الاتجاه

هذه إشارة سريعة لأبرز مؤيدى هذا الاتجاه، سواء غلب عليهم الاهتمام بالدراسات الشرعية، أم الاهتمام بالدراسات العلمية الحديثة.

فإذا ما جئنا إلى المعارضين لهذا الاتجاه، وجدناهم جميعاً - تقريباً - ممن تخصصوا فى العلوم الشرعية أو الأدبية ويأتى على رأس هؤلاء المعارضين:

١- الشاطبى.

٢- شيخ الأزهر، الشيخ محمود شلتوت.

٣- عباس العقاد.

٤- أمين الخولى.

٦- الدكتور محمد حسين الذهبى.

وهذه كلمة عن كل واحد منهم، طيب الله ثراهم جميعاً.

---

(١) [illegible] ٢٥٥ [illegible]

الشاطبى

أما الشاطبى رحمه الله (ت ٧٩٠هـ)، فقد تحدث فى كتابه الموافقات، عن مقاصد الشرع، وفى أثناء ذلك تحدث عن العلوم التى كان للعرب اهتمام بها، وأن هذه العلوم منها ما هو صحيح نافع، ومنها ما هو باطل ضار، وأن الشرع أقر الأول، وأبطل الثانى .

يقول رحمه الله :

«واعلم أن العرب كان لها اعتناء بعلوم ذكرها الناس، وكان لعقلائهم اعتناء بمكارم الأخلاق، واتصاف بمحاسن الشيم .

فصححت الشريعة منها ما هو صحيح وزادت عليه، وأبطلت ما هو باطل، وبينت منافع ما ينفع من ذلك، ومضار ما يضر منه»[(١)] .

وبعد ذلك ذكر عدداً من العلوم الصحيحة التى اهتم بها العرب، كعلم النجوم، وفوائدها فى تحديد الجهات الأصلية، وعلم الأنواء ، وعلم التاريخ وأخبار الأمم الماضية، وعلم الطب، والتفنن فى علم فنون البلاغة وضرب الأمثال[(٢)] .

ووصف هذا الاهتمام أثناء حديثه عن الاهتداء بعلم النجوم، بقوله :

«وهو معنى متقرر فى أثناء القرآن، فى مواضع كثيرة»[(٣)] وذكر من الآيات القرآنية ما يؤيد ذلك .

ثم ذكر من العلوم الباطلة التى اهتم بها العرب، علم العيافة والزجر، والكهانة، وخط الرمل، والضرب بالحصى والطيرة.

وعلق على هذه العلوم بقوله :

«فأبطلت الشريعة من ذلك الباطل ونهت عنه»[(٤)] .

---

(١) الموافقات: ٢/ ٧٢ .

(٢) الموافقات: ٢/ ٧١-٧٦ .

(٣) الموافقات للشاطبى: ٢/ ٧١ .

(٤) الموافقات: ٢/ ٧٤ .

ثم عاب الشاطبى رحمه الله على الذين جعلوا العلوم الحديثة ضمن علوم القرآن، ووصفهم بأنهم تجاوزوا حدهم، وحد القرآن نفسه.

حيث يقول: «إن كثيرا من الناس تجاوزوا فى الدعوى على القرآن الحد، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين و المتأخرين، من علوم الطبيعيات، والتعاليم، كالهندسة وغيرها من الرياضيات، والمنطق، وعلم الحروف، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح».

وعلق على أصحاب هذه النزعة التفسيرية، التى تضيف للقرآن علوم الأولينَ والآخرين بقوله :

«فليس بجائز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه، كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه»(١) .

الشيخ محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر

أما الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر رحمه الله فقد كتب مقدمة لتفسيره «تفسير القرآن الكريم، الأجزاء العشرة الأولى» بلغت أربع عشرة صفحة، وفى هذه المقدمة، وضع عنوان: «ناحيتان يجب تنزيه التفسير عنهما» .

أما الناحية الأولى، فهى تأويل القرآن وفق المذاهب .

أما الناحية الثانية فهى تفسير القرآن على مقتضى النظريات العلمية .

وعن هذه الناحية - وهى التى تهمنا فى هذا المقام - يقول :

«وأما الناحية الثانية: فإن طائفة أخرى من طائفة المثقفين، الذين أخذوا بطرف من العلم الحديث، وتلقنوا، أو تلقفوا شيئًا من النظريات العلمية

---

(١) الموافقات: ٢/ ٨١ ط مطبعة الشرق الأدنى بالموسكى .

والفلسفية والصحية وغيرها، أخذوا يستندون إلى ثقافتهم الحديثة، ويفسرون آيات القرآن على مقتضاها .

نظروا فى القرآن فوجدوا الله سبحانه وتعالى يقول ﴿ما فرطنا فى الكتاب من شئ﴾ (١) فتأولوها على نحو زين لهم أن يفتحوا فى القرآن فتحاً جديداً، ففسروه على أساس من النظريات العلمية المستحدثة وطبقوا آياته على ما وقعوا عليه، من قواعد العلوم الكونية، وظنوا أنهم بذلك يخدمون القرآن، ويرفعون من شأن الإسلام، ويدعون له أبلغ دعاية فى الأوساط العلمية والثقافية .

نظروا فى القرآن على هذا الأساس، نأفسد ذلك عليهم أمر علاقتهم بالقرآن، وأفضى بهم إلى صور من التفكير لا يريدها القرآن، ولا تتفق مع الغرض الذى من أجله أنزله الله .

إلى أن قال: «إن هؤلاء فى عصرنا الحديث لمن بقايا قوم سالفين، نكروا مثل هذا التفكير، ولكن على حسب ما كانت توحى به إليهم أحوال زمانهم فحاولوا أن يخضعوا القرآن لما كان عندهم من نظريات علمية أو فلسفية أو سياسية . ثم قال:

هذه النظرة للقرآن خاطئة من غير شك، لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف.

وهى خاطئة من غير شك، لأنها تحمل أصحابها والمغرمين بها على تأويل القرآن تأويلاً متكلفاً يتنافى مع الإعجاز، ولا يسيغه الذوق السليم .

وهى خاطئة لأنها تعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم فى كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار، ولا الرأى الأخير، فقد يصح اليوم فى نظر العلم ما يصبح غداً من الخرافات .

---

(١) الأنعام: ٣٨ .

فلو طبقنا القرآن على هذه المسائل العلمية المتقلبة لعرضناه للتقلب معها، وتحمل تبعات الخطأ فيها، ولأوقفنا أنفسنا بذلك موقفاً حرجاً للدفاع عنه .

فلندع للقرآن عظمته وجلالته، ولنحفظ عليه قدسيته ومهابته، ولنعلم أن ما تضمنه من الإشارة إلى أسرار الخلق وظواهر الطبيعة، إنما هو لقصد الحث على التأمل والبحث والنظر، ليزداد الناس إيماناً مع إيمانهم .

وحسبنا أن القرآن لم يصادم، ولن يصادم، حقيقة من حقائق العلوم، تطمئن إليها العقول»[1] .

عباس العقاد

أما عباس العقاد فقد خصص فى كتابه «الفلسفة القرآنية» موضوعاً لذلك أسماه «القرآن والعلم»، قال فيه: ـ مبيناً خطأ تفسير القرآن المحكم بالعلوم القابلة للنقد والتغير ـ ما نصه:

«تتجدد العلوم الإنسانية مع الزمن على سنة التقدم، فلا تزال بين ناقص يتم، وغامض يتضح، وموزع يتجمع، وخطأ يقترب من الصواب، وتخمين يترقى إلى اليقين، ولا يندر فى القواعد العلمية أن تتقوض بعد رسوخ، أو تتزعزع بعد ثبوت، ويستأنف الباحثون تجاربهم فيها، بعد أن حسبوها من الحقائق المفروغ منها عدة قرون .

فلا يطلب من كتب العقيدة أن تطابق مسائل العلم، كلما ظهرت مسألة منها لجيل من أجيال البشر، ولا يطلب من معتقديها أن يستخرجوا من كتبهم تفصيلات تلك العلوم، كما تعرض عليهم فى معامل التجربة والدراسة، لأن هذه التفصيلات تتوقف على حاجاته، وأحوال زمانه» .

ثم تكلم العقاد عن نماذج لأخطاء وقع فيها بعض العلماء، حينما طبقوا بعض ما قيل فى مجال العلوم على بعض آيات من القرآن، ثم تبين أن لا صلة بين هذه العلوم، وتلك الآيات التى أرادوا ربطها بها .

---

(١) تفسير القرآن الكريم للشيخ محمود شلتوت: ١١ ـ ١٤ ط دار الشروق .

ثم قال عنهم: «وخليق بأمثال هؤلاء المعتسفين أن يحسبوا من الصديق الجاهل، لأنهم يسيئون من حيث يقدرون الإحسان، ويحملون على عقيدة إسلامية وزر أنفسهم وهم لا يشعرون.

كلا، لا حاجة بالقرآن الكريم إلى مثل هذا الإدعاء، لأنه كتاب عقيدة يخاطب الضمير، وخير ما يطلب من كتاب العقيدة فى مجال العلم أن يحث على التفكير، ولا يتضمن حكماً من الأحكام يشل حركة العقل فى تفكيره، أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم، ما استطاع حيثما استطاع، وكل هذا مكفول للمسلم فى كتابه كما لما يكفل قط فى كتاب من كتب الأديان.

فهو يجعل التفكير السليم، والنظر الصحيح إلى آيات خلقه، وسيلة من وسائل الإيمان بالله، وهو يحث المسلم على أن يفكر فى عالم النفس كما يفكر فى عالم الطبيعة، ولا يرتفع المسلم بفضيلة كما يرتفع بفضيلة العلم ﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[1] ولا يسأل المسلم ربه نعمة هى أقوم وألزم من العلم ﴿وقل رب زدنى علما﴾[2].

فالقرآن الكريم يطابق العلم، أو يوافق العلوم الطبيعية بهذا المعنى الذى تستقيم به العقيدة، ولا تتعرض للتناقض والأظانين، كلما تبدلت القواعد العلمية، أو تتابعت الكشوف بجديد، بنقض القديم، أو يبطل التخمين.

وفضيلة الإسلام الكبرى أن يفتح للمسلمين أبواب المعرفة، ويحثهم على ولوجها والتقدم فيها، وقبول كل مستحدث من العلوم على تقدم الزمن، وتجدد أدوات الكشف ووسائل التعليم.

وليست فضيلته الكبرى أنه يقعدهم عن الطلب، وينهاهم عن التوسع فى البحث والنظر، لأنهم يعتقدون حاصلون على جميع العلوم»[3].

---

(١) الزمر: ٩. (٢) طه: ١١٤.

(٣) الفلسفة القرآنية، لعباس العقاد: ١٥ - ١٨ باختصار يسير، ط دار الكتاب العربى بيروت.

أمين الخولى

ومن المنكرين لهذه النزعة التفسيرية الأستاذ أمين الخولى، ويبدو ذلك من أول نظرة لتعريفه لهذا النوع، كما سبق أن ذكرنا تعريفه فى مقدمة كلامنا عن هذا الاتجاه .

حيث يقول «هو التفسير الذى يحكم الاصطلاحات العلمية فى عبارة القرآن ويجتهد فى استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها»

فهو يرى أن هذا التفسير فى منتهى التكلف والتعسف، حيث تتحكم الاصطلاحات العلمية فى عبارة القرآن، وهذا شئ منكر، لا يليق بالقرآن الكريم .

وقد تناول حديث أمين الخولى ابرز المؤيدين لهذه النزعة، كالإمام أبى حامد الغزالى قديماً وعبدالرحمن الكواكبى، ومصطفى صادق الرافعى، وطنطاوى جوهرى حديثاً . ثم عقد العنوان التالى :

إنكار التفسير العلمى

وتحت هذا العنوان تحدث عن ابرز المعارضين الأقدمين لهذا الاتجاه .

حيث تحدث عن موقف أبى إسحاق الشاطبى، ونقل كلاماً طويلاً عنه فى إنكار التفسير العلمى، من كتابه الموافقات .

فذكر عن الشاطبى بياناً شافياً فى هذا الإنكار، ثم قال:

«فإنك لتضم إلى هذا البيان من النظرات الحديثة ما يزيده، ويعززه، منها:

١ـ الناحية اللغوية: فى حياة الألفاظ وتدرج دلالتها، لو ملكنا منها ما لابد لنا أن نملكه فى تحديد هذا التدرج، وتأريخ ظهور المعانى المختلفة للكلمة الواحدة، وعهد استعمالها فيها لوجدنا من ذلك ما يحول بيننا وبين هذا التوسع العجيب فى فهم ألفاظ القرآن، وجعلها تدل على معان وإطلاقات لم تعرف لها، ولم تستعمل فيها، أو إن كانت تلك الألفاظ قد

استعملت فى شئ منها، فباصطلاح حادث فى الملة، بعد نزول القرآن بأجيال .

٢ـ الناحية الأدبية، أو البلاغية إن شئت .

والبلاغة فيما يقال: مطابقة الكلام لمقتضى الحال .

فهل كان القرآن على هذا النحو المتوسع من التفسير العلمى، كلاماً يوجه إلى من خوطب به من الناس فى ذلك العهد، مراداً به تلك المعانى المذكورة، مع أنها معان من العلم لم تعرفها الدنيا إلا بعد ما جازت آمادا فسيحة، وجاهدت جهاداً طويلاً، ارتقى به عقلها وعلمها ؟

وهَبْ هذه المعانى العلمية المدعاة كانت هى المعانى المرادة بالقرآن فهل فهمها أهل العربية منه إذ ذاك وأدركوها ؟

٣ـ وهناك الناحية الدينية، أو الاعتقادية، وهى التى تبين مهمة كتاب الدين وهل هو كتاب يتحدث إلى عقول الناس وقواهم العالمة عن مشكلات الكون، وحقائق الوجود العلمية؟

وكيف يساير ذلك حياتهم، ويكون أصلاً ثابتاً لها، تختم به الرسالات السماوية، كما هو الشأن فى القرآن، مع أن هؤلاء المتدينين لا يقفون من معرفة هذه الحقائق عند غاية محدودة، ولا ينتهون منها عند مدى ما ؟

فكيف تؤخذ جوامع الطب والفلك والهندسة و الكيمياء من القرآن على نحو ما سمعت آنفاً، وهى جوامع لا يضبطها اليوم أحد إلا تغير ضبطه لها بعد يسير من الزمن أو كثير، وما ضبطه منها القدماء قد تغير عليهم فيما مضى، ثم تغير تغيراً عظيماً، فيما تلا ! !

والحقّ البين أن كتاب الدين لا يعنى بهذا من حياة الناس ولا يتولاه بالبيان، ولا يكفيهم مؤنته حتى يلتمسوه عنده، ويعدوه مصدراً فيه .

وأما ما اتجهت إليه النوايا الطيبة من جعل الارتباط بين كتاب الدين والحقائق العلمية المختلفة، ناحية من نواحى بيان صدقه، أو إعجازه، أو

ويتضح لنا من ثلاث نواح

الناحية الأولى: أن الذهبي عرّف التفسير العلمي كما عرفه أمين الخولي تماماً، باللفظ والمعنى، وقد أشرنا إلى ذلك في بداية حديثنا عن التفسير العلمي.

الناحية الثانية: أن الذهبي جعل عنوان «إنكار التفسير العلمي» عنواناً مستقلاً، ضمن عناوين الفصل الثامن الذي خصصه للتفسير العلمي. وهذا ما فعله أمين الخولي، حيث اختار هذا العنوان بالذات ليعبر عن موقفه تجاه التفسير العلمي.

الناحية الثالثة: أن الذهبي قد استدل في إنكاره هذا بنفس الأدلة التي يستدل بها أمين الخولي، حيث بدأها بقوله:

«وهناك أمور أخرى يتقوى بها اعتقادنا أن الحق في جانب الشاطبي، ومن لف لفه»

ثم ذكر ما ذكره أمين الخولي، فذكر:

أولاً: الناحية اللغوية.

ثانياً: الناحية البلاغية

ثالثاً: الناحية الاعتقادية

وتحدث عن هذه النواحي بعبارات قريبة جداً من عبارات أمين الخولي.

ثم عقب عليها أيضاً تعقيباً يكاد يتفق تماماً مع تعقيب الخولي، ثم قال:

«الحق أن القرآن لا يعنى بهذا اللون من حياة الناس، ولا يتعهده بالشرح، ولا يتولاه بالبيان، حتى يكون مصدرهم الذي يرجعون إليه، في تعرف حياتهم العلمية الدنيوية.

ويبدو لنا أن أنصار هذه الفكرة - فكرة التفسير العلمي - لم يقولوا بها، ولم يعملوا على تأييدها إلا بعد أن نظروا إليها كوجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، وبيان صلاحيته للحياة وتمشيه معها على اختلاف أحوالها وتطور أزمانها.

فيتضح لنا من ثلاث نواح

الناحية الأولى: أن الذهبى عرّف التفسير العلمى كما عرفه أمين الخولى تماماً، باللفظ والمعنى، وقد أشرنا إلى ذلك فى بداية حديثنا عن التفسير العلمى.

الناحية الثانية: أن الذهبى جعل عنوان «إنكار التفسير العلمى» عنواناً مستقلاً، ضمن عناوين الفصل الثامن الذى خصصه للتفسير العلمى. وهذا ما فعله أمين الخولى، حيث اختار هذا العنوان بالذات ليعبر عن موقفه تجاه التفسير العلمى.

الناحية الثالثة: أن الذهبى قد استدل فى إنكاره هذا بنفس الأدلة التى استدل بها أمين الخولى، حيث بدأها بقوله: -

«وهناك أمور أخرى يتقوى بها اعتقادنا أن الحق فى جانب الشاطبى، ومن لف لفه»

ثم ذكر ما ذكره أمين الخولى، فذكر:

أولاً: الناحية اللغوية.

ثانياً: الناحية البلاغية

ثالثاً: الناحية الاعتقادية

وتحدث عن هذه النواحى بعبارات قريبة جداً من عبارات أمين الخولى.

ثم عقب عليها أيضاً تعقيباً يكاد يتفق تماماً مع تعقيب الخولى، ثم قال:

«الحق أن القرآن لا يعني بهذا اللون من حياة الناس، ولا يتعهده بالشرح، ولا يتولاه بالبيان، حتى يكون مصدرهم الذى يرجعون إليه، فى تعرف حياتهم العلمية الدنيوية.

ويبدو لنا أن أنصار هذه الفكرة - فكرة التفسير العلمى - لم يقولوا بها، ولم يعملوا على تأييدها إلا بعد أن نظروا إليها كوجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، وبيان صلاحيته للحياة وتمشيه معها على اختلاف أحوالها وتطور أزمانها.

ولكن (ما هكذا يا سعد تورد الإبل)، فإن إعجاز القرآن غنى عن أن يسلك فى بيانه هذا المسلك المتكلف، الذى قد يذهب بالإعجاز، وهناك من ألوان الإعجاز غير هذا ما يشهد للقرآن بأنه كتاب الله المنزل على محمد ﷺ.

وإذا كان أرباب هذا المسلك فى التفسير يستندون إلى ما تناوله بعض آيات القرآن من حقائق الكون و مشاهده، ودعوة الله لهم بالنظر فى كتاب الكون وآياته، التى بثها فى الآفاق وفى أنفسهم، إذ كانوا يستندون إلى مثل هذا فى دعواهم أن القرآن قد جمع علوم الأولين والآخرين، فهم مخطئون ولا شك.

وذلك لأن تناول القرآن لحقائق الكون ومشاهده، ودعوته إلى النظر فى ملكوت السموات والأرض وفى أنفسهم لا يراد منه إلا رياضة وجدانات الناس، وتوجيه عامتهم وخاصتهم إلى مكان العظة والعبرة، ولفتهم إلى آيات قدرة الله ودلائل وحدانيته، من جهة ما لهذه الآيات والمشاهد من روعة فى النفس، وجلال فى القلب، لا من جهة ما لها من دقائق النظريات، وضوابط القوانين، فليس القرآن كتاب فلسفة أو طب أو هندسة.

وليعلم أصحاب هذه الفكرة أن القرآن غنى عن أن يعتز بمثل هذا التكلف، الذى يوشك أن يخرج به عن هدفه الإنسانى الاجتماعى، فى إصلاح الحياة، ورياضة النفس، والرجوع بها إلى الله تعالى.

وليعلم أصحاب هذه الفكرة أيضاً، أن من الخير لهم ولكتابهم أن لا ينحوا بالقرآن هذا المنحى فى تفسيرهم رغبة منهم فى إظهار إعجاز القرآن وصلاحيته، للتمشى مع التطور الزمنى، وحسبهم أن لا يكون فى القرآن نص صريح يصادم حقيقة علمية ثابتة، وحسب القرآن أنه يمكن التوفيق بينه وبين ما جد وما يجد من نظريات وقوانين علمية، تقوم على أساس من الحق، وتستند إلى أصل من الصحة»[1].

---

(١) التفسير والمفسرون: ٢/ ٤٩٣، ٤٩٤.

ما نميل إليه فى هذه القضية

من خلال عرضنا لوجهة نظر المؤيدين والمعارضين للتفسير العلمى، نستطيع أن نقرر رأياً خاصاً فى هذا الموضوع، ربما مال إليه غيرنا من قبل ومن بعد ولكن قبل أن نقول هذا الرأى، لابد وأن نقرر تلك الأمور التالية، التى أعتقد أن المؤيدين والمعارضين يؤمنون بها تمام الإيمان .

١ـ أن الإسلام يدعو إلى العلم، ويكرم أهله، والنصوص فى ذلك أكثر من أن تحصى، وأشهر من أن تنسى .

٢ـ العلم الذى يدعو إليه الإسلام، هو العلم الذى يهدى الإنسان، إلى أحسن حال، وأفضل مآل، وهذا يشمل العلم الدينى والدنيوى معاً .

إذ بالعلم الدينى يعرف الإنسان كيف تكون علاقته بربه، وبالخلق جميعاً، بل وبنفسه هو .

وبالعلم الدنيوى يستدل الإنسان على معرفة ربه عز وجل، ثم يسير على هداه وفقاً للعلم الدينى .

يقول أبو حامد الغزالى رحمه الله، بعد حديثه عن العلوم الشرعية، والعلوم الدنيوية :

«ولا تفهمن من غلونا فى الثناء على علم الآخرة، تهجين هذه العلوم، فالمتكلفون بالعلوم كالمتكلفين بالثغور، والمرابطين بها، والغزاة المجاهدين فى سبيل الله، فمنهم المقاتل، ومنهم الردء، ومنهم الذى يسقيهم الماء، ومنهم الذى يحفظ دوابهم ويتعهدهم، ولا ينفك أحد منهم عن أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى، دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء» .

إلى أن يقول: «ومن قصد الله تعالى بالعلم، أى علم، كان نفعه ورفعه لا محالة»[1] .

---

(١) إحياء علوم الدين: ١/ ٢٣ط عيسى الحلبى

ويقول «هو شل»[1] .

«كلما اتسع نطاق العلم، زادت البراهين الدامغة القوية، على وجود خالق أزلى، لا حد لقدرته ولا نهاية» .

٣ـ إن إفاضة القرآن فى الحديث عن الكون وما فيه، وحثه على التأمل فى كافة ما أبدع الله عز وجل، لا يعنى أن القرآن قد نزل ليكون كتاب فلك، أو هندسة، أو طب، أو ليكون مرجعاً من مراجع المهتمين بعلوم الزراعة، أو البحار، أو الوراثة أو التاريخ، أو الطبيعة والكيمياء، وغير ذلك .

وإنما تحدث القرآن عن هذا للفت أنظار العلماء، والعامة إلى مبدع هذا الكون، وإلى توحيده بالربوبية والألوهية .

٤ـ إن إعجاز القرآن، لا يتوقف بحال من الأحوال، على موافقة الاكتشافات العلمية الحديثة، لبعض آيات من القرآن، فإعجازه ثابت من قبل تلك الاكتشافات ومن بعدها .

٥ـ يستحيل أن توجد حقيقة علمية ثابتة، تتناقض مع القرآن الكريم، لأن خالق الكون، و منزل القرآن واحد، وهو الله سبحانه وتعالى، ومحال عليه بحال من الأحوال أن يتناقض قوله مع فعله .

٦ـ القرآن فى غنى عن العلوم الحديثة للتدليل على صحته، بينما العلوم الحديثة هى التى فى احتياج للتدليل على صحتها وبالتالى فليس من العدل ولا من الصحة، أن نحاكم ما يقوله الله تعالى إلى ما يقوله الناس .

٧ـ إن عبارة القرآن حمّالة، أى تحتمل فى كثير من الأحيان أكثر من معنى صحيح، دون تناقض بين هذه المعانى، لأن من خصائص أسلوب القرآن الجمع بين البيان والإجمال، ليتمشى مع ثقافة كل الناس فى كل العصور .

---

(١) كما نقل عنه د/ يوسف القرضاوى فى كتاب «الإيمان والحياة» ص: ٣٢٦ .

وبالتالى فلا يجوز قصر عبارة على معنى دون المعانى الأخرى دون مبرر، يستوى فى ذلك أنصار التفسير العلمى، ومنكروه .

٨ـ الحقيقة العلمية شئ، والتعسف فى تفسير القرآن بها شئ آخر .

فليس معنى كونها حقيقة علمية، أن نتكلف فى تحميل النص ما لا يحتمله، ونلوى عنق العبارات ليّا، لنقول إن القرآن قد سبق له الحديث عن تلك الحقيقة بقرون وقرون .

وإذا كان من حقنا أن نقول برأى فى هذا الموضوع، فإنى أرى أنه يجب علينا السمو بالقرآن عن وظيفة لم ينزله الله من أجلها .

فالله عز وجل لم ينزله ليعلم الناس من خلاله الطب والهندسة والفلك والتشريح، والكيمياء، والفيزياء، وغير ذلك من هذه العلوم التى لا يقر قرارها، ولا يهدأ طلابها، الذين يعترفون بأن العلم لا نهاية له، وأن من الجائز، أن تقلب الحقائق إلى خرافات، والمسلمات إلى هزوات .

وهذا لا يعنى أن هناك عداء بين الإسلام والعلم، أو أن الإسلام يفر من العلم، ولكن ليس من العدل، ولا من الصحة ـ كما أسلفنا قريباً ـ أن نحاكم ما يقوله الله تعالى إلى ما يقوله الناس، أو أن نلهث فى التعسف، لمحاولة التوفيق بين القرآن وما يقوله البشر .

أقول هذا، لأننا كما وجدنا متعسفين فى تحميل عبارة القرآن مالا تحتمله بحسن نية، وجدنا آخرين سفلة، يريدون بالبحث فى القرآن، العثور على شئ ما يخالف ما توصل إليه العلم الحديث، وهيهات هيهات ! ! !

وبالتالى: أرى أنه لا يجوز ما يفعله كثير من العلماء العصريين، حيث يؤلفون فى ذلك كتباً مطولة وغير مطولة، يشرحون فيها كثيراً من آيات القرآن الكريم، من خلال العلوم الحديثة .

حيث جاوزوا حدهم، وتعسفوا فى تفسيرهم، وتجاوزوا القواعد التى وضعوها لأنفسهم قبل تفسيرهم، فرأينا الآيات فى جهة، وما شرحوا به فى جهة أخرى، حتى أننا فى أكثر الأحيان لا نجد صلة بين الآية وما قالوا عنه انه تفسيرها .

وها هو تفسير «جواهر القرآن» للشيخ طنطاوى جوهرى خير مثال على ذلك، وغيره كثير .

ولكن هذا لا يعنى أننا نمنع أن تكون هناك وجوه جديدة لإعجاز القرآن، غير ما ألفه الناس، ومنها وجود شئ يتطابق تماماً مع مكتشفات العصر الحديث .

فقد قرر العلماء، أن عبارة القرآن حمالة، وهى بهذه الخاصة تعطى اللفظ القرآنى فرصته لتوسيع المدلول .

وبناء عليه: فلو وجدنا حقيقة علمية ثابتة مستقرة لها نظير فى القرآن الكريم، فلا مانع عندنا من أن نقول إن هناك احتمالاً لأن تدخل فى مضمون العبارة القرآنية، ولكننا لا نجزم بذلك .

لأن الحقيقة العلمية بشكلها الذى يقوله العلماء، ليست عين ما تنص عليه عبارة القرآن .

وبالتالى: فلو ظلت تلك الحقيقة حقيقة على مر الزمان قلنا باحتمال دخولها فى معنى الآية، ولو حدث لها تصدع أو اهتزاز فلن يضر ذلك القرآن فى شئ، لأن القرآن لم ينص على ما أسموه حقيقة نصاً، والنقد حينئذ يتوجه إلى ما حسبوه حقيقة علمية، وليس إلى القرآن .

مثال لذلك: ذهب بعض العلماء فى هذا العصر، فى تفسير قوله تعالى ﴿ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾[1] إلى ان المراد بالزوجين الأمران المتقابلان بالذكورة والأنوثة، سواء فى الإنسان أم الحيوان، أم الجماد، ويقولون إن أحدث نظرية فى أصول الأكوان قررت أن أصول جميع الكائنات، حية أو غير حية تتكون من زوجين اثنين، هما (الكترون وبروتون) وهنا نقول: إن عبارة القرآن تحتمل هذا المعنى، ولكنها لا تنص عليه، وبالتالى لو ظلت هذه النظرية ثابتة ظللنا على هذا الاحتمال، ولو جاء من يهدمها، فإن الهدم يتوجه إليها ولا يتوجه إلى الآية القرآنية، لأن

---

(١) الذاريات: ٤٩ .

الآية ليست عين النظرية، حيث لم تنص على ذلك صراحة .

ويجب علينا أثناء قولنا باحتمال دخول حقيقة علمية ضمن معانى الآية مراعاة ما يأتى :

١- هذه النزعة التفسيرية محفوفة بالمخاطر، وقد زلت فيها أقدام كثيرة .

لذا نرى ضرورة التسلح لمن يهتم بها، بالعلوم الدينية والدنيوية معاً، دون الاقتصار على ناحية دون أخرى، فما التفسير إلا ترجمة لمراد الله تعالى من كلامه .

٢- يجب علينا أن ننظر إلى القرآن على أن كل ما فيه حقائق، فما وافقه من الاكتشافات الحديثة على وجه القطع واليقين قبلناه، وإلا، فلا، وعلى ذلك: فالنظريات الخاضعة للتجربة والتمحيص لا مجال لها هنا .

يقول الشيخ الشعراوى رضى الله عنه :

«إن القرآن الكريم لا يتصادم مع قوانين الكون، أو مع خلق الكون، ولكن هذا التصادم المزعوم يأتى أحياناً عن حقيقة قرآنية أسئ تفسيرها، لتبدو فى غير معناها الحقيقى، أو حقيقة علمية كاذبة يحاول الناس استغلالها ضد القرآن .

إننا لا نريد أن نثبت القرآن بالعلم، بل إن العلم هو الذى يجب أن يثبت ويلتمس الدليل من آيات القرآن، ذلك أن القرآن أصدق من أى علم من علوم الدنيا، ومن أى علم فى هذا العالم، لأن مكتشف هذا العلم أو مخترعه بشر، وقائل القرآن هو الله سبحانه وتعالى[(١)] .

وعلى ذلك فلا مجال للحديث عن الحقائق القرآنية إلا بحقائق ثابتة مستقرة .

٣- يجب مراعاة معانى المفردات، على النحو الذى كانت مستعملة فيه أثناء نزول القرآن، والحذر مما طرأ عليها من تطور بعد العهد النبوى .

---

(١) معجزة القرآن للشيخ محمد متولى الشعراوى: ٨٦، ٨٧ ط دار العودة بيروت .

٤ـ لا يجوز لنا أن نعدل عن حقيقة اللفظ القرانى، ونتجه إلى معنى مجازى، إلا إذا كانت هناك قرائن قوية تحيل الأخذ بحقيقة اللفظ.

وقد وقع كثير من العلماء فى أخطاء جسيمة، حينما عدلوا عن حقيقة اللفظ إلى معنى مجازى، دون أى مبرر لذلك.

٥ـ عدم التحرر من أى قاعدة نحوية، فالقرآن عربى، نزل بلسان عربى، جاريا على ما الفوه، من قواعد ودلالات.

٦ـ يجب مراعاة الأساليب البلاغية، بصورها المتعددة، ودلالاتها المتنوعة.

٧ـ بناء على ما قلناه من أن عبارة القرآن حمالة لأكثر من معنى صحيح، فمن المرفوض علمياً قصر اللفظ على معنى واحد، ورد بقية المعانى الصحيحة الأخرى، دون مرجح.

٨ـ يجب الجمع بين كل الآيات القرآنية، التى تتحدث عن موضوع من هذه الموضوعات الكونية، دون ترك آية منها، حتى نصل إلى المعنى الصحيح.

٩ـ لا نستطيع الجزم بأن ما يقال عنه حقيقة علمية، سيظل إلى الأبد هكذا فكثير من الأمور قيل عنها إنها حقائق علمية لمدة فترة طويلة، ثم جاء من هدمها، وزلزلها من أركانها.

وبناء عليه: فيجب أن نعلم أن الحقائق البشرية غير قاطعة، وغير نهائية أما الحقائق الإلهية فهى قاطعة ونهائية، وبالتالى فإن الربط بين الأمرين من الخطر بمكان.

هذا رأيى الخاص فى هذه القضية، ربما أتفق مع آخرين فيه، أو يتفقون معى فيه، وربما يختلف معى كثيرون، ولكنه على أى حال مجهود منى أرجو من الله أجراً عليه...

ولقد قرأت لسيد قطب رضى الله عنه كلاماً فى هذه الناحية ربما يتوافق - إلى حد ما، قل أو كثر - مع ما قلت.

فيها أننا أسوقه - بصرف النظر عن مدى ذلك التوافق، فيكفي أننا عرضنا رأيه، فهو ليس بأقل ممن ذكرنا آراءهم من قبل، إن لم يكن أدق وأصوب .

يقول رحمه الله أثناء تفسيره لقوله تعالى :

﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾ من سورة البقرة الآية ١٨٩ .

«والإجابة «العلمية» عن هذا السؤال ربما كانت تمنح السائلين علماً نظرياً في الفلك، إذا هم استطاعوا، بما كان لديهم من معلومات قليلة في ذلك الحين أن يستوعبوا هذا العلم، ولقد كان ذلك مشكوكاً فيه كل الشك، لأن العلم النظري من هذا الطراز في حاجة إلى مقدمات طويلة، كانت تعد بالقياس إلى عقلية العالم كله في ذلك الزمان معضلات .

من هنا عدل عن الإجابة التي لم تتهيأ لها البشرية، ولا تفيدها كثيراً في المهمة الأولى التي جاء القرآن من أجلها، وليس مجالها على أية حال هو القرآن .

إذ القرآن قد جاء لما هو أكبر من تلك المعلومات الجزئية، ولم يجئ ليكون كتاب علم فلكي أو كيماوي أو طبي، كما يحاول بعض المتحمسين له أن يلتمسوا فيه هذه العلوم، أو كما يحاول بعض الطاعنين فيه أن يلتمسوا مخالفته لهذه العلوم !

إن كلتا المحاولتين دليل على سوء الإدراك لطبيعة هذا الكتاب ووظيفته ومجال عمله، إن مجاله هو النفس الإنسانية، والحياة الإنسانية، وإن وظيفته أن ينشئ تصوراً عاماً للوجود وارتباطه بخالقه، ولوضع الإنسان في هذا الوجود وارتباطه بربه، وأن يقيم على أساس هذا التصور نظاماً للحياة يسمح للإنسان أن يستخدم كل طاقاته، ومن بينها طاقته العقلية، التي تقوم هي بعد تنشئتها على استقامة، وإطلاق المجال لها لتعمل بالبحث العلمي - في الحدود المتاحة للإنسان - وبالتجريب والتطبيق، وتصل إلى ما تصل إليه من نتائج ليست نهائية، ولا مطلقة بطبيعة الحال .

إن مادة القرآن التى يعمل فيها هى الإنسان ذاته، تصوره واعتقاده، ومشاعره و مفهوماته، وسلوكه وأعماله، وروابطه وعلاقاته .

أما العلوم المادية، والإبداع فى عالم المادة بشتى وسائله وصنوفه فهى موكولة إلى عقل الإنسان وتجاربه وكشوفه، وفروضه ونظرياته، بما أنها أساس خلافته فى الأرض، وبما أنه مهيأ لها بطبيعة تكوينه .

والقرآن يصحح له فطرته كى لا تنحرف ولا تفسد، ويصحح له النظام الذى يعيش فيه كى يسمح له باستخدام طاقاته الموهوبة له، ويزوده بالتصور العام لطبيعة الكون، وارتباطه بخالقه، وتناسق تكوينه، وطبيعة العلاقة القائمة بين أجزائه ـ وهو أى الإنسان أحد أجزائه ـ ثم يدع له أن يعمل فى إدراك الجزئيات والانتفاع بها فى خلافته ولا يعطيه تفصيلات، لأن معرفة هذه التفصيلات جزء من عمله الذاتى .

وإنى لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن، الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه، وأن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه، وأن يستخرجوا منه جزئيات فى علوم الطب والكيمياء والفلك وما إليها، كأنما ليعظموه بهذا ويكبروه !

إن القرآن كتاب كامل فى موضوعه، وموضوعه أضخم من تلك العلوم كلها، لأنه هو الإنسان ذاته الذى يكشف هذه المعلومات وينتفع بها .

والبحث والتجريب والتطبيق من خواص العقل فى الإنسان، والقرآن يعالج بناء هذا الإنسان نفسه، بناء شخصيته وضميره وعقله وتفكيره، كما يعالج بناء المجتمع الإنسانى الذى يسمح لهذا الإنسان بأن يحسن استخدام هذه الطاقات المذخورة فيه .

وبعد أن يوجد الإنسان السليم التصور، والتفكير والشعور، ويوجد المجتمع الذى يسمح له بالنشاط، يتركه القرآن يبحث ويجرب، ويخطئ ويصيب، فى مجال العلم والبحث والتجريب، وقد ضمن له موازين التصور والتدبر والتفكير الصحيح .

كذلك لا يجوز أن نعلق الحقائق النهائية التى يذكرها القرآن حيالاً عن

الكون فى طريقه لإنشاء التصور الصحيح لطبيعة الوجود وارتباطه بخالقه، وطبيعة التناسق بين أجزائه، لا يجوز أن نعلق هذه الحقائق النهائية التى يذكرها القرآن بفروض العقل البشرى ونظرياته، ولا حتى بما يسميه «حقائق علمية» مما ينتهى إليه بطريق التجربة القاطعة فى نظره .

إن الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة، أما ما يصل إليه البحث الإنسانى - أياً كانت الأدوات المتاحة له - فهى حقائق غير نهائية ولا قاطعة، وهى مقيدة بحدود تجاربه، وظروف هذه التجارب وأدواتها فمن الخطأ المنهجى - بحكم المنهج العلمى الإنسانى ذاته - أن نعلق الحقائق النهائية القرآنية بحقائق غير نهائية، وهى كل ما يصل إليه العلم البشرى !

هذا بالقياس إلى «الحقائق العلمية»، والأمر أوضح بالقياس إلى النظريات والفروض التى تسمى «علمية»، فهى قابلة دائمة للتغيير والتعديل والنقص والإضافة، بل قابلة لأن تنقلب رأساً على عقب، بظهور أداة كشف جديدة، أو بتفسير جديد لمجموعة الملاحظات القديمة .

وكل محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة بما يصل إليه العلم من نظريات متجددة متغيرة - أو حتى بحقائق علمية ليست مطلقة كما أسلفنا - تحتوى اولا على خطأ منهجى أساسى، كما أنها تنطوى على معان ثلاثة، كلها لا يليق بجلال القرآن الكريم .

الأولى : هى الهزيمة الداخلية التى تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن، والقرآن تابع، ومن هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم، أو الاستدلال له من العلم .

على حين ان القرآن كتاب كامل فى موضوعه، ونهائى فى حقائقه، والعلم ما يزال فى موضوعه، ينقض اليوم ما أثبته بالأمس، وكل ما يصل إليه غير نهائى ولا مطلق، لأنه مقيد بوسط الإنسان وعقله وأدواته، وكلها ليس من طبيعتها ان تعطى حقيقة واحدة نهائية مطلقة .

والثانية: سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته، وهى أنه حقيقة نهائية مطلقة تعالج بناء الإنسان بناء يتفق - بقدر ما تسمح طبيعة الإنسان النسبية - مع طبيعة هذا الوجود وناموسه الإلهى، حتى لا يصطدم الإنسان بالكون من حوله، بل يصادقه، ويعرف بعض أسراره، ويستخدم بعض نواميسه فى خلافته، نواميسه التى تكشف له بالنظر والبحث والتجريب والتطبيق، وفق ما يهديه إليه عقله الموهوب له، ليعمل، لا ليتسلم المعلومات المادية جاهزة!

والثالثة: هى التأويل المستمر - مع التمحل والتكلف - لنصوص القرآن، كى نحملها، ونلهث بها وراء الفروض والنظريات، التى لا تثبت ولا تستقر، وكل يوم يجد فيها جديد.

وكل أولئك لا يتفق وجلال القرآن، كما أنه يحتوى على خطأ منهجى كما أسلفنا.

ولكن هذا لا يعنى ألا ننتفع بما يكشفه العلم من نظريات ومن حقائق عن الكون والحياة والإنسان فى فهم القرآن، كلا! إن هذا ليس هو الذى عنينا بذلك البيان، ولقد قال الله سبحانه ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾[١].

ومن مقتضى هذه الإشارة أن نظل نتدبر كل ما يكشفه العلم فى الآفاق وفى الأنفس من آيات الله، وأن نوسع بما يكشفه مدى المدلولات القرآنية فى تصورنا.

فكيف؟ ودون أن نعلق النصوص القرآنية النهائية المطلقة بمدلولات ليست نهائية ولا مطلقة؟ هنا ينفع المثال:

يقول القرآن الكريم مثلاً: ﴿وخلق كل شئ فقدره تقديراً﴾[٢].

ثم تكشف الملاحظات العلمية أن هناك موافقات دقيقة وتناسقات ملحوظة، بدقة، فى هذا الكون.

---

(١) فصلت: ٥٣. (٢) الفرقان: ٢.

الأرض بهيئتها هذه، وببعد الشمس عنها هذا البعد، وبعد القمر عنها هذا البعد، وحجم الشمس والقمر بالنسبة لحجمها، وبسرعة حركتها هذه، وبميل محورها هذا، وبتكوين سطحها هذا، وبآلاف من الخصائص، هي التي تصلح للحياة وتوائمها، فليس شئ من هذا كله فلتة عارضة، ولا مصادفة غير مقصودة.

هذه الملاحظات تفيدنا في توسيع مدلول: ﴿وخلق كل شئ فقدره تقديرا﴾[1] وتعميقه في تصورنا، فلا بأس من تتبع مثل هذه الملاحظات، لتوسيع هذا المدلول وتعميقه، وهكذا.

هذا جائز ومطلوب، ولكن الذي لا يجوز ولا يصح علمياً، هذه الأمثلة الأخرى.

يقول القرآن الكريم: ﴿خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾[2] ثم توجد نظرية في النشوء والارتقاء، لـ «والاس» و«دارون» تفترض أن الحياة بدأت خلية واحدة، وأن هذه الخلية نشأت في الماء، وأنها تطورت حتى انتهت إلى خلق الإنسان، فنحمل هذا النص القرآني ونلهث وراء النظرية، لنقول: هذا هو الذي عناه القرآن ! !

لا، إن هذه النظرية أولاً ليست نهائية، فقد دخل عليها من التعديل في أقل من قرن من الزمان ما يكاد يغيرها نهائياً.

وقد ظهر فيها من النقص المبني على معلومات ناقصة عن وحدات الوراثة التي تحتفظ لكل نوع بخصائصه، ولا تسمح بانتقال نوع إلى نوع آخر، ما يكاد يبطلها، وهي معرضة غدا للنقص والبطلان، بينما الحقيقة القرآنية نهائية، وليس من الضروري أن يكون هذا معناها، فهي تثبت فقط أصل نشأة الإنسان، ولا تذكر تفصيلات هذه النشأة، وهي نهائية في النقطة

---

(١) الفرقان: ٢.

(٢) المؤمنون: ١٢، وطبعت خطأ في تفسير الظلال بلفظ خلق.

التى تستهدفها وهى أصل النشأة الإنسانية، وكفى، ولا زيادة[١] .

ويقول القرآن الكريم: ﴿والشمس تجرى لمستقر لها﴾ يس: ٣٨ .

فيثبت حقيقة نهائية عن الشمس وهى أنها تجرى .

ويقول العلم: إن الشمس تجرى بالنسبة لما حولها من النجوم بسرعة قدرت بنحو ١٢ ميلاً فى الثانية، ولكنها فى دورانها مع المجرة التى هى واحدة من نجومها تجرى جميعاً بسرعة ١٧٠ ميلاً فى الثانية، ولكن هذه الملاحظات الفلكية ليست هى عين مدلول الآية القرآنية .

إن هذه تعطينا حقيقة نسبية غير نهائية، قابلة للتعديل أو البطلان، أما الآية القرآنية فتعطينا حقيقة نهائية - فى أن الشمس تجرى - وكفى فلا نعلق هذه بتلك أبداً»[٢] .

أهم المؤلفات فى التفسير العلمى

قلنا إنَّ مؤيدى هذا الاتجاه، خاصة فى العصر الحديث، من الكثرة بحيث لا يحصون، لذا وجدنا كماً هائلاً من المؤلفات فى ذلك، والعجيب أن بعض المؤلفين فى ذلك ربما لا نجد لهم قدماً ثابتة فى العلوم الشرعية، أو العلوم الحديثة، ولكنهم ينقلون من هنا ومن هناك، ثم يجمعون ما كتبوا، ويطبعونه وعلى الأغلفة أسماؤهم، وبذلك صاروا فى عداد المصنفين .

ونحن فى هذا المقام لا يسعنا إحصاء ما كتب فى هذا الاتجاه، ولكننا نشير إلى بعضه فقط .

فمن هذه المؤلفات ما يلى :

---

(١) من المعلوم قرآنياً أن أول إنسان خلق هو آدم عليه السلام، خلق من طين، ثم نفخ الله فيه من روحه، فصار بشراً سوياً، بخصائصه وصفاته التى عليها بنوه الآن، وبالتالى فإن نظرية الارتقاء تتعارض تماماً مع القرآن، فضلاً عن تعارضها مع ما قرره العلماء، الذين أبطلوها .

(٢) فى ظلال القرآن: ١/ ١٨١ - ١٨٣ .

١ـ الجواهر فى تفسير القرآن الكريم للشيخ طنطاوى جوهرى .

٢ـ القرآن والعلوم العصرية، للمؤلف السابق .

٣ـ الإسلام والطب الحديث للطبيب عبد العزيز إسماعيل .

٤ـ الإعجاز العددى للقرآن الكريم، لعبد الرزاق نوفل .

٥ـ القرآن والعلم الحديث، للمؤلف السابق .

٦ـ الإسلام فى عصر العلم، للدكتور محمد أحمد الغمراوى .

٧ـ التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن، لحنفى أحمد .

٨ـ تفسير الآيات الكونية، للدكتور عبدالله شحاتة .

٩ـ آيات الله تعالى، لمحمد وفا الأميرى .

١٠ـ الإعجاز العلمى فى الإسلام، لمحمد كامل عبدالصمد .

١١ـ الطب الوقائى فى الإسلام، للدكتور أحمد شوقى الفنجرى .

١٢ـ دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة، للطبيب الفرنسى، موريس بوكاى .

١٣ـ خلق الإنسان، بين الطب والقرآن، د/ محمد على البار .

١٤ـ المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية، للدكتور محمد كامل الصادقى .

نماذج من الدخيل
عن طريق التفسير العلمى

إذا كان هذا الاتجاه قد ضرب بجذوره فـــى أعماق التـاريخ الإسلامى ، فإنه لم يأخذ شكله الواضح ، وسماته الظاهرة إلا في هـــذا العصر الحديث خاصة أن رواد هذا الاتجاه تجاوزوا حد التفسير العلمى إلى حد الإعجاز العلمى ، قاصدين بذلك إضافة وجه جديد إلـــى أوجـه إعجاز القرآن الكريم ، قائلين إن القرآن قد سبق علماء هـــذا العصـر بأكثر من ألف وأربعمائة عام فى الحديث عن أسرار الكون والنفـس ، بدقة عجيبة ما كان محمد بن عبد الله ، ولاعلماء عصره ، ولا الذيــن أتوا بعدهم بقرون وقرون يستطيعون أن يقفوا على تلك الأسرار .

يقول الشيخ طنطاوى جوهرى الذى وضع تفسيرا كاملا للقـرآن فى هذا الاتجاه ، فى تفسير قصة بقرة بنى إسرائيل :

"وأما علم تحضير الأرواح فإنه من هذه الآية اســتخراجه ، إن هذه الآية تتلى والمسلمون يؤمنون بها ، حتـــى ظـهر علـم تحضـير الأرواح بأمريكا أولا ، ثم بسائر أوربا ثانيا [٦]

ومن المؤلفات الشهيرة فى هذا الاتجاه كتاب " الجانب العلمى فى القرآن " للدكتور صلاح الدين خطاب ، ضمنه العديد مـــن الأمثلـة ، نقتطف منه هنا ثلاثة أمثلة فقط :

المثال الأول : فى تفسير قولـــه تعـالى (**ويقذفون بالغيب من كان بعيد**)[٧] يقول : المسرة " التليفون " و الهاتف "التلغـــراف " والتلفـاز والراديو فى القرآن الكريم.

---

[٦] - تفسير الجواهر : ٨٤/١.

[٧] - سبأ : ٥٣.

«لقد تنبأ واضع الشىء فى موضعه، ومن أعلم بالأدلة من مخترعها، ومن أعرف بالجهاز من صانعه بكل هذه المخترعات، التى شملها قوله تعالى : ﴿ ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ﴾[1].

عجب ما بعده عجب، الآية تتكلم عن الكفار، وعن أسباب كفرهم ثم يأتى أحدهم ويقتطعها عن السياق، ويؤولها حسب ميوله.

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية :

«قال مالك عن زيد بن أسلم : ويقذفون بالغيب : قال : بالظن قلت: كما قال تعالى : ﴿ رجما بالغيب ﴾[2]، فتارة يقولون شاعر، وتارة يقولون كاهن، وتارة يقولون ساحر وتارة يقولون مجنون، إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة ويكذبون بالغيب، والنشور، والمعاد، ويقولون إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين.

قال قتادة : يرجمون بالظن لا بعث ولا جنة ولا نار»[3].

٢- المثال الثانى :

وتحت عنوان : القنابل والغواصات والألغام

وضع الدكتور صلاح الدين خطاب الآية التالية :

﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم ﴾[4].

ثم قال :

« فهذا العذاب الذى وصفته الآية ينطبق على القنابل النازلة

---

(١) الجانب العلمى فى القرآن الكريم : ١٩ .

(٢) سورة الكهف الآية : ٢٢ .

(٣) تفسير ابن كثير ٦/٥١٦ ط الشعب .

(٤) سورة الأنعام الآية : ٦٥ .

من الطائرات ، من فوق الرؤوس، ومن الأعالى

أما العذاب من تحت الأرجل فإشارة إلى الألغام والغواصات التى تنصب فى الأرض، أو فى البحر، فيمر عليها من يراد إهلاكه، فتنفجر تحت رجله، أو سيارته، فتسبب له الهلاك »[1].

٣- المثال الثالث :

ومن قوله تعالى : ﴿ **حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس** ﴾[2].

استنبط فضيلته أن هذه الآية تدل دلالة قاطعة - وتأمل كلمة قاطعة - على القنابل الذرية . .

يقول فضيلته : « هذه الآية تدل دلالة قاطعة على القنابل الذرية، فإن الكفار والأشرار ممن سكنوا الدنيا وظنوا أنهم بما تيسر لهم من المخترعات الحديثة أنهم قادرون عليها إصلاحا وعمارة وتزيينا، وهدما وتخريبا لم يقو عندهم هذا الظن إلا بعد حصولهم واختراعهم للقنابل الذرية، والطاقة الذرية، ويفهم من هذه الآية الكريمة أن الله سيسلط أصحاب هذه القنابل بعضهم على بعض فيتحاربون ، ويكون ذلك سببا فى خراب الدنيا، وجعلها حصيدا»[3].

---

(١) الجانب العلمى : ١٨ ، ١٩ .

(٢) سورة يونس الآية : ٢٤ .

(٣) الجانب العلمى : ١٩ .

«لقد تنبأ واضع الشيء فى موضعه، ومن أعلم بالأدلة من مخترعها، ومن أعرف بالجهاز من صانعه بكل هذه المخترعات، التى شملها قوله تعالى : ﴿ ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ﴾[١].

عجب ما بعده عجب، الآية تتكلم عن الكفار، وعن أسباب كفرهم ثم يأتى أحدهم ويقتطعها عن السياق، ويؤولها حسب ميوله.

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية :

«قال مالك عن زيد بن أسلم : ويقذفون بالغيب : قال : بالظن قلت: كما قال تعالى : ﴿ رجما بالغيب ﴾[٢]، فتارة يقولون شاعر، وتارة يقولون كاهن، وتارة يقولون ساحر وتارة يقولون مجنون، إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة ويكذبون بالغيب، والنشور، والمعاد، ويقولون إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين.

قال قتادة : يرجمون بالظن لا بعث ولا جنة ولا نار »[٣].

٢- المثال الثانى :

وتحت عنوان : القنابل والغواصات والألغام

وضع الدكتور صلاح الدين خطاب الآية التالية :

﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم ﴾[٤].

ثم قال :

« فهذا العذاب الذى وصفته الآية ينطبق على القنابل النازلة

---

(١) الجانب العلمى فى القرآن الكريم : ١٩ .

(٢) سورة الكهف الآية : ٢٢ .

(٣) تفسير ابن كثير ٥١٦/٦ ط الشعب .

(٤) سورة الأنعام الآية : ٦٥ .

من الطائرات ، من فوق الرؤوس، ومن الأعالى.

أما العذاب من تحت الأرجل فإشارة إلى الألغام والغواصات التى تنصب فى الأرض، أو فى البحر، فيمر عليها من يراد إهلاكه، فتنفجر تحت رجله، أو سيارته، فتسبب له الهلاك »[1].

٣- المثال الثالث :

ومن قوله تعالى : ﴿ حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس ﴾[2].

استنبط فضيلته أن هذه الآية تدل دلالة قاطعة - وتأمل كلمة قاطعة - على القنابل الذرية..

يقول فضيلته : « هذه الآية تدل دلالة قاطعة على القنابل الذرية، فإن الكفار والأشرار ممن سكنوا الدنيا وظنوا أنهم بما تيسر لهم من المخترعات الحديثة أنهم قادرون عليها إصلاحا وعمارة وتزيينا، وهدما وتخريبا لم يقو عندهم هذا الظن إلا بعد حصولهم واختراعهم للقنابل الذرية، والطاقة الذرية، ويفهم من هذه الآية الكريمة أن الله سيسلط أصحاب هذه القنابل بعضهم على بعض فيتحاربون ، ويكون ذلك سببا فى خراب الدنيا، وجعلها حصيدا»[3].

---

(١) الجانب العلمى : ١٨ ، ١٩ .

(٢) سورة يونس الآية : ٢٤ .

(٣) الجانب العلمى : ١٦ .

الفهرست

الموضـــــوع	الصفحة
المقدمـة	٥
تمهيـد:	١١
١ ـ بين الأصل والدخيل	١١
الأصيل لغة واصطلاحا، وأنواعه	١٣
الأصيل فى الرأى	٢٤
الدخيل لغة واصطلاحا، وأنواعه	٢٥
أنواع الدخيل فى المأثور	٢٧
أنواع الدخيل فى الرأى	٢٧
٢ ـ نشأة الدخيل، والتصدى له:	٢٩
الباب الأول	
(الداخيل فى المنقول)	٤١
الفصل الثانى: الإسرائيليات	٤٣
المراد بالإسرائيليات	٤٥
متى وكيف تسربت الإسرائيليات إلى الثقافة الإسلامية	٥٠
مقياس الصحابة مع الإسرائيليات	٥٥
تأثر المسلمين بالثقافتين اليهودية والنصرانية	٦١
أسباب تفشى الإسرائيليات بين عامة الناس	٦٥
خطورة الإسرائيليات	٦٩
أقسام الإسرائيليات منحيث القبول والرد	٧٨
حكم رواية الإسرائيليات	٨١
تنبيهان	٨٩
أشهر رواة الإسرائيليات: أو من نسبت إليهم:	٩١
أولا: فى عهد الصحابة:	٩١

الموضـــوع	الصفحة
١ ـ عبدالله بن عباس	٩١
٢ ـ أبو هريرة	١٠٠
٣ ـ عبدالله بن عمرو بن العاص	١٠٤
٤ ـ عبدالله بن سلام	١١٠
٥ ـ تميم الدارى	١١٦
ثانيا: فى عهد التابعين	١٢٣
١ ـ كعب الأحبار	١٢٣
٢ ـ وهب بن منبه	١٣٤
ثالثا: فى عهد تابعى التابعين	١٣٧
١ ـ محمد بن السائب الكلبى	١٣٧
٢ ـ عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج	١٣٩
٣ ـ مقاتل بن سليمان	١٤٢
٤ ـ محمد بن مروان السدى الصغير	١٤٥
كتب التفسير والإسرائيليات	١٤٧
الفصل الثانى: (الدخيل عن طريق الأحاديث الموضوعة)	١٥٣
تعريف الحديث الموضوع	١٥٥
أسباب الوضع	١٦٧
قرائن الحديث الموضوع	١٧٨
مظان الأحاديث الموضوعة فى كتب التفسير والسنة	١٧٩
أمثلة للأحاديث الموضوعة فى التفسير	
الباب الثانى (الدخيل عن طرق التفسير بالرأى)	١٨٥
الفصل الأول: الدخيل عن طريق اللغة	١٨٥
أولا: ما يتعلق بقواعد النحو	١٩٠

الموضـــــوع	الصفحة
ثانيا: ما يتعلق بمدلول اللفظ	١٩٢
ثالثا: ما يتعلق بالقراءات	٢٠٢
الفصل الثاني: الدخيل عن طريق الفرق المبتدعة	٢١٣
المبحث الأول: الدخيل عن طرطق الشيعة	٢١٦
المبحث الثاني: الدخيل عن طريق الخوارج	٢٢٠
المبحث الثالث: الدخيل عن طريق المعتزلة	٢٢٤
الفصل الثالث: الدخيل عن طريق الإلحاد المتعمد	٢٣٣
المبحث الأول: الدخيل عن طريق الباطنية	٢٣٦
المبحث الثاني: الدخيل عن طريق القاديانية	٢٤٨
المبحث الثالث: الدخيل عن طريق البهائية	٢٦٧
الفصل الرابع: الدخيل عن طريق تفاسير بعض الصوفيين	٢٨١
الفصل الخامس: الدخيل عن طريق التفسير العلمي	٢٩٧
المقصود بالتفسير العلمي	٢٩٨
أبرز المؤيدين للتفسير العلمي	٢٩٩
أبرز المعارضين له	٣١٣
نماذج من الدخيل عن طريق التفسير العلمي	٣٣٧
الفهرست	

رقم الإيداع: ٨٥٩٥/٢٠٠٦
ISBN: 477-5260-55-8

